المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية

دورية - علمية - محكمة - إقليمية
(ربع سنوية)

تصدر عن
المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب
(AIESA)

رئيس التحرير
أ.د/ سليمان بن قاسم العيد
أستاذ الدراسات الاسلامية – جامعة الملك سعود
نائب رئيس التحرير
أ.د/ إبراهيم بن حماد الريس
أستاذ الدراسات الاسلامية – جامعة الملك سعود
مدير التحرير
أ.د/ شافع ذيبان الحريري
أستاذ الدراسات الاسلامية – جامعة أم القرى

العدد الرابع **يوليو** (٢٠١٨) **ذو القعدة** (١٤٣٩)

دورية علمية محكمة (ربع سنوية)

رقم الايداع بدار الكتب المصرية بالقاهرة

٢٠١٧ / ٢٤٣٥١

الترقيم الدولي **ISSN: 2537-0405**

ISSN (Online) : 2537-0413

الرابط على شبكة الانترنت

https://wp.me/P94dJH-em

إدارة المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة بالبحوث المنشوره في أعدادها وإنما فقط تقع مسؤوليتها في التحكيم العلمي والضوابط الأكاديمية

طبعت بمطابع مؤسسة دار المعارف بالقاهرة

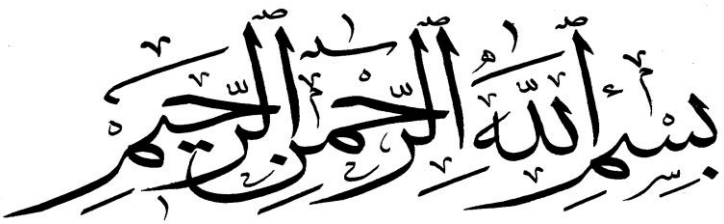

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

سورة النساء : الأية (١١٣)

هيئـــــــــة التحريـــــــــر

أ.د/ سليمان بن قاسم العيد	جامعة الملك سعود – السعودية	رئيساً للتحرير
أ.د/ إبراهيم بن حماد الريس	جامعة الملك سعود - السعودية	نائباً رئيس التحرير
أ.د/ شافع ذيبان الحريري	جامعة أم القرى - السعودية	مديراً للتحرير
أ.د/ حسن حسن كامل إبراهيم	جامعة الملك سعود – السعودية - سابقاً	عضواً فنياً
أ.د/ محمد علي قاسم العمري	جامعة اليرموك - الأردن	عضواً فنياً
أ.د/ سيد محمد الطبطبائي	جامعة الكويت	عضواً فنياً
أ.د/ خالد بن حسن العبري	جامعة الملك فهد للبترول - السعودية	عضواً فنياً
د/ فكري لطيف متولي	رئيس مجلس أمناء المؤسسة	عضواً إدارياً
أ/ شتوي مبارك القحطاني	الأمين العام للمؤسسة	عضواً إدارياً
أ/ نهى عبدالحميد عبدالعزيز	مدير المؤسسة	عضواً إدارياً

الهيئـــة العلمية الاستشارية

أ.د/ عبدالقادرعبدالقادر البحراوي	جامعة بنها	مصر
أ.د/ يوسف ذيـــــــاب الصقر	جامعة الكويت	الكويت
أ.د/ زيد عمـــــــر عبد الله	مركز بيانات للدراسات القرآنية	الأردن
أ.د/ مبارك جـــــزاء الحربي	جامعة الكويت	الكويت
أ.د/ عبدالله بن سليمان الغفيلي	الجامعة الإسلامية	السعودية
أ.د/ خالد بن عبدالله القاســـم	جامعة الملك سعود	السعودية
أ.د/ حمد بن ناصـــــر العمار	جامعة الإمام	السعودية
أ.د/ عبدالمحسن بن عبدالله التخيفي	جامعة الملك سعود	السعودية
أ.د/ علي محمد حســـن الموسى	الجامعة الأردنية	الأردن
أ.د/ عبد الناصر موسى أبو البصل	جامعة اليرموك	الأردن
أ.د/ محمد رمضان الأغـــــا	الجامعة الاسلامية بغزة	فلسطين
د/ العربي بن محمد الإدريسي	جامعة الملك سعود	السعودية
د/ عبدالله بن عبد العزيز السبيعي	جامعة الإمام محمد بن سعود	السعودية
د/ حسين عبـــــده حسين أحمد	جامعة عين شمس	مصر
د/ ياســـــــر محمد طرشاني	جامعة المدينة	ماليزيا

شـــــروط النشـــــر :

- يجب أن لا يتجاوز البحث المقدم للنشر عن (٥٠) صفحة ، متضمنة المستخلصين : العربي ، والإنجليزي على أن لا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (٢٠٠) كلمة ، والمراجع.
- يلي المستخلصين : العربيَّ ، والإنجليزيَّ ، كلماتٌ مفتاحية (Key Words) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث)، تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث؛ لتستخدم في التكشيف.
- تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (العليا، والسفلى، واليمنى، واليسرى) (٣) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.
- يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية (Simplified Arabic)، بحجم (١٤)، وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٤).
- يكون نوع الخط في الجداول للبحوث العربية (Simplified Arabic)، بحجم (١٢)، وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٠).
- تستخدم الأرقام العربية (١-٢-٣...Arabic) في جميع ثنايا البحث.
- يكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.
- يكتب عنوان البحث ، واسم الباحث ، أو الباحثين ، والمؤسسة التي ينتمي إليها، وعنوان المراسلة ، على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث. ثم تتبع بصفحات البحث، بدءاً بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعاً بكامل البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوياتهم، وإنما تستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثين) بدلاً من الاسم، سواء في المتن، أو التوثيق، أو في قائمة المراجع.
- يتأكد الباحث من سلامة لغة البحث، وخلوه من الأخطاء اللغوية والنحوية.

- توضع قائمة بالمراجع العربية بعد المتن مباشرة، مرتبة هجائياً حسب الاسم الأول أو الأخير للمؤلف (اختياري) ، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.
- لهيئة التحرير حق الفحص الأوّلي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.
- في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إليكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- يتم تقديم البحوث إلكترونياً من خلال رفع البحث على موقع المؤسسة :

http://wp.me/P94dJH-9I

أو بريد المجلة الإلكتروني: search.aiesa@gmail.com

محتويات العـــــدد

العلمانية وأثرها على التعليم **أ.د/ أحمد رمضان**	١ – ٢٤
قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من مصادرها الأساسية وتطبيقاتها في الأسرة **مي بنت عبد الله الشديد – د/ بدرية بنت خلف بن حمدان العنزي**	٢٥ – ٦٤
العلاقة بين الاختطاف والحرابة **د/ مُصْعَب بن عَبْدِالله بنِ مُحَمَّد الخُنَيْن**	٦٥ – ٩٠
القيم الإسلامية التربوية في ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه **د/ خاتمة حسن حمود محمد**	٩١ – ١٢٨
دور الخطاب الديني للمساجد في التقليل من ظاهرة العنف الأسري **د/ فتيحة طويل**	١٢٩ – ١٤٤
المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات **عواطف قاعد العتيبي – د/ لينا سليمان الخليوي**	١٤٥ – ١٦٤

العلمانية وأثرها على التعليم

إعداد

أ.د/ أحمد رمضان

عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر

كلية أصول الدين بالمنصورة – قسم العقيدة والفلسفة

تم استلام البحث في ٢٠١٨/٤/١٥ تم الموافقة على النشر في ٢٠١٨/٥/١١

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،،،

فلكل دولة طابع يميزها عن غيرها نتيجة التجارب التاريخية الخاصة التي انبثقت من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الخاصة بالمجتمع. والغرب له طابعه الخاص الذي يختلف عن الطابع العام للشرق. فعلى سبيل المثال ارتبط تقدم الغرب بفصل الدين عن الدولة، بينما ارتبط تقدم الشرق بقوة الدين، وإن كان هناك اختلاف بين طبيعة تقدم كل منهما، من تقدم مادي في الغرب إلى تقدم مادي وروحي في الشرق إبان الحضارة الإسلامية. والمنهج الذي اتبعه الغرب في التقدم والتحضر جوهره العلمانية. وهذا التقدم الذي كان ثمرة عدة قرون من التنوير والنهوض، جعل الكثير من مفكري العالم الإسلامي يتأثرون بدرجة كبيرة مع مفكري أوروبا في المنهج الذي اتبعوه للنهوض ببلادهم.

أولاً: التعريف بالعلمانية:

١ - تعريف العلمانية:

يعد مفهوم العلمانية من أكثر المفاهيم خلافية منذ نشأته حيث يقدم كل مفكر تعريفاً مختلفاً للعلمانية حسب رؤيته وموقفه منها وحسب الحقبة التاريخية التي يمثلها كل مفكر.

أولاً: التعريف اللغوي للعلمانية:

إن كلمة علمانية بالعربية هي ترجمة لنظيرتها الإنجليزية secularism وأصلها اللغوي secular وهي مشتقة من كلمة لاتينية في العصور الوسطى saeculum والتي تعني الجيل أو العصر أو الزمن، كما استخدمت في اللاتينية المسيحية للإشارة إلى العالم في مقابل الكنيسة[1].

[1] انظر: د. مي سمير عبده متولي. العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر. المكتب العربي للمعارف. ط١. القاهرة ٢٠١٣م. ص١٢، ١٣.

ويمكن التمييز هنا بين الترجمة العلمانية لنظيرتها الإنجليزية secularism ونظيرتها الفرنسية laicite، فالعلمانية في اللغة العربية ترجمة للمصطلحين في الإنجليزية والفرنسية في نفس الوقت، لكن العلمانية الإنجليزية أقل حدة من نظريتها الفرنسية. فالعلمانية الإنجليزية تعني (الزمانية) أي: الاهتمام بهذا الزمن لتحقيق الرفاهية كما عرفها "جورج هوليوك" (١٨١٧-١٩٠٦م)، بينما العلمانية الفرنسية تعني (اللادينية)؛ حيث ممارسة أي طقوس أو مظاهر دينية في المجال العام الفرنسي محظور. ويمكن التفرقة بين العلمانيتين الإنجليزية والفرنسية بنفس المعيار الذي وضعه المسيري بتقسيم العلمانية إلى جزئية وشاملة. فالعلمانية الإنجليزية جزئية، والعلمانية الفرنسية شاملة[٢].

وقد عرفت الموسوعة البريطانية كلمة secular على أنها: ما يتعلق بما هو دنيوي أو زماني أو ما ليس ديني مثل الموسيقى أو ما ليس كهنوتي التنظيم مثل المحاكم. غير محكوم بالاعتبارات أو القواعد الرهبانية الخاصة.

ويعرف قاموس (وبستر العلمانية) secularism على أنها: اللامبالاة أو الرفض أو الاستبعاد للاعتبارات الدينية.

وأما قاموس أكسفورد فقد عرف العلمانية secularism على أنها: العقيدة التي تؤمن بأن الدين يجب ألا ينغمس في مؤسسات الدولة أو مؤسسات التعليم وغيرها من المؤسسات العامة.

كذلك عرف قاموس (كامبريدج) العلماني secular بأنه ما ليس له علاقة بالدين[٣].

ثانياً: التعريف الاصطلاحي للعلمانية:

إن المفكر البريطاني (جورج هوليوك) هو أول من أطلق مصطلح العلمانية في الغرب وذلك عام ١٨٥١م حيث عرف (هوليوك) العلمانية أنها: تحقيق رفاهية وسعادة الإنسان في هذه الحياة الدنيا عن طريق وسائل مادية؛ مثل: التقدم العلمي، مع التأكيد على أن العلمانية لا تعادي الدين ولكنها نظرة لهذا العالم المحسوس والواقعي مستقلة عن الدين وعن أي حياة أخرى لا يمكن التأكد من وجودها من عدمه[٤].

ولقد عرفت لغتنا العربية أول ترجمة لمصطلح (العلمانية) في معجم عربي فرنسي، كان أثراً من آثار الحملة الفرنسية على مصر.. فواضعه - لويس بقطر المصري - كان من الذين رحلوا إلى فرنسا مع جيش الحملة الفرنسية المنهزم، ودرس هناك العامية المصرية.. وأصدر معجمه هذا سنة ١٨٢٨م.. وفيه ترجم الكلمة الفرنسية

---

[٢] انظر: نفس المرجع السابق. ص١٤، ٢٢.

[٣] انظر: المرجع السابق. ص١٥.

[٤] انظر: د. مي سمير عبده متولي. العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر. ص١٦.

Laique بـ (علماني).. من العلم - نسبة إلى (العالم)، باعتباره (الدنيا) المقابلة (للدين)، للتعبير عن مذهب الوضعية الغربية الذي يقيم (ثنائية - التناقض) بين (الدين) وبين (العمران الدنيوي) [٥]. ثم استخدم المصطلح، بعد ذلك في العربية ترجمة للكلمة الإنجليزية Secularism.

أن العلمانية هي جملة من التحولات التاريخية السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والأيديولوجية، وأنها تندرج في أطرأ وأوسع من تضاد الدين والدنيا، بل إنها تابعة لتحولات سابقة عليها في مجالات الحياة المختلفة. وهذه العلمانية لها وجوه منها، وجهاً معرفياً ويتمثل في نفي الأسباب الخارجة على الظواهر الطبيعية أو التاريخية، وفي تأكيد تحول التاريخ دون كلل. ووجهاً مؤسسياً يتمثل في اعتبار المؤسسة الدينية مؤسسة خاصة كالأندية والمحافل. ووجهاً سياسياً يتمثل في عزل الدين عن السياسة. ووجهاً أخلاقياً وقيمياً يربط الأخلاق بالتاريخ والوازع بالضمير بدل الإلزام والترهيب بعقاب الآخرة. ولكل من هذه أشكال ومناسبات مع وقائع التاريخ المحيطة بها[٦].

فالعلمانية لا تستبعد الإرشاد والتوجيه الديني للأفراد، وتستأثر بهذا الدور لنفسها، ولكنها تقوم بهذا الدور على صعيد الحياة القائمة وتحقيق الرفاهية فيها للإنسان[٧].

- وأخذت العلمانية في الغرب الحديث عدة معان: ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر تعني (فصل الدين عن الدولة). وفي القرن التاسع عشر تحولت إلى (إبعاد الدين عن الدولة). وجاء القرن العشرين ليخفف قليلاً من موقف الدولة والأفراد تجاه الدين[٨]، ويتمثل هذا التغير الطفيف في عودة السلطة الزمنية للكنيسة الكاثوليكية في عام (١٩٢٥م)، بإعادة قيام دولة الفاتيكان كوحدة سياسية بعد أن أدمجت الولايات البابوية في مملكة إيطاليا منذ عام (١٨٧٠)، ويتمثل هذا التغير أيضاً في السماح بقيام الأهداف السياسية المسيحية في أكثر من دولة من دول الغرب[٩].

ومن خلال تعريفات العلمانية في المعاجم الغربية نجد أنها تتفق جميعاً على وجوب إخراج الدين من الصراع السياسي والاجتماعي بشكل عام، لكنها لا تتعرض للإيمان الفردي أو تعادي فكرة التدين، هي فقط تسعى إلى عدم انغماس الدين في الحياة العامة حتى لا يتعارض ولاء الفرد للدين مع ولاؤه للدولة، وحتى لا تحدث صراعات بين الأفراد المختلفين مذهبياً ودينياً في المجتمع، خاصة وأن المجتمع الأوروبي شهد

---

[٥] انظر: د. السيد أحمد محمد فرج. (علماني وعلمانية، تأصيل معجمي). مجلة (الحوار) عدد ٢. سنة ١٩٨٦م. ص١٠١-١١٠.

[٦] انظر: د. عزيز العظمة. العلمانية من منظور مختلف. ط١. مركز دراسات الوحدة المربية. بيروت ١٩٩٢م. ص٣٧.

[٧] انظر: د. مي سمير عبده المتولي. العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر. ص ١٦.

[٨] انظر: جون هرمان راندال. تكوين العقل الحديث. ترجمة: د. جورج طعمة. ج١. دار الثقافة - بيروت ١٩٦٥م.

[٩] انظر: تاريخ البشرية. المجلد السادس، ج٢. ترجمة: عثمان نويه وآخرين. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م. ص٢٩٥ وما بعدها.

مجموعة من العوامل التي دفعت كثيرين للمطالبة بالعلمانية وإخراج الدين من الساحة الاجتماعية نهائياً[١٠].

والعلمانية كما يقول د/ فؤاد زكريا إطار فضفاض شديد الاتساع، يمكن أن يحتوي في داخله على شتى أنواع المواقف السياسية والأيدولوجيات. فمن الممكن أن يكون هناك علماني يميني وعلماني يساري، وعلماني ليبرالي وعلماني ماركسي، وعلماني متدين وعلماني غير متدين. وهكذا فإن العلمانية لا تكشف لنا عن الطريق الذي ينبغي أن نسير فيه، وإنما تشير بوضوح إلى الطريق الذي ينبغي أن نتجنبه، ثم تترك لنا بعد ذلك حرية اختيار المسار[١١].

ويعرف العلمانية (شبلي العيسمي) بأنها: " هي جملة من التدابير جاءت وليدة الصراع الطويل بين السلطتين الدينية والدنيوية في أوروبا، واستهدفت فك الاشتباك بينهما، واعتماد فكرة الفصل بين الدين والدولة، بما يضمن حياد هذه تجاه الدين، أي دين، ويضمن حرية الرأي.. ويمنع رجال الدين عن إعطاء آرائهم.. صفة مقدسة[١٢].

- فالعلمانية هي بمثابة نقطة الانطلاق التي بدأ الفكر السياسي الأوربي منها إسهاماته الهامة فيما يتعلق بالدولة والفرد والمجتمع، وهي دعوة لتحرير كل من الدولة من سيطرة الكنيسة وتحرير الفكر الأوربي من الدوران في فلك دراسة العلاقة بين الدين والدولة مما جعله يضع نظريات سياسية أثرت في العالم كله، بالإضافة إلى بقاء واستقرار هذه النظريات قرون طويلة حتى شكلت العقيدة السياسية الغربية وأصبحت راسخة في الوجدان الأوربي[١٣].

يقول المستشرق (أريري) في كتابه (الدين في الشرق الأوسط) عن الكلمة نفسها: إن المادية العلمية والإنسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها أشكال اللادينية، واللادينية صفة مميزة لأوروبا وأمريكا ومع أن مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط فإنها لم تتخذ أي صبغة فلسفية أو أدبية محددة، والنموذج الرئيسي لها هو فصل الدين عن الدولة في الجمهورية التركية[١٤].

وباختصار: العلمانية تعني عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد. وظهرت في المجتمع الأوربي كرد فعل مضاد لتسلط الكنيسة التي جمعت في يدها كل شؤن الحياة من سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية.

---

[١٠] انظر: المرجع السابق. ص١٥، ١٦.

[١١] انظر: د. فؤاد زكريا. الصحوة الإسلامية في ميزان العقل. ط١. دار الفكر للدراسات والنشر. القاهرة - باريس. ١٩٨٩م ص٨٠.

[١٢] انظر: د. شبلي العيسمي. العلمانية والدولة الدينية. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد ١٩٨٦م. ص ١٩.

[١٣] انظر: د. مي سمير عبده المتولي. العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر. ص ٥٤.

[١٤] انظر: د. محمد مصطفى الشناوي، د. خالد إبراهيم حسب الله. المذاهب المادية جذورها وتطورها دراسة نقدية. ١٩٩٧م. ص١١١.

٢ ـ نشأة العلمانية:

لقد كانت النهضة الأوربية في مجموعها رد فعل للكبت الواقع على الإنسان بفعل التصور الكنسي للدين، والممارسة الكنسية له، وإذا كان الغالب على ردود الفعل هو الاندفاع لا التعقل ولا التبصر ولا الروية ولا الاتزان.. فقد اندفعت أوربا في نهضتها تنزع من طريقها كل معلم من المعالم الإلهية (سواء كانت إلهية حقاً أو مدعاة من قبل الكنيسة) وتضع مكانها معالم بشرية من صنع الإنسان. كما تنزع من طريقها كل ما يتصل بالآخرة لتضع بدلاً منه ما يتصل بالحياة الدنيا. بهذا أصبح الطابع المميز للفكر الأوربي منذ النهضة هو التمرد على الدين والتمرد على الله[١٥]. وكانت هذه هي بداية (العلمانية) بالتعريف الأوربي.

وعندما سار الإنسان الأوربي على الخط العلماني استمر في الهبوط وبحث عن مصدر آخر للقيم الإنسانية غير الدين. وعلى هذا يمكننا فهم فلسفة (أوجست كونت) من ناحية، وأفكار (جان جاك روسو) من ناحية أخرى. فكلاهما يجهد نفسه ليقول للذين يقفون مدافعين عن الدين: لقد وجدنا مصدراً آخر تنبع منه القيم الضرورية لحياة الإنسان غير الدين، وجدناه في (الطبيعة) وفي (النفس البشرية) [١٦].

وفي الوقت ذاته اتجه هذا (الفكر المتحرر) إلى عبادة الطبيعة بدلاً من عبادة الله، ونسبوا الخلق إليها بدلاً من الله. وفي نفس الوقت اتجه الفن إلى مناجاة الطبيعة بدلاً من مناجاة الله، وتأليهها بدلاً من تأليه الله، ومضى الزمن وجاءت الثورة الصناعية.. وجاء مزيد من إبعاد الدين عن الحياة حيث أحدثت الثورة الصناعية هزات عنيفة في حياة الناس وذلك بإخراج المرأة إلى العمل وإفساد أخلاقها وإفساد أخلاق الرجل معها، واستغلال قضية المساواة مع الرجل في الأجر لبث روح الصراع في نفس المرأة، وما نتج عن ذلك كله من تحطيم الأسرة، وتشريد الأطفال والفوضى الجنسية.. الخ ونسبوا ذلك إلى التطور الذي يهدم ما يشاء من القيم ويلغي ما يشاء[١٧].

ـ أسباب نشأة العلمانية في الغرب:

توجد عدة أسباب أدت إلى نشأة العلمانية في الغرب، وأهمها:

أولاً: أخطاء رجال الدين:

١ـ الجمود الفكري المتمثل في الحجر على العقول. وذلك بالوقوف ضد كل إبداع فكري، وكل كشف علمي. يقول (روجيه جارودي) في تفسير عداء الكنيسة للعلم: " يمكن تعليل الركود العلمي في أوربا المسيحية بذلك الموقف الحذر من الطبيعة التي لا بد أن تصرف الإنسان عن التوجه إلى الله.... هذا هو (أوزيب) عالم اللاهوت ومطران القيصرية بتوجه إلى علماء الاسكندرية قائلاً " نحن لا نولي نشاطاتكم أدنى اهتمام بل

[١٥] انظر: محمد قطب. مذاهب فكرية معاصرة. دار الشروق. ط٦. ١٩٩٢م. ص ٤٥٨.
[١٦] انظر: نفس المرجع. ص ٤٦٠.
[١٧] انظر: المرجع السابق. ص ٤٦١، ٤٦٢.

نزدري تلك النشاطات التي لا طائل منها ونتوجه بعقولنا صوب اهتمامات أسمى وأرفع " وبعد عشرة قرون يؤكد القديس توما الأكويني هذه النظرية بقوله: "نحن نفضل الحد الأدنى من المعرفة بالأمور الدنيوية الفلسفية"[١٨].

ولقد توصل (جاليليو) إلى صنع التلسكوب واستخدمه، غير أن ذلك لم يلق اهتماماً يذكر من قبل الرجال الذين كانت لهم خطوة وكلمة مسموعة بين الناس، وكانت ردة فعلهم تنطوي على كراهية وسوء ظن عظيمين، ولقد توقع (جاليليو) نفسه ذلك وكان على علم أكيد بما سيجلبه عمله من حقد وعداوة. لقد رفض بعض الرجال الذين ذاع صيتهم بين الناس أن ينظروا من خلال التلسكوب. وراجع ما حدث لجاليليو وغيره من العلماء من عداء الكنيسة لهم[١٩].

٢- الحجر على القلوب المتمثل في تحريف المسيحية.... وذلك مثل صكوك الغفران، وقرارات الحرمان، ومحاكم التفتيش.

٣- عدم صلاحية الدين الكنسي للحياة أو عدم تحقيق العدالة المتمثل في ظلم رجال الدين. وذلك بتحالف الكنيسة مع الظالمين للشعب. واضطهاد الأقليات الطائفية، المتمثل في حروب الكاثوليك والبروتستانت، والمتمثل أيضاً في اضطهاد اليهود من قبل الدول الأوربية ككل، ومن يقظة الحركة اليهودية[٢٠]، وكان ذلك نتيجة لعدم صلاحية وقدرة منهج المسيحية (الدين الكنسي) في الحياة. فحاول رجال الدين عندهم تطبيق هذا المنهج وقيادة الدول بناء عليه. ولذا قام نوع من الحكم سمي بالحكم الثيوقراطي، والذي بمقتضاه يحكم الدولة رجال دين يدعون أنهم يحكمونها بناءً على أوامر ونواهي الدين غير المؤهل لذلك، لذا فلا بد أن يدعوا أنهم على اتصال بالسماء، وأن العلم اللدني في حوزتهم هم فقط، هم أصحابه وهم مطبقوه. وهكذا حكم هؤلاء الرجال أوربا لعدة قرون هي قرون العصور الوسطى، ساد فيها الظلام والانغلاق والتخلف سائر أنحاء هذه القارة[٢١].

- ولو استعرضنا مثلاً كيف تطبق العدالة في المجتمع الإنجليزي، لوجدت أن هذا المجتمع حتى سنة (١٩٢٥م) لم تكن الأنثى هناك تأخذ شيء من تركة حتى ولو كان أبيها وكانت ثروة من مات وله أبناء تعطى لابنه الأكبر ويحرم بما فيه الأبناء من ثروات أبيهم، وكذلك أيضاً لم يكن للزوجة حق في الميراث من زوجها وهو أيضاً لا يرث منها شيء. فانظر إلى هذا الجور والظلم في الوقت الذي تحرم فيه المسيحية الطلاق ومع ذلك

---

[١٨] انظر: روجيه جارودي. ما يعد به الإسلام. ص ١٢١.

[١٩] انظر: ب داونز. كتب غيرت العالم. ترجمة: أمين سلامة. ١٩٧٧م. ص ٢٢٣، د. توفيق الطويل. قصة الصراع بين الدين والفلسفة. دار النهضة العربية ١٩٧٩م. ص ١٧٩.

[٢٠] انظر: زكريا فايد. العلمانية النشأة والأثر في الشرق والغرب. الزهراء للإعلام العربي. ط١. ١٩٨٨م. ص ٧١.

[٢١] انظر: المرجع السابق. ص ١٣.

فلا يرث الزوجان بعضهم من بعض. وانظر إلى الجور والظلم الذي كان سائد في هذا المجتمع. الأبناء يحرمون من ثروات أبيهم ويستأثر بها أكبرهم والزوجة تعيش في ضياع بعد زوجها ولا تأخذ من ثروته شيء وكانوا يقولون في تحريم ما أوجبه الرب لا يقطعه العبد. وكذلك في هذا المجتمع المسيحي الإنجليزي يورثون الأصول فإذا مات الابن لا يرث أبوه منه شيء ولا أمه. ولك أن تتصور الأب بعد موت ابنه وكذلك الأم قد يكون كل منها بلغ أرزل العمر يستطيع العمل ولا يستطيع العمل ولا الكسب ومع ذلك فليس له حق في ثروة ابنه. إنه نوع من الجور والظلم وإهدار لعلاقة الأبوة وعدم النظر إلى المجهود الذي يبذله الأب في تربية أبنائه. ثم عدل هذا القانون ١٩٢٥م وأعطوا للأنثى نصيب وللأصول نصيب كما قرره الإسلام منذ أكثر من ألف عام[٢٢].

- وكذلك لو نظرنا إلى المجتمع الأمريكي إلى ما قبل سنة ١٩٣٠م كان من له من حقه أن يوصي بما له كله لمن شاء حتى ولو كان التي أوصى لها بالمال عشيقته ولا يجوز لأبنائه ولا لزوجته أن يأخذوا منه شيء ولم يكن القانون هناك ما يمنعه من ذلك. أما الإسلام فلا يجوز للإنسان أن يوصي بأكثر من الثلث ولا يجوز أن يوصي لأحد الورثة حتى بالثلث إلا بموافقة جميع الورثة على ذلك حتى لا ينشأ بينهم الحقد والبغض. وانظر إلى هذه العدالة في الإسلام وقد أخذت أمريكا الآن بهذا القانون. ويطبق هذا القانون في أكثر من ثلاثين ولاية في أمريكا. والعالم الأمريكي (استون) له كتاب في المواريث يعلل في هذا الكتاب لماذا لا يورثون الآباء وتعليله يثير الضحك واسمعوا إلى تعليله فيقول: إن التركة تشبه الحجر، فالحجر يسقط إلى أسفل ولا يرتفع إلى أعلى فهكذا التركة تقسم على الفروع ولا تعطي للأصول. وإنما أردت أن أذكر لكم هذه الأمثلة لكي أتبين لكم أن المجتمعات الغربية المسيحية حينما تدعوا إلى العلمانية فإن ذلك رد فعل طبيعي لنقض العدالة عندهم وليس في قوانينهم وتشريعاتهم ما يكفل لهم تحقيق هذه العدالة[٢٣].

والخلاصة: أن الدين الكنسي لا يقيم وزناً للحياة. حيث لا يسعى إلى تحسين أحوال البشر على الأرض، أو إزالة المظالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تقع عليهم، وإنما يدعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا وترك كل شيء على ما هو عليه، لأن فترة الحياة الدنيا أقصر وأضل وزناً من أن يحاول الإنسان تعديل أوضاعه فيها. إنما يسعى جاهداً إلى الخلاص منها دون أن يعلق بروحه شيء من الآثام. والمتاع ذاته هو من الآثام التي يحاول المتطهرون النجاة منها بالبرهنة واعتزال الحياة.

بل أكثر من ذلك: إن احتمال المشقة في الحياة الدنيا، واحتمال ما يقع فيها من المظالم هو لون من التقرب إلى الله يساعد على الخلاص. ومن ثم دعت الكنيسة الفلاحين

---

[٢٢] انظر: د. محمد أحمد العلمي. الخلق والإبداع بين الإلحاد والإيمان. ص ١٥٦، ١٥٧.
[٢٣] انظر: المرجع السابق. ص ١٥٧، ١٥٨.

للرضا بالمظالم التي كانت تقع في ظل الإقطاع وعدم الثورة عليها لينالوا رضوان الله في الآخرة، وقالت لهم: " من خدم سيدين في الحياة الدنيا خير ممن خدم سيداً واحداً "[٢٤].

ثانياً: التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة في القرنين السابع عشر والثامن عشر:

إن التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة في هذين القرنين أدى إلى الفصل بين السلطتين. وكان هو الحل الفلسفي أو الرسمي لهذا التنازع.

ثالثاً: إلغاء الثنائية.

وذلك بهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول إلى الاستئثار بالسلطة المنفردة، التي هي سلطة (جماعة العمل) أو (المجتمع) أو (الدولة) أو (الحزب): حسب تحديد بعض اليساريين المتطرفين في مدرسة هيجل.

رابعاً: التقدم العلمي التدريجي:

إن التقدم العلمي بالتدريج في أوربا منذ نهاية القرون الوسطى. هو الذي جرأ أرباب الفكر العلماني على الخروج على وصايا الكنيسة، وعلى الاستقلال في النشاط الإنساني، وحركة المجتمع عن أي رأي يصدر منها، وقالت لهم: " من خدم سيدين في الحياة الدنيا خير ممن خدم سيداً واحداً "[٢٥].

ثانيا: تطبيقات العلمانية على التعليم في مصر.

لقد كان التعليم في مصر عند قدوم الإنجليز إليها في قبضة جامعة الأزهر. يقول (اللورد كرومر) لو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكان أولى. وإذا لم يتيسر فالأمل في إصلاح التعليم اللاديني الذي ينافس الأزهر. وعندئذ سوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين: فإما أن يتطور.. وإما أن يموت ويختفي[٢٦].

يقول المستشرق (جب): (وفي اثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة لأبعد من ذلك بإنماء التعليم العلماني تحت إشراف الإنجليز في مصر والهند)[٢٧].

ويقول (زويمر) زعيم المنصرين النصارى: " لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية وأنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشئ الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات.. فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء ".

---

[٢٤] انظر: محمد قطب. مذاهب فكرية معاصرة. ص ٤٥٥.

[٢٥] انظر: د. محمد البهي. العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق. مجمع البحوث الإسلامية. ص٢٩.

[٢٦] انظر: تقرير كرومر لسنة ١٩٠٦م. الفقرة ٣. ص ٥.

[٢٧] انظر: جب، وآخرين. وجهة الإسلام. ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة.

ومنذ أن تولت سلطة الاحتلال في ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢م مقاليد الأمور في مصر وأخذت تعمل على توطيد سلطتها، وتحقيق مخططاتها في الهيمنة الغربية.

- ولكي نتبين أثر هذا التطور الخطير على السياسة التعليمية ينبغي ألا ننسى الطبيعة الاستنزافية لكل احتلال أجنبي، والأهداف الخاصة للإنجليز من احتلال مصر وربطها بعجلتهم الاستعمارية، بالإضافة إلى طبيعة كل من السير (إفلين بارنج) المعروف باللورد كرومر، ومستر (دوجلاس دانلوب)، الذين رسما ونفذا سياسة المستعمر الثقافية بكل دهاء وخبث ومثابرة؛ الأول كحاكم مطلق لمصر مدة أربعة قرن من الزمان تحت اسم (المعتمد البريطاني)، والآخر باعتباره المتصرف الحقيقي في شئون التعليم المصري قرابة ربع قرن أيضاً باسم (مستشار التعليم) [٢٨].

أولاً: أسس السياسة التعليمية للاحتلال:

١- تقرير لورد (دوفرين) لعام ١٨٨٣م: مما جاء في هذا التقرير لا بد من تقوية قبضة السلطة الجديدة، وعلى النظام الإداري أن يجد الوقت الكافي ليتدعم.. ولمقاومة عوامل التفتت من الداخل ومن الخارج. ومصر كدولة شرقية لا وجود فيها حتى لبذور الحرية الدستورية)، وكل ما تتطلع إليه هو إدارة حازمة نزيهة. فالأمة التي ظلت مستعبدة أمداً طويلاً تتوق بالغريزة إلى قبضة حاكم قوي. فالحكومة المعتدلة من شأنها أن تبعث على الاحتقار والعصيان أكثر مما تبعث على العرفان[٢٩].

٢- اتجاهات (اللورد كرومر): لقد اعتمد (كرومر) على مجموعة من الخبراء ذوي الأفكار العنصرية الضيقة، من أمثال (ألفريد ليل) الذي قرر كرومر كتابه (دراسات آسيوية) كنص إجباري على جميع الموظفين البريطانيين؛ وفيه يقول: " إن الإسراع بإدخال أفكار المساواة والتنظيمات الغربية في مجال التربية والتجارة، يمكن أن يؤدي إلى إضعاف التركيبات التقليدية في البلاد المستعمرة في الشرق، مسبباً بذلك فقدان بعض المزايا الوطنية المفيدة، ويحفر بالتالي هوة خطيرة تعزل سلطة الاحتلال المجردة من الأعوان والوسطاء.. "[٣٠]. ومن أمثال مستر (ليكي) الذي يقول: " إن الخطأ الأكبر في تعليم الفقراء هو أنه في الأغلب تعليم أدبي بالغ الطموح، إن التعليم الأولى يجب أن يعلم الفقراء أن يحسنوا الكتابة والحساب، أما بخلاف ذلك فيجب أن يكون التعليم فنياً وصناعياً بأكثر مما هو أدبي، ويجب أن يهتم بملاحظة الحقائق بأكثر من اهتمامه بأي صورة من صور التفكير المنطقي أو إبداء الرأي "[٣١].

---

[٢٨] انظر: د. حسن الشافعي. في فكرنا الحديث والمعاصر ج١. العوامل والمؤثرات. ط٢. دار العدالة للطباعة والنشر. ص ٨٧، ٧٩.

[٢٩] انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٣م. ص٣٦٢.

[٣٠] انظر: نفس المرجع. ص ٣٦٤.

[٣١] الأيوبي. سياسة التعليم. نشر الأهرام بمصر ١٩٧٨م. ص ٣٦.

ثم يقول: " إنه من الأهمية بمكان أن يبت في كل مشكلة في ضوء المعرفة والخبرة الغربيتين بالإضافة إلى بعض الاعتبارات المحلية، وذلك انطلاقاً مما نرى أنه من الأفضل للجنس المحكوم.... وقد نصل إلى نوع من الولاء القائم على الاحترام للمواهب الأرقى والقيادة غير الأنانية.... وفي محاولتنا الهادفة إلى طبع العقلية الشرقية بعاداتنا الفكرية يجب أن نتقدم بكل حذر ممكن.... واجبنا الأول هو إقامة نظام يسمح لجمهور السكان بأن يكون محكوماً وفقاً للأخلاق المسيحية[٣٢].

- والسياسة التي يجب اتباعها إزاء المسلمين - خاصة بعد ثورة الهند المسلمة - واحدة هي: " إن الخطوط العريضة التي يجب أن تتناولها الإصلاحات قد أملتها الضرورات التي تعتبر أموراً عامة في الحضارة الأوربية، سواء كان مجال العمل هو الجزائر أم الهند أم مصر أم تونس، أم البوسنة. وتلك هي بلاد المسلمين التي ابتليت بالاستعمار الغربي في آسيا وإفريقيا وأوروبا. ومصر بلد زراعي يجب البعد عن كل ما من شأنه أن يشد الفلاح بعيداً عن أرضه، وترك أوهام التصنيع، والعمل - من خلال التعليم - على إيجاد فئة من الموظفين البيروقراطيين لمعاونة السلطة المحتلة دون تدخل في إصدار القرارات أو تحمل المسئوليات، إذ لا يمكن في نظره بعد مضي أربعة عشر عاماً على الاحتلال أن نجد مصرياً واحداً - أياً كان وبأية وسيلة - قادراً على إدارة آلة بهذا التركيب وهذا التعقيد؛ كالحكومة المصرية الحالية "[٣٣].

- يلاحظ على أفكار (كرومر) واتجاهاته أنها: تجسد الاتجاهات المعادية للدين واللغة والوطنية التي هي قوام كل ثقافة صحيحة وتعليم جاد[٣٤].

ثانياً: تطبيق السياسة التعليمية للاحتلال:

وفي المجال التطبيقي فرض (اللورد كرومر) على وزراء التعليم المتعاقبين عدداً من الخبراء والمفتشين والمستشارين ذوي الاتجاهات الدينية والامبريالية المتطرفة المعادية لثقافة الشعب ودينه وتطوره الحر. كان من أبرزهم (مستر ويلكوكس) الذي بلغت به القحة أن يتولى بنفسه رياسة تحرير مجلة (الأزهر) في أواخر القرن الماضي، وينشر فيها هجومه على اللغة الفصحى لغة القرآن ويدعو إلى استخدام العامية. وكان أخطرهم (مستر دانلوب) الذي هيمن على شئون التعليم في مصر قرابة ربع قرن، ونفذ سياسة (كرومر) السابق بيانها بحذافيرها، وحين حاول أحد الوزراء الوطنيين - وهو سعد زغلول - مقاومته والحد من نفوذه استدعاه كرومر - في أخريات عهده عام ١٩٠٧م - وقال له حسب رواية سعد نفسه: " إن دانلوب - وإن لم يكن له سلطة ظاهرية - ولكنه يجب أن يكون في الحقيقة ذا سلطة، وإن ما يحرره في مكتبه من الأمور الخاصة

---

[٣٢] انظر: أنور عبد الملك. نهضة مصر. ص٣٦٦.

[٣٣] انظر: نفس المصدر. ص ٣٦٨- ٣٦٩.

[٣٤] انظر: عمر الدسوقي. في الأدب الحديث ٤٠/٢٠.

خصوصاً بالإنكليز يجب أن يؤخذ قضية مسلمة، وإن التغير الذي حصل في شخص ناظر المعارف (يعني تعيين سعد وزيراً لها) لم يكن القصد منه تغيير طريقة التعليم التي تقررت باتفاقه (أي كرومر) مع (دانلوب)، وإنما الغرض منه: أن يشترك الوطني - العارف بالتربية الإسلامية المصرية، على إدخال الإصلاح، فإن لم يحسن هذا (أي الوزير الوطني) الاشتراك خرج منه، وجرى الإصلاح بدونه.. "[٣٥].

- إن مصر اليوم وهي تستعد للامتحانات السنوية يذكرني بمشهد بلد يستعد للحرب.. ولم تكن الجدة وروح المبادرة تلقي أي تشجيع، وإذا فكر أي مصري أن يجربها فلا يلقي إلا الاستهجان.. لم تفشل الوصاية البريطانية فشلاً زريعاً في أي مجال كما فشلت في مجال التربية[٣٦].

جوانب تطبيق السياسة التعلمية:

لقد اشتمل تطبيق السياسة التعليمية في مصر على ما يلي:

١- أهمل التعليم عمداً، ولم يعد هناك مجال للكلام عنه كوسيلة للوعي الوطني أو الإحساس الإنساني، كما كان الحال أيام رفاعة ومبارك الحقيقية، وأوقفت البعثات إلا لصالح الجهاز الإداري وما يتصل به، ثم قصرت أخيراً على انجلترا، بل ألغيت وزارة المعارف نفسها في بداية عهد الاحتلال كوزارة مستقلة، وألحقت بالداخلية مرة وبالأشغال مرة أخرى. ولم تنل هذه الوزارة أهمية نسبية إلا في آخر عهد كرومر على يد سعد زغلول سنة ١٩٠٦م، الذي قاوم بحنكة وإصرار أساليب دنلوب (المسنود) من السلطة العليا[٣٧].

٢- عمل الإنجليز على تشجيع نوع من التعليم الضحل الذي لا يتجاوز تعليم قواعد الحساب والكتابة الأولية. والتظاهر برعاية (الكتاتيب). على حساب كل من التعليم الابتدائي والثانوي وما بعدهما والتعليم النظري على وجه العموم. والحق أن عدد من الكتاتيب كما يحصيها الخبراء هبط في ١٩٠٨م إلى ٣٦٧٩ وكان قبل الاحتلال في عام ١٨٨٠م يبلغ ٥٥٦٢ كتاباً[٣٨]، وكانوا يقصدون من هذه الدعاية التظاهرية بحماية نوع من التعليم الإسلامي التقليدي، وإتاحة الفرصة لتعليم أكبر عدد من الناس. والهدف الحقيقي هو تخريج موظفين لا يمكنهم قيادة العمل الوطني في مرافقه المختلفة بل تنفيذ أوامر المحتل، والاستفادة من درس الهند بعد ثورته ضد المحتلين. (إن الهند يقدم لنا الدرس الموضوعي لما يجب تجنبه)، وهذا ما اتبعه (كرومر) وأعوانه دائماً: ".. أريد أن يصبح الجيل المصري القادم كله قادراً على القراءة والكتابة، وأريد بالمثل أن أخرج ما

---

[٣٥] انظر: عبدالعظيم رمضان. مذكرات سعد زغلول. ٢٢٣/١.
[٣٦] انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. ص٣٩١.
[٣٧] انظر: نفس المرجع. ص٣٧٦.
[٣٨] انظر: المرجع السابق.

أستطيع من البناءين والنجارين والمخصصين إلخ، ولا أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك"[٣٩].

ثم يقول (كرومر) في تقريره عام ١٨٩٦م: (خلال السنوات الأخيرة وضعت الحكومة نصب عينيها هدفاً ذا شقين: تمثل الأول في الرغبة في نشر شكل بسيط من التعليم بين السكان رجالاً ونساءً، يتلخص في معرفة مبادئ اللغة والحساب، أما الشق الثاني فكان يتمثل في الرغبة في إعداد طبقة متعلمة ذات مستوى عال يمكن أن تواجه متطلبات الخدمة في الحكومة) [٤٠]. ويعترف (دنلوب) الذي ظل مستشاراً للتعليم إلى ثورة ١٩١٩م بذلك في قوله: " إن نظام التعليم السائد حالياً (أي سنة ١٩٠٦م) في المدارس الحكومية لم يوضع بهدف مواجهة جميع حاجات البلاد في مجال التعليم الأساسي، ولا يمكن اعتباره كذلك. إن إحدى الحقائق المعترف بها هي أن هدفه هو إعداد فئات من المصريين للوظائف الحكومية المختلفة، والمهن الفنية المختلفة على النمط الأوربي "[٤١].

٣- لقد أصرت سلطة الاحتلال على أن مصر بلد زراعي فقط، واهتمت من الزراعة بالقطن فقط؛ وذلك للوفاء بحاجات مصانع (لانكشير). وقامت كل محاولة لإدخال الصناعة الحديثة، وحرص (كرومر) على حرمان أي صناعة جديدة من الحماية الجمركية التي كانت إجراءً مألوفاً في ذلك الحين، حتى قال أحد رجال الصناعة الإنجليز: "لولا أنه أعفانا من الجمارك لرفعت (لانكشير) السلاح في وجه الحكومة"[٤٢].

ومن أجل الهدف نفسه أتم الإنجليز القضاء على النقابات الحرفية والأصناف، أي منظمات الصناعات التقليدية التي كانت قد ضعفت في أيام (محمد علي).

يقول: كرومر متفاخراً قبيل رحيله عن مصر: " إن الفرق ظاهر لكل من يرجعون بذاكرتهم إلى الوراء عشرة أو خمسة عشر عاماً، فبعض الأحيان التي كانت في السابق مراكز حقيقية للصناعات المتنوعة: الغزل والنسج، صناعة الأنشطة، الصباغة، طحن التوابل، وأعمال النحاس، الصناعة الجلدية، السروجية، المصافي، وصناعة الأقفال الخشبية والمعدنية.. الخ كلها قد انكمشت بقدر كبير أو اختفت تماماً، وهناك الآن مقاه أو محلات للمبتكرات الأوربية في الأماكن التي وجدت فيها من قبل ورش مزدهرة ".

يقول الأيوبي - بعد إيراد النص السابق -: " من الصعب على أي إنسان أن يعمي عن معاداة البريطانيين للحرف والصناعات في مصر. ففي فترة الحكم البريطاني تم توجيه الضربة القاضية إلى النقابات الحرفية، ومع قرب نهاية القرن التاسع عشر ألغيت

---

[٣٩] انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. ص٣٧١.
[٤٠] انظر: نفس المرجع. ص٣٧٠.
[٤١] انظر: المرجع السابق. ص٣٧٢.
[٤٢] انظر: الأيوبي. سياسة التعليم. ص٣٥.

كافة الضرائب على الأصناف، فذهبت معها آخر الاختصاصات المتبقية لشيوخها، حتى أعلنت عام ١٨٩٠م. الحرية الكاملة لكافة الحرف والصناعات والتجارات، وأطلق عنان القوى العاملة من سيطرة الشيوخ؛ لكي يعملوا مباشرة في المشروعات الرأسمالية الجديدة التي كانت أجنبية في أغلبها "[٤٣]. إن الهدف هو ربط مصر بالرأسمالية الغربية لتتضافر التبعية الاقتصادية مع التبعية السياسية والثقافية.

٤- فرض الرسوم على التعليم في كافة مراحله. فيضمن كل من (كرومر ودنلوب) إبعاد الجماهير الوطنية عنه، واقتصاره على فئة محدودة من ميسوري الدخل يسهل التعامل معها، كما جرى الحد من أعداد المقبولين، وخاصة فيما فوق التعليم الأولى، أعني مرحلتي التعليم (الإبتدائي والثانوي). وللأسباب نفسها قاوم الإنجليز فكرة إنشاء جامعة أو تعليم عال - إلا في حدود الضرورة - لحرصهم على الاقتصار على تخريج (أدوات حية بيروقراطية) على درجة من الكفاءة المكتبية، لكنها لا تملك مقدرة التحليل العقلي للمشكلات أو التفكير المستقبل في حلها.

٥- عمل المحتلون على إضعاف اللغة العربية وتقليصها من مجال التعليم واستصدروا قراراً من (علي باشا مبارك) [٤٤]. بأن يكون تعليم المواد المختلفة بالإنجليزية سنة ١٨٨٨م، وقد كان الرجل مغلوباً على أمره، ولم يلبث أن استقال وذهب إلى قريته يفلح أرضه، وقد أخذ بعض دعاتهم في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي - عندما أحسوا بنمو الحركة الوطنية - يدعون لاستخدام اللغة العربية في التعليم بدلاً من الإنجليزية، ولكنها العربية العامة أو المصرية الفصحى، لأن هذه الأخيرة في نظرهم لا تتناسب مع متطلبات الدراسة العلمية. لقد " اجتهد كل من (كرومر) و (دنلوب) في جعل اللغة العربية لغة أجنبية في ميدان الثقافة الحديثة، وقد كثر الحديث منذ تقرير (دوفرين) عن نظرية عدم فاعلية الثقافة العربية، وكان ذلك - طبعاً - يختص باللغة الكلاسيكية.. ويرى (كرومر) أن ذلك يمثل ثورة حقيقية في ميدان الفلسفة، إن مجرد اكتساب بعض الشبان المصريين معرفة لغوية تتيح لهم دراسة الآداب والعلوم الأوربية قد أسهم بكل تأكيد - إلى حد ما - في خلق عادة التفكير على نحو دقيق، وهي طابع العقلية الغربية بالمقارنة مع العقلية الشرقية "[٤٥].

وقد انطلق أعوانهم يروجون لتلك الفكرة، من أمثال (ويليم ويلكوكس) الذي ألقى محاضرته الشهيرة في نادي الأزبكية سنة ١٨٩٣م، عن (لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين) وكان جوابه: إنها العربية الفصحى، ونشر ترجمتها بعد ذلك في (مجلة الأزهر). وواصل بعد ذلك بحوثه المزعومة، ليصدر في لندن كتاباً مضمونه أن بلاد سوريا ومصر وشمال إفريقية ومالطة تتكلم لغة أخرى غير العربية، وأن على

---

[٤٣] انظر: المرجع السابق.
[٤٤] انظر: وزير المعارف في حكومة مصطفى فهمي.
[٤٥] انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. ص٣٨٠- ٣٨١.

المصريين " أن يتخلصوا من السخرة الثقيلة التي يعانونها من إجراء الكتابة بالفصحى". كما حاول أن يترجم إلى عامية هزلية بعض النصوص من الإنجيل والأدب الإنجليزي[٤٦]. وشارك في ذلك القاضي (ويلمور) في مفتتح القرن الحالي بكتابة (لغة الحديث في مصر). ومن الأسف أن بعض السوريين العرب مثل إسكندر معلوف أسهم في ذلك، فأثنى اسكندر سنة ١٩٠٣م على سلطة الاحتلال لتغييرها لغة التعليم إلى الإنجليزية، ودعا أن تكون الخطوة الثانية هي استخدام العامية في الصحافة.

وهذه مقالة مؤرخ مصري - قبطي تكشف سر هذه الزوبعة: " إن المسألة لا تتعلق بلغات أوربية وبنماذج للعقليات، وإنما هي تتعلق بإدماج مصر في السوق الاقتصادية العالمية، وفرض بعض العناصر الاجتماعية - الاقتصادية، والأيديولوجية - في المجتمعات البرجوازية الأوربية، من زاوية الاحتلال البريطاني"[٤٧].

٦- إن أخطر إجراءات المحتلين هو تفريغ التعليم من مضامينه الدينية والقومية والوطنية الإنسانية. وقد رأينا سياسة القوم واتجاهاتهم نحو اللغة العربية الفصحى بإلغائها أو مزاحمتها أو تشويهها، فإن عجزوا فلا بأس بتشويه رجالها وتحقيرهم. فكان وضع مدرس اللغة العربية يتحدد في المجتمع، ويصبح مادة للسخرية[٤٨]. وحين يصبح مدرس اللغة العربية في هذا الوضع المهين فإن وضعه يؤثر حتماً على المادة التي يدرسها، وقد كان هذا هو الهدف المقصود. وصارت اللغة العربية موضع الازدراء والتحقير والنفور[٤٩].

- أما عن (مادة الدين) في منهج (دنلوب) فقد كانت أسوأ حظاً (فمدرس الدين هو نفسه مدرس اللغة العربية الذي وضعه (دنلوب) في ذلك الوضع المزري المهين، ولكن يزيد عليه أن أكبر المدرسين سناً هو الذي يوكل إليه تدريس الدين.. وأن حصة الدين توضع في نهاية الجدول المدرسي، فهي في أغلب الأحيان السابعة.. أضف إلى ذلك أن درس الدين في منهج (دنلوب) هو في الحقيقة رقعة في الثوب الدراسي غير متجانسة معه، إن لم نقل متنافرة. فهو ثوب علماني بحت. وزيادة في النكاية لدرس الدين فقد وضعه المنهج الدنلوبي (المواد الإضافية) التي تحذف في جدول الصيف الذي يقتصر على (المواد الرئيسية)، فيحذف منه الدين والرسم والأشغال اليدوية والألعاب الرياضية[٥٠].

- وأما عن التاريخ فلنستمع لمؤرخ يقول: " وبأمر من (كرومر) لم يعد يدرس التاريخ الوطني الوحيد القادر على التوعية بالأزمة، وأصبح مقرر التاريخ في الصف

---

[٤٦] انظر: عمر الدسوقي. في الأدب الحديث ٢/٤٠-٤٢.
[٤٧] انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. ص٣٨١.
[٤٨] فكان راتب مدرسي اللغة العربية أربعة جنيهاً بينما أي مدرس آخر كان راتبه اثني عشر جنيهاً.
[٤٩] انظر: محمد قطب. واقعنا المعاصر. ص٢١٩-٢٢٠.
[٥٠] انظر: نفس المرجع. ص٢٢٢، ٢٢٤.

الرابع الثانوي، وهو الصف النهائي، خالياً تماماً من تاريخ مصر، وتاريخ العالم الشرقي والإسلامي[٥١]. وتلك هي المواد الثلاثة التي تصوغ وجدان المثقف وعقله، قبل أية مادة دراسية أخرى.

- آثار سياسة الاحتلال التعليمية:

توجد عدة آثار لسياسة الاحتلال التعليمية، وأهمها ما يلي:

١- انفصل التعليم عن الارتباط بأي خطة تنموية، او مشروع مصري للنهضة كما كان عليه الحال أيام (محمد علي)، وبدرجات متفاوتة من بعده. كما تقلص التعليم الأدبي الذي ينشئ الفكر ويغذي الروح الوطنية والإنسانية ويصنع القيادات. وهذا ما خطط له المستعمر، وشاء الله - تعالى - ألا يتحقق إلا جزئياً: (إن الضرب على الرأس.. كان يستهدف تقليص الذكاء المصري وإفقار إلهامه وموارده، وضرب الانطلاقة الهائلة التي ظلت طوال القرن التاسع عشر تحمل على ساعديها النهضة الوطنية المصرية، وتزودها بالمفكرين والقادة)[٥٢].

٢- شيوع الأمية: كان (اللورد كرومر) وأدواته في وزارة المعارف يفاخرون بأنهم يعملون على إشاعة التعليم البسيط للكافة، بدلاً من التعليم الطموح لفئة محدودة. ولكن نتج عن إهمال التعليم الرسمي وتقليل ميزانياته واقتصاره على المراحل الأولية غالباً، واستمرار سياسة الانكماش حتى ليقول (ملنر) في تقريره عام ١٨٩٢م: " لقد خفضت ميزانية وزارة المعارف العمومية إلى حد بعيد، ومع أن هذه الميزانية بدأت تتجه نحو الصعود منذ عام ١٨٨٨م إلا أنها الآن (أي في عام ١٨٩٢م) لم تبلغ ما كانت عليه عام ١٨٨٤م) [٥٣]. وقد نتج عن ذلك شيوع الأمية وتزايد نسبتها، وهو مقياس لا يخطئ لنتائج أية سياسة تعليمية، فصارت (٩١. ٥%) تقريباً بعد ٣٥ سنة من الاحتلال، وكانت عام ١٨٨٤م (٩١%) فقط، وهذا يكشف نفاق السياسة البريطانية في زعمها إشاعة التعليم - حتى ولو كان ضحيلاً فقيراً - بين الجماهير الواسعة.

٣- تدهور التعليم العالي: لقد أصبحت مدرسة المهندسخانة التي أغلقت عام ١٨٨٧م، وأعيد فتحها بعد عامين تمنح دبلومها بقدر الأماكن المتوفرة: ٨ طلاب فقط عام ١٨٩٧م، ٩ طلاب عام ١٨٩٩م، ٢٠ طالباً عام ١٩٠٠م. وقد شهدت مدرسة الطب نفس المصير المحزن فقبل عام ١٨٨٢م كانت تضم ٢٩٠ طالباً وفي عام ١٨٩٧م كان عدد أساتذتها وهم عشرة - كلهم من الإنجليز بإدارة الدكتور الأخرق كيتنجز - يفوق عدد طلابها[٥٤].

---

[٥١] انظر: أنور عبدالملك. ص٣٨٩، ٣٩٠.
[٥٢] انظر: المرجع نفسه. ص٣٧٢-٣٧٣.
[٥٣] انظر: المرجع السابق. ص٣٧٣.
[٥٤] انظر: المرجع السابق.

أما محنة مدرسة الحقوق فقد كانت عام ١٩٠٦م أيام المواجهة مع مديرها الفرنسي (لامبير) الذي اتهم بتشكيل جماعة الشبان الوطنيين الملتفين حول (مصطفى كامل). وأخيراً تعرضت المدارس العسكرية، وهي المستنبت الحقيقي للكوادر لشتى صنوف العنف من الاحتلال، فلقد ظلت مدرسة عسكرية واحدة مفتوحة الأبواب. وأكثر ما يسترعى الانتباهنا هو توجيه الاختصاصات، فلقد كانت مصر في عهود الخديويين تعطى الأولوية للعلم والدراسات التقنية الحديثة، أما وقد حكمها (كرومر) فقد أجبرت على العدول عن المضي في طريق القوة العسكرية الصناعية، واقتصرت على تكوين الموظفين - مدرسي اللغات ورجال القانون - القادرين على تنفيذ تعليمات السلطة المحتلة لا أكثر[٥٥].

٤- نفاق سياسة الاحتلال التعليمية في ما أعلنوه من إعداد الموظفين المحليين، كهدف متواضع جداً للتعليم في مصر. لقد كان نسبة المصريين في الجهاز الحكومي في ظل الاحتلال كان ٢٨% فقط، بينما كان ٣٠% للوافدين من الأرمن والشوام واليونان وأمثالهم من الأجانب والمتمصرين، ٤٢% من الإنجليز وحدهم، وهذا يعطي فكرة واضحة عن طبيعة الجهاز الحكومي.

٥- تفاقم ظاهرة الازدواجية والفصام الفكري والثقافي بين خريجي التعليم التقليدي الأزهري والتعليم المدني شبه العلماني، التي بدت بوادرها في أوائل القرن الماضي. حيث استمر الإهمال المتعمد لشئون الأزهر ولم تسفر محاولات الشيخين (المهدي) و (الإمبابي) عن إصلاح حقيقي. وعندما حاول الشيخ (محمد عبده) أواخر القرن الماضي التأثير على الخديوي الشاب (عباس حلمي الثاني) أيام اقترابه من الوطنيين لإصلاح شئون الأزهر وكذا القضاء الشرعي والأوقاف، لم تسعفه الظروف لإتمام الإصلاحات الجدية، أعني المناهج ومحتوى العملية التعليمية وأهدافها ووسائلها. واقتصر الأمر على لوائح شكلية وإجراءات تنظيمية، ولم يتغير شيء يذكر في هذه المؤسسة الكبيرة المظلومة من قادتها الجامدين من ناحية، من السلطات الحكومية المعرضة عنها غير المقدرة لخطورتها من ناحية أخرى. بل إن السلطة المحتلة حاولت التدخل في شئون الأزهر لإفساده، غير عابئة بحساسية تدخلها، فعينت مستر (ويلكوكس) رئيساً لتحرير مجلة الأزهر كما سبق ذكره سنة ١٨٩٢م.

٦- ظهور التعليم الخاص والأجنبي منه بوجه خاص، الذي يضم من مؤسسات الإرساليات التبشيرية التي لم تثر حفيظة المسلمين فحسب بل والمواطنين الأقباط أيضاً. فقام البطريرك (كيرلس) بقيادة حركة شعبية مسيحية لمقاومتها في الصعيد وغيره. وخرجت تلك المدارس جيلاً لا يعرف شيئاً عن وطنه وتاريخه وهويته الحضارية، كما يقول أحد العارفين بذلك: " هذا هو شأن جميع الصبية المصريين في جميع المدارس

[٥٥] انظر: المرجع السابق. ص٣٧٧-٣٨٠.

الأجنبية، فالطفل المصري فيها يقوى في لغتها، والإحساسات الأجنبية والأذواق الأجنبية تلصق بعقله الظاهر، وتترسخ في عقله الباطن، وتلازمه متى شب وكبر. وقد ظهرت آثار ذلك في كثير من رجال مصر والشرق وبدأ التباين بينهم: فهذا إنجليزي الطبع والذوق وذلك فرنسي النزعة والمسلك. ومما يوجب الحسرة أن المدارس الأجنبية تلزم بناتنا وأبناءنا مطالعة ما يسمونه التاريخ المقدس، وهو تاريخ الأنبياء من سيدنا إبراهيم إلى سيدنا عيسى، ولا يذكر فيه تاريخ النبي محمد صلى الله عليه وسلم[٥٦].

- وقد ساعد على تفشي هذه المدارس الأجنبية - بما تؤدي إليه من اختلال النسيج الوطني روحياً وفكرياً - غلبة الامتيازات الأجنبية في القضاء وغيره من المصالح المالية والاقتصادية في مصر، التي ألحقت بسوق الإنتاج الرأسمالي الغربي، مما جعل أمر اللغات مورد زرق مرموق فضلاً عن إتاحة الفرصة للتداخل مع القائمين بالسلطة، وشجع بعض الأباء من المتيسرين مالياً على ذلك ما شاع عنها من انتظام وحسن إدارة. فأغفلوا ما تمثله من خطر ديني ووطني وحضاري.

- وقد كان للإرساليات دور كبير في هذا الصدد، وظلوا مسيطرين ثقافياً طوال القرن الماضي وأوائل الحالي حتى تغير الموقف بعد ذلك لصالح الإنجليزية وكان كل ذلك على حساب العربية والتعليم الوطني ". وبذلت فرنسا مجهوداً ضخماً يفوق كثيراً ما بذلته انجلترا في مجال المؤسسات التعليمية وخاصة الدينية منها، وقد ظل النفوذ الثقافي الفرنسي واضحاً منذ النصف الثاني من عهد محمد علي محتفظاً بتفوقه في ظل الاحتلال، فمع أن الجالية الفرنسية كانت تقل عن الإنجليزية بثلاثين ألف شخص إلا أن مدارسها كانت تضم.... ٢٤ تلميذ مقابل ٣. ٣٠٠ تلميذ في المدارس الإنجليزية. وشهدت الفترة من ١٨٨٩، ١٨٩٩م انتصار اللغة الإنجليزية على اللغة الفرنسية في المدارس الحكومية، ففي عام ١٨٨٩م فقد اختار ٧٨% الإنجليزية مقابل ٢٢% للفرنسية، غير أن المصالح الاقتصادية الواسعة للفرنسيين في مصر ونفوذ الفرنسية في المحاكم المختلطة وقدم المؤسسات التعليمية الفرنسية في مصر بالنسبة للإنجليزية حافظ على مكانة الفرنسية، وإن كانت الجهود المتوالية للإنجليز ونفوذهم السياسي هيأ للغتهم أن تصبح بعد ذلك هي الأولى، وتتراجع الفرنسية لتأتي بعدها وإن لم تخل لها الميدان.

٧- صبغة التعليم بالطابع الشكلي الجامد رغم تنافره مع ضميره الأمة وجوهر ثقافتها ومع أصول التربية الصحيحة وتطبيقاتها لدى الشعوب المتقدمة. وإلا فقل لي بربك: ألست تلاحظ حتى الآن خطورة الامتحانات العامة حتى لكأن البلد كلها في حالة حرب؟ ألست تلمس أن درس الدين واللغة العربية لا زال على غير ما ينبغي أن يكونا عليه، ولا زال الدين مادة شبه إضافية لا تلتمس لها وسائل التأثير التربوية الكافية أستاذاً ومنهجاً ووقتاً وأسلوباً؟ ألست تلمس في مدارسنا طابع الرقابة الروتينية، وقلة المبادرات،

[٥٦] انظر: علوية. ذكريات اجتماعية وسياسية. مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر. القاهرة ١٩٨٨م. ص٣٩.

وضعف التقدير للإبداع سواء جاء من جانب التلاميذ أو من أعضاء هيئة التدريس، وأن الإدارة بيروقراطية في الغالب لا تربوية كما ينبغي أن تكون؟ بل ألست تلمس - ونحن في ظل حكم وطني - أن درس التاريخ ليس هو دائماً الذي يقدح الوعي ويزكي الانتماء الوطني، ألست أيضاً تلمح آثار الفصام الفكري والازدواجية البغيضة المبددة للطاقة الوطنية بين مثقفينا وكافة كوادرنا بسبب اختلاف المشارب والمناهج التعليمية أزهرية ومدنية وأجنبية..؟

الخلاصة:

يمكن القول كما لاحظ بعض مؤرخي الفكر: "لقد ظلت سوءات الإنجليز في تعليم الشعب المصري تؤتي ثمارها البغيضة حتى بعد أن تولى المصريون شئون التعليم. إذ لم يكن من الميسور أن نتخلص من أوزار هذا العهد دفعة واحدة، وقد ظل أكثر من ثلاثين عاماً، وسادت نظمه وقوانينه جميع مراحل التعليم؛ لأن الجيل الذي تربى على أيديهم صار يملك قيادة المصريين في التعليم، ويوجههم تلك الوجهة التي تربى عليها في صغره. ولأن الفساد كان أعظم من أن يزول في سنوات معدودات ولذلك ظلت آثامه ردحاً غير قليل من الزمن تسيطر على المدرسة المصرية "[٥٧].

- ثم ينقل عن الدكتور/طه حسين: " وقد رسم له (أي التعليم المدني) الإنجليز طريقاً محدودة ضيقة، فأفسدوه وأفسدوا نتائجه وآثاره أشد الفساد، ونحن نبذل - منذ أعوام - جهوداً مختلفة مضطربة لإصلاح ما أفسد الإنجليز، فلا نكاد نوفق في بعض الأمور حتى تعدو العاديات فتردنا إلى الإخفاق والخذلان "[٥٨].

- وسائل علمنة التعليم:

في مؤتمر برنستون (للثقافة الإسلامية الذي عقد في صيف عام ١٩٥٣م بدعوة من جامعة برنستون الأمريكية، قدم الدكتور / محمد خلف الله بحثاً بعنوان: (القيم الإسلامية والحياة الأدبية في مصر الحديثة) جاء فيه قوله فيما نحن بصدده: (فقد بدأ القرن التاسع عشر والثقافة مركزة في الأزهر في فروع الدراسة الإسلامية التي كانت تدرس على مناهج القرون الوسطى، والأدب مقصور على الآفاق الضيقة.. ثم اتجه النشاط حيناً في أوساط هذا القرن إلى حركة الطباعة ونشر الكتب المترجمة عن الغرب في مختلف العلوم، وبدأت ثورة اللغة العربية تزداد بهذه التراجم، وبدأت عقول المصريين تتنسم أرواحاً جديدة من أدب الغرب وثقافته..) [٥٩].

وتوجد عدة طرق في علمانية التعليم:

١- حصر التعليم الديني وازدراء اللغة العربية:

---

[٥٧] انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. ص٣٨٥.

[٥٨] انظر: عمر الدسوقي. في الأدب الحديث ٢/٢٣-٢٤

[٥٩] انظر: محمد خلف الله. الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة. مؤسسة فرانكين. القاهرة ١٩٦٢م. ص٥٤٠.

لقد حصر التعليم الديني مادياً بالتوسع في التعليم العلماني، ومعنوياً بإزدراء اللغة العربية وتمجيد اللغة الأجنبية وساعد في هذا إنشاء المدارس الأجنبية، والتنفير بطالب العلم الديني وبأستاذه وبالتفرقة بين أستاذي الدين، والمواد الأخرى في كل شيء تفرقة مرسومة مقصودة ثم بالتفرقة بين خريج المعاهد والكليات الدينية وبين زملائه في الكليات الأخرى[٦٠].

يقول (طه حسين) في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) حول هذه القضية: "فالذين يزعمون أننا نتعلم العربية ونعلمها لأنها لغة الدين فحسب، ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون من النتائج العلمية والعملية، إنما يخدعون الناس، وليس ينبغي أن تقوم حياة الأمم على الخداع، فإن اللغة العربية ليست ملكاً لرجال الدين[٦١]. يؤمنون بها ويقومون وحدهم من دونها ويتصرفون فيها، لكنها ملك للذين يكتمونها جميعاً من الأمم والأجيال، وكل فرد من هؤلاء الناس حر في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التي تبيح له هذا التصرف وإذن فمن السخف أن يظن أن تعليم اللغة العربية وقف على الأزهر الشريف والأزهريين وعلى المدارس والمعاهد التي تتصل بينها وبين الأزهر والأزهريين أسباب طوال أو قصار، هذا سخف لأن الأزهر لا يستطيع أن يفرض نفسه على الذين يتكلمون اللغة العربية، جميعاً، وفيهم المسلم وغير المسلم[٦٢].

ويقول (طه حسين) محاولاً عزل اللغة العربية عن الحياة، وربطها بأن تكون لغة دين وطقوس وعبادات فحسب، لا لغة أدب وفكر وحياة: " وفي الأرض أمم متدينة كما يقولون، وليست أقل منا إيثاراً لدينها ولا احتفاظاً به ولا حرصاً عليه، ولكنها تقبل في غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التي تفكر بها وتصطنعها لتأدية أغراضها، ولها في الوقت نفسه لغتها الدينية الخالصة التي تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدي فيها صلواتها. فاللاتينية مثلاً هي اللغة الدينية لفريق من النصارى، واليونانية هي اللغة الدينية لفريق آخر، والقبطية هي اللغة الدينية لفريق ثالث، والسريانية هي اللغة الدينية لفريق رابع.... وبين المسلمين أنفسهم أمم لا تتكلم العربية ولا تفهمها، ولا تتخذها أداة للفهم والتفاهم ولغتها الدينية هي العربية. ومن المحقق أنها ليست أقل منا إيماناً بالإسلام وإكباراً له وذياداً عنه وحرصاً عليه[٦٣].

٢- الابتعاث إلى الخارج:

إن الابتعاث إلى الخارج يزيد طالب التعليم العام جهالة بدينه وقيمه ومثله ويزيده تعلقاً بقيم الغرب أو الشرق ومثله. وهو من ناحية أخرى يبدأ بتطبيعه بطابع غير إسلامية. ثم يصير التطبع مع الزمن طبعاً وينسلخ الطالب من حيث لا يشعر حتى من

---

[٦٠] انظر: د. علي جريشة. أساليب الغزو الفكري. ص٦٤.

[٦١] كلمة (رجال الدين) تعبير غربي مستورد غير وارد في مفهوماتنا معشر المسلمين على مدى أجيال عديدة.

[٦٢] انظر: طه حسين. مستقبل الثقافة في مصر. دار المعارف. القاهرة ١٩٤٤م. ص٢٣٠.

[٦٣] انظر: المرجع السابق. ص٢٢٩- ٢٣٠.

تقاليده. في الملبس والمأكل والمشرب وطريقة التعامل ويعدو غربياً. هذا الابتعاث أدى إلى تخريج الأساتذة التي جرى (تفريخ) مبادئهم بعد ذلك في بلادهم بغير حاجة إلى ابتعاث الجديد، وبغير حاجة إلى جهد غير وطني. وهو ما يصرح به أحد الكتاب الغربيين فيقول: " أما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى إلى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن شخص ما قد ذهب أو لم يذهب إلى أوروبا أصلاً، فقد أصبح العرب (متغربين بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب إلى أوروبا).

ومثال ذلك هو الشيخ (رفاعة رافع الطهطاوي) الذي ابتعث إلى باريس خمس سنوات (١٨٢٦-١٨٣١) ليعود بعدها يصرح بأن الرقص الغربي (لون من العياقة والشلبنة) أي (الفتوة) ثم ينادي بالفرعونية بديلاً عن الإسلام. ومن بعد رافع كان (طه حسين) في الشعر الجاهلي وكتابه (مستقبل الثقافة) في مصر وفي مرآة الإسلام[٦٤].

- ولعل من أسوأ الأمثلة لهذا النمط أن (قاسم أمين) بعد أن درس في مدرسة الحقوق المصرية ذات المناهج الفرنسية، وتخرج منها في سنة ١٨٨١م ذهب إلى فرنسا ليستكمل تعليمه العالي، متزوداً من تعاليمها ولما شاهد الفنون الفرنسية ومتحف (اللوفر) كتب يقول: " لعل أكبر الأساليب في انحطاط الأمة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة: التمثيل والتصوير والموسيقى.. وهذه الفنون ترمى جميعاً على اختلاف موضوعها إلى غاية واحدة هي (تربية النفس) على حب الكمال والجمال. فإهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور "[٦٥].

٣- إنشاء المدارس الإسلامية في البلاد الإسلامية: لقد كان لهذا الإنشاء عدة أهداف مثل (مؤتمر أدنبرج) التبشيري الذي عقد عام ١٩١٠م وحضره ١٢٠٠ من المندوبين وتفرع إلى ثماني لجان، وخاضت اللجنة الثالثة منها في (الأعمال المدرسية التي يقوم بها المبشرون) واكتفت بهذه الكلمة عن المسلمين فقالت: " اتفقت آراء سفر الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأوربيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية، يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها "[٦٦].

وصرح القائد الفرنسي الجنرال (بيير كيللر) عن وسائل التأثير الفرنسي في الشام قبل احتلاله يقول: " فالتربية الوطنية كانت بكاملها تقريباً في أيدينا، وفي بداية حرب عام ١٩١٤م كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا، وكان بين هؤلاء فتيات ينتمون إلى عائلات إسلامية عريقة، مما جعل الجمعية المركزية السورية التي تألفت في باريس تعلن عام ١٩١٧م أن جميع ميول السوريون وعواطفهم

---

[٦٤] انظر: د. علي جريشة. أساليب الغزو الفكري. ص٦٤، ٦٥.

[٦٥] انظر: د. عبدالستار فتح الله سعيد. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام. ص٨٢.

[٦٦] انظر: أ. ل. شاتليه. الغرة على العالم الإسلامي. نقله إلى العربية: مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب. ط٢. جدة (د. ت). ص١١٩.

تتجه نحو فرنسا، بعد أن تعلموا لغتها، وخبروها على مر الأجيال، وتأكدوا من إخلاصها وتحردها ".

ويقول أيضاً: " إن كلية عينطورة في لبنان هي وسط ممتاز للدعاية الفرنسية.

ويقول: " إن مؤسساتنا تعمل دون ملل لتغذية النفوذ الفرنسي مثل: معهد الدراسات العبرية في القدس، ومعهد الدراسات الإسلامية في القاهرة، والمدرسة الإكليركية الدومينيكانية في الموصل.. الخ "[٦٧]. وكذلك إنشاء الكلية الإنجيلية في بيروت، وأنشأ الجامعة الأمريكية في مصر[٦٨].

٤- الاختلاط بين الجنسين في مراحل التعليم المختلفة لإشعال الغرائز والشهوة: لقد كان هذا الاختلاط في كثير من الأحيان مدعوماً بتخطيط ماكر، ليؤدي دوره (التربوي) الخطير، وليحقق التغيير المطلوب، ويكفل له الاستمرار والاستقرار بواسطة طبقة جديدة من المجتمع. وعلى سبيل المثال نجد اللورد (كرومر) عميد الاحتلال الإنجليزي في مصر ويقترح في هذا الصدد: " أن يكون هناك نظام مدبر لعرض وجهات النظر، التي تبدي عطفاً معقولاً على المصريين، عن طريق أفراد من المشتغلين بالسياسة الشرقية - لا عن طريق الحكومة - وكان يؤمل من وراء ذلك أن تجد أجيال المصريين المقبلة، من الحكمة وسعة الأفق - حسب تعبيره - ما يحفزها للعمل بصبر وإخلاص مع الأوربيين الذين يعطفون عليهم، حتى يستطيعوا متعاونين وضع مثل عليا جديدة تحل محل المثل الأعلى للمسلم المتدين، الذي لم يعد صالحاً لهذا الزمان حسب زعمه "[٦٩].

وقد حدث الاختلاط بين البنين والبنات في معظم بلدان العالم الإسلامي في المرحلة الابتدائية وفي بعضها في المرحلتين المتوسطة والثانوية، وفي أغلبها في المرحلة الجامعية، وترتب على الاختلاط ما ترتب من عيوب ومآخذ وابتعاد عن منهج الإسلام في تنشئة البنين والبنات في ظروف تحفظ لهم حياءهم وكرامتهم الإنسانية وتصون أنوثة الانثى ورجولة الرجل من الابتذال والامتهان[٧٠].

٥- التوسع في تعليم البنات من غير تخطيط إسلامي وكشف الحجاب عنها تحت دعاوي التحرر والتمدين.

٦- تطوير المناهج (تمييعها): لقد نادى بذلك (اللورد كرومر) وخلفاؤه من بعده من تطوير الأزهر، ومناهج الدين في التعليم العام.

---

[٦٧] انظر: د. محمد محمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ط٢. ج٢. ص٢٦٤.

[٦٨] انظر: د. علي جريشة. أساليب الغزو الفكري. ص٦٦.

[٦٩] انظر: محمد محمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. جـ١. ص٢٤١.

[٧٠] انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام. من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. إدارة الثقافة والنشر بالجامعة. ١٩٨١م. ص١١٩.

اعترافات بعلمنة التعليم:

توجد عدة شهادات تؤكد علمنة التعليم، من أهمها ما يلي:

١- يقول (جب): إن إدخال طرائق جديدة في الفكر في البلاد الإسلامية كان يتطلب نظاماً جديداً في التربية في عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال إلى الدراسات العالية.. فقد انتشر في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية ولا سيما تركيا وسوريا ومصر، يرجع غالباً إلى جهود جمعيات تبشرية مسيحية مختلفة.. هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوربي فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي فعلت فيهم فعلها أيام الطفولة. وفي أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذ الخطة إلى أبعد من ذلك بإنماء التعليم العلماني تحت إشراف الإنجليز في مصر والهند[٧١].

٢- ويقول (زويمر) عميد المبشرين في (مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م - ١٣٥٤هـ): "لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن ١٩ إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وأنكم أعددتم نشئا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها.. وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية"[٧٢].

ويقول أيضاً: " إن أهم الأساليب لتدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلماني "[٧٣].

٣- يقول طه حسين: " التعليم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه، وضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوربي الخالص، ما في ذلك شك ولا نزاع، نحن نكون أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكويناً أوربياً لا تشوبه شائبة"[٧٤].

ويقول: " أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم ولنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يجب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاقب، وأن نشعر الأوربي بأننا نرى الأشياء كما يراها، ونقوم الأشياء كما يقومها، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها "[٧٥].

---

[٧١] انظر: د. علي جريشة. الاتجاهات الفكرية المعاصرة. صـ١٠٥، ١٠٦.

[٧٢] انظر: المرجع السابق. ص١٠٦، ١٠٧.

[٧٣] انظر: د. جلال العالم. قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله. ط٢. ١٣٩٥م. ص٥٣.

[٧٤] انظر: طه حسين. مستقبل الثقافة في مصر. ص٣٨.

[٧٥] انظر: نفس المرجع. ص٤٤

فهرس المراجع :

١- البرت حوراني. الفكر العربي في عصر النهضة. ترجمة: كريم عزقول. دار النهار. لبنان ١٩٦٨م.
٢- الرافعي. عصر إسماعيل. ج٢. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٨م.
٣- إسماعيل مظهر. وثبة الشرق. بحث في أن العقلية التركية الحديثة هي مثال العقلية السليمة التي يجب أن ينتحلها الشرق ليجاري سير الحضارة العالمية. دار العصور للطبع والنشر. القاهرة ١٩٢٩م.
٤- تاريخ البشرية. المجلد السادس، ج٢. ترجمة: عثمان نويه وآخرين. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م.
٥- جون هرمان راندال. تكوين العقل الحديث. ترجمة: د. جورج طعمة. ج١. دار الثقافة - بيروت ١٩٦٥م.
٦- د. برهان غليون. المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات. ط١. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت ١٩٧٩م. ص ٥٧.
٧- د. مي سمير عبده متولي. العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر. المكتب العربي للمعارف. ط١. القاهرة ٢٠١٣م.
٨- د. السيد أحمد محمد فرج. (علماني وعلمانية، تأصيل معجمي). مجلة (الحوار) عدد ٢. سنة ١٩٨٦م.
٩- د. عزيز العظمة. العلمانية من منظور مختلف. ط١. مركز دراسات الوحدة المربية. بيروت ١٩٩٢م.
١٠- د. فؤاد زكريا. الصحوة الإسلامية في ميزان العقل. ط١. دار الفكر للدراسات والنشر. القاهرة - باريس. ١٩٨٩م .
١١- د. شبلي العيسمي. العلمانية والدولة الدينية. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد ١٩٨٦م.
١٢- د. محمد مصطفى الشناوي، د. خالد إبراهيم حسب الله. المذاهب المادية جذورها وتطورها دراسة نقدية. ١٩٩٧م.
١٣- د. محمد كمال ضاهر. الصراع بين التيارين الديني أو العلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر. ط١. دار البيروني. بيروت ١٤١٤هـ .
١٤- د. محمد النويهي. الدين وأزمة التطور الحضاري. أعمال ندوة. الكويت ١٩٧٤م.
١٥- د. زكي نجيب محمود. تجديد الفكر العربي. دار الشروق ١٩٧١م.
١٦- ساطع الحصري. الأعمال القومية لساطع الحصري. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ١٩٨٥م.
١٧- عبدالرحمن النقيب. أزمة التربية الخلقية في مصر. بحث غير منشور. تقدم به إلى كلية التربية جامعة عين شمس .

١٨- علي أحمد سعيد (أدونيس). الثابت والمتحول. ط٤. دار العودة. بيروت ١٩٨٣م.
١٩- عرفة. نقد مطاعن في القرآن الكريم يتضمن تفنيد ما ألقاه الدكتور طه حسين على طلبة كلية الآداب في الجامعة المصرية.
٢٠- طه حسين. في الشعر الجاهلي. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٦م.
٢١- طارق البشري. المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية. دار الوحد. بيروت ١٩٨٢م.
٢٢- علي عبدالرازق. الإسلام وأصول الحكم. بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام. ط٢. مطبعة مصر. القاهرة ١٩٢٥م.
٢٣- مجلة المصور. عدد (٣٠٧٦) في ٢٣/) سنة ١٩٨٣م. والعدد (٣٠٧٧) في ٣٠/) سنة ١٩٨٣م.
٢٤- مجلة العربي. عدد ٣١٦. الكويت ١٩٨٥م.

قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من مصادرها الأساسية وتطبيقاتها في الأسرة

إعداد

مي بنت عبد الله بن علي الشديد د/ بدرية بنت خلف بن حمدان العنزي

تم استلام البحث في ٢٠١٨/٤/٢٢ تم الموافقة على النشر في ٢٠١٨/٥/٢٣

الملخص : استهدفت الدراسة الحالية التعرف على قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من خلال مصادرها الأساسية ومعرفة تطبيقاتها في الأسرة ،و استخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي من أجل استنباط قيم التعامل مع كبار السن من مصادر التشريع الإسلامي الأساسية (القرآن والسنة) .

وعرضت الدراسة قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية والمستنبطة من مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات العلاقة بالقيم المرتبطة بالتعامل مع كبار السن، واقتصرت هذه الدراسة على خمس قيم متعلقة بالجانب الأخلاقي، وهي قيمة البر، والتواضع، والاعتراف بالفضل، والرحمة، والصبر، ثم استخلاص عدد من الاستنباطات التربوية حول كل قيمة. ثم تناولت تطبيقات لهذه القيم في الأسرة، وقد قسمت تطبيقات القيم المستنبطة في الأسرة بناء على اختيار عدد من الأساليب التربوية، وهي: أسلوب القدوة وأسلوب الحوار والموعظة الحسنة وأسلوب القصة وأسلوب التربية بالأحداث وأسلوب الترغيب والترهيب، إلى برامج تربوية في الأسرة وتم تقسيمه إلى قسمين هي البرامج التربوية المطبقة في الأسرة، وبرامج تربوية أسرية مقترحة ، وفي الأخير توصلت الدراسة لعدد من النتائج، و التوصيات ، والمقترحات والتي يمكن أن تسهم في الاستفادة من القيم التربوية المستنبطة في الأسرة .

Abstract :

The study aims: the current study seeks to identify the values of dealing with overages in Islamic education from their basic sources and their application at family and school; this is by answering the following main question: what are the values of dealing with overages in Islamic education from Quran and Hadith texts.

Study method: this study depends on deduction approach

The most important results of the study:

1- The texts of Quran and Prophetic Tradition (sunnah) are full of transaction values with all society classes including

overages, from them we can deduce a group of deductions that are necessary to Muslim to apply at his life.

2- The family has an important role in educate children the values of dealing with overages, because the family considered as the first education organization at which the child is educated.
3- The overage at his advanced stage of his life must not be alone, but his sons and relatives must care of him and give attention to him, in case he has not relatives the country must care about him .

The overages are very sensitive and affected by behaviors and words that pose to him, so he needs a special transaction due to his psychological case.

المقدمة :

إن بناء القيم عند أمة من الأمم يؤدي إلى تقدمها وازدهارها ورقيها، أو إلى العكس إن أهملت أدى ذلك الى تخلفها وانهيارها، لذلك نجد المجتمعات التي تقوم على القيم الصحيحة كالقيم الإسلامية تثمر السعادة وصلاح المجتمع ، على العكس من المجتمعات القائمة على القيم المخالفة للفطرة الإنسانية فإنها تكون في شقاء وتعاسة ، ومن هنا تتضح لنا أهمية القيم الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ في تربية الإنسان وبناء المجتمعات الإنسانية الصحيحة، في ظل فشل القيم الوضعية التي صنعها البشر.

ويذكر السدحان بأن القيم في التربية الإسلامية جاءت شاملة لجميع جوانب الحياة، ومراعية حالات المخلوقات، وخاصة الاهتمام بالإنسان ورعايته، لأنه يمر بمراحل متعددة في حياته، فيبدأ وليداً ضعيفا، ثم شاباً قوياً، وأخيراً شيخاً كبيراً وضعيفا، قال تعالى (مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [الروم:٥٤] (١٤٢١هـ، ٧).

ولئن كانت هذه الرعاية والعناية تمتد طوال حياة الإنسان، فإن ما يهم الباحثة هنا هي المرحلة الأخيرة منها، خصوصاً في ظل التغيرات التي تطرأ على التركيبة السكانية في العالم في العقود الأخيرة والتي بينت حجم الزيادة الكبيرة في نسبة كبار السن ، وهذا التحول في تركيبة السكان ستنجم عنه نتائج عميقة لكل جانب من جوانب الحياة، سواء بالنسبة للأفراد أم المجتمعات، هذه الزيادة الكبيرة أدت إلى ازدياد المناداة للاهتمام بهذه

الفئة، كما بُذلت جهود عملية لخدمتهم، وانصبت تلك الجهود على النواحي المادية الصرفة، فظهر ما يسمى بنظام التقاعد، والتأمينات الاجتماعية. (السدحان، ١٤٢١هـ، ٨)، كما أجملت خطة العمل الدولية للشيخوخة، التي اعتمدتها الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة(٢٠٠٢م) في فيينا في عام ١٩٨٢م، حقوق كبار السن.

وبيّنت مبادئ الأمم المتحدة المتعلقة بكبار السن وحقوقهم في مجالات الاستقلالية، والمشاركة، والرعاية، وتحقيق الذات، والكرامة. (الجمعية العالمية للشيخوخة، ١٤٣٥هـ)

وإن كان هذا التنادي في الدول المتقدمة لم يبرز إلا في السنوات الأخيرة، فإن الإسلام قد أكد على هذا الأمر منذ بدء ، وانعكس ذلك على سلوك وممارسة المسلمين في تعاملهم مع المسنين وخاصة الوالدين، "فمرحلة الكبر من مراحل العمر، وحلقة من حلقات التاريخ، وجزء لا يتجزأ من وجود كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية، فسنة الله في خلقه أن يأتي الجيل بعد الجيل، فيقدم الإنسان في حياته التضحيات، وقد يتعرض لألوان من الفاقة والحاجة، وألآم المرض والعجز، وخاصة إذا رُد لأرذل العمر، وليس من الوفاء للأجيال السابقة من المسنين أن يهملوا، أو يتركوا فريسة للضعف والحاجة في آخر حياتهم، بعد أن قدموا لأمتهم ما بوسعهم، فالواجب رعايتهم والعناية بهم، عملاً بتعاليم الدين الحنيف الذي حفظ للكبير مكانته، وقدر ذا الشيبة في الإسلام، ودعا إلى إكرامهم وحمايتهم". (محمد، ١٤٣١ه، ٢٦٣-٢٦٤).

المبحث الأول : التعريف بالبحث

أولاً :مشكلة البحث : في ضوء ما سبق تتبلور مشكلة الدراسة في أنه من الملاحظ في هذا الزمن غياب الاحترام والرعاية لكبار السن من بعض الأجيال في المجتمعات عموماً، وظهر ذلك في المجتمعات الإسلامية، مما دفع كبار السن إلى اللجوء إلى مراكز رعاية المسنين للحصول على الرعاية والعناية، على الرغم من وجود قيم خاصة بالتعامل مع كبار السن أكدت عليها التربية الإسلامية، وذلك بسبب غياب التربية السليمة للأجيال المسلمة، والتي تحثهم على مراعاة تلك القيم في التعامل مع كبار السن في الأسرة والمجتمع عموماً، ومن هذا كله ظهرت الحاجة الماسة إلى دراسة هذا الموضوع، فالدراسات المتعلقة بكبار السن قليلة إذا قيست بتلك التي تناولت التربية في مراحل العمر الأخرى (طفولة، ومراهقة، وشباب)، لذلك فإن دراسة قيم التعامل معهم في التربية الإسلامية الواردة في كتاب الله وسنة نبينا محمد ﷺ وتطبيقها في الأسرة والمدرسة على من هم في مرحلة الكبر أصبح أمراً مهما للغاية، "خاصة وأن الشريعة الإسلامية تفردت بقيم أخلاقية رفيعة، انفردت بها عن غيرها من الديانات والشرائع والأنظمة الوضعية في الوقت الراهن، إذ تعد القيم الحضارية الإسلامية وسيلة لأداء المسلمين لرسالتهم في عالم يتعرض لتغيرات متسارعة بسبب العولمة المعاصرة، والتي أثرت بشكل كبير على المنظومة القيمية في حياة المسلمين وغيرهم" (الصرايرة،

٢٠١٠م، ٢٥٤) ومن هنا جاءت الحاجة إلى هذه الدراسة من حيث ضرورة وضع تأصيل تربوي للقيم الإسلامية في تعامل مؤسسات التربية الإسلامية، خاصة الأسرة مع كبار السن، ويستند هذا التأصيل لمصادر التربية الإسلامية الأساسية ليكون موجها للتطبيقات التربوية في تلك المؤسسة ومن هنا يمكن التعرف على
قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من خلال مصادرها الأساسية و تطبيقاتها في الأسرة من خلال الإجابة على التساؤلات التالية :

السؤال الرئيس: ما قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من خلال مصادرها الأساسية وما تطبيقاتها في الأسرة ؟ ويتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية :

س١: ما قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من خلال بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية؟

س٢: ما التطبيقات التربوية لقيم التعامل مع كبار السن في الأسرة في ضوء قيم التربية الإسلامية المستنبطة ؟

ثانياً : أهداف البحث:

١- التعرف على قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من خلال بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

٢- التعرف على التطبيقات التربوية لقيم التعامل مع كبار السن في الأسرة في ضوء قيم التربية الإسلامية.

ثالثاً :**أهمية البحث**: المسنون هم الثروة البشرية لأي مجتمع، فهناك ما يربو على مليون نسمة تزيد أعمارهم عن ٦٠ عاما، هذه النسبة ستتضاعف في السنوات القادمة (الأمم المتحدة والشيخوخة، ١٤٣٥ه) ، فهذه الزيادة الكبيرة كانت دافعا لتخصيص هذا البحث لهذه الفئة العمرية، كما أن لمجتمعات غالباً يكون قادتها من الكبار الذين يجب دراسة مرحلتهم العمرية لمعرفة القيم المثلى للتعامل معهم، لذلك فالبحث سيفيد في توجيه شرائح المجتمع للقيم التي لابد أن يعامل بها كبار السن، عرفانا لمكانتهم في الإسلام، ولما يقدمونه للجيل اللاحق من خبرات، فهذه الشريحة هي من يتولى مقاليد الأمور الأسرية والاجتماعية، وتربية الصغار وتعليمهم القيم التي يسلكونها غالباً.

كذلك نظراً للخطر الكبير الذي تواجهه المجتمعات الإسلامية في تلقي القيم الوافدة من الحضارات الغربية، التي دفعت إلى نقل بعض المجتمعات الإسلامية من الرقي إلى التخلف لتراجعها عن القيم الإسلامية، والذي أدى ببعضها إلى إهمال فئة كبار السن أو ممارسة العنف على بعضهم، ولذلك جاءت الحاجة لهذه الدراسة التي تبرز القيم الإسلامية في التعامل مع كبار السن بعيدا عن القيم الوضعية التي يصدرها الغرب على هذه الأمة ، ويسهم هذا البحث بما سيتوصل إليه من نتائج في إمداد الأسرة المسلمة

والمربين، بتطبيقات يمكنهم استخدامها في تعاملهم مع كبار السن ، وسيبرز هذا البحث القيم التي ينبغي أن يربى عليها الأبناء والبنات بشكل عملي في الأسرة .

رابعاً : منهج الدراسة : اعتمدت الباحثة على المنهج الاستنباطي في هذا البحث وذلك لدراسة الآيات والأحاديث النبوية، لاستخراج قيم التعامل مع كبار السن من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

خامساً : مصطلحات الدراسة :

القيم: وتعرفها الباحثة بأنها مجموعة من القواعد والمبادئ المتصلة بالأخلاق الإسلامية التي تنظم سلوك الفرد والجماعة، والمستمدة من كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، والتي يمارسها المربون في تعاملهم مع كبار السن.

كبار السن: نظرا لصعوبة تحديد تعريف لكبير السن، وذلك لنسبية هذه المرحلة وتفاوت الأفراد فيما بينهم، وتسهيلا للتعامل مع هذا المصطلح فقد اختارت الباحثة تعريفاً لها بناءً على تفسير السعدي للآية: (وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ) [الإسراء:٢٣]، فقد بين الله –تعالى- أن مرحلة الكبر هي وصولهما إلى سن تضعف فيه قواهما ويحتاجان إلى اللطف والإحسان، وهذا ما أرادت الباحثة التركيز عليه في هذا البحث، بغض النظر عن العمر الزمني.

المبحث الثاني : قيم التعامل مع كبار السن في التربية الإسلامية من مصادرها الأساسية:

قامت الباحثة فيما يلي بجمع وتحديد بعض الآيات والأحاديث المتعلقة بقيم التعامل مع كبار السن من المعجم المفهرس للآيات القرآنية والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، والكتب الصحاح للحديث، وقامت بتدبر هذه الآيات معتمدة على التفاسير القرآنية المعتمدة والمعاجم اللغوية لاستنباط المعاني والدلالات، ثم قامت الباحثة بتصنيف هذه الآيات والأحاديث وفق القيمة التي تتعلق بها، وذلك **إجابة على السؤال الأول من أسئلة الدراسة** وتوصلت الباحثة إلى تحديد خمس قيم من القيم التي ترتبط بالتعامل مع كبار السن، حيث كانت هذه القيم الخمس الأكثر وضوحًا في هذه النصوص ، وهي كما يلي:

- **قيمة البرّ: وقد** خلصت الباحثة إلى تعريف البر بالمعنى **الاصطلاحي العام بأنه**: معنى يشمل كل خلق حسن حثت عليه الشريعة الإسلامية ودعت إليه.

ويعرف البر أيضا بمعنى أضيق من ذلك فيكون مختصًّا ببر الوالدين: وهو طاعتهما ومصاحبتهما والعطف عليهما والإحسان إليهما، والعمل على كسب رضاهما، والتفاني في تقديم الخدمة لهما.

- **النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت فيها قيمة البر:**

لقد جاء في كتاب الله تعالى آيات تدل على قيمة البِر، منها قوله تعالى: (فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ .....) البقرة: ١٧٧]، قال الزَّمخشريُّ: "البِرُّ في هذه الآية اسم للخير، ولكلِّ فعل مُرْضٍ" (٢٠٠٩م ، ١٠٨)، وقال الثوري (في ابن كثير، ٢٠٠٠م،١٢٦): (فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ) قال: هذه أنواع الخير كلها. وصدق رحمه الله، فإن من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كلها" ، ويؤيد هذا المعنى ما ذكره القرطبي (١٣٨٧هـ، ٢٣٨) في تفسيره أيضًا لهذه الآية، حيث قال: "البرّ هنا اسم جامع للخير والتقدير "وما ذكره أيضًا السعدي (١٤٢٠هـ، ٤٥٦) في تفسيره لمعنى الإحسان في قوله تعالى: (تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ)[الاسراء: ٢٣} ً أي أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي".

ولقد امتُدِحَ عيسى ويحيى عليهما السلام لبِرهما قال الله تعالى في مدح عيسى عليه السلام : بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ) [مريم: ٣٢] "أي وصاني أن أبرّ والدتي فأحسن لها غاية الإحسان وأقوم بما ينبغي لها لشرفها وفضلها ولكونها والدة لها حق الولادة وتوابعها" (السعدي، ١٤٢٠هـ، ٤٩٢).

وقد ذكر (ابن كثير، ٢٠٠٠م، ٨٢٤) في تفسير هذه الآية ما يظهر وجوب البر حيث قال: "أي وأمرني ببر والدتي، ذكره بعد طاعة الله ربه، لأن الله تعالى كثيرًا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين، كما قال: (تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ)[الاسراء:٢٣}، وقوله: (وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ) {مريم:٣٢} أي لم يجعلني مستكبرًا عن عبادته وطاعته، وبر والدتي فأشقى بذلك، كما ذكر السعدي (١٤٢٠هـ، ص٤٥٦) في تفسير قوله تعالى: (تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ) {الاسراء:٢٣}مما يؤكد أيضًا وجوب البر، "فذكر بعد حقِّه جل وعلا، حق الوالدين فقال: (ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ) أي أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي، لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه، والقرب، ما يقتضي تأكيد الحق ووجوب البر، "بل وامتدحت هذه القيمة

في نبي الله يحيى ٧، فقد كان بارًّا بوالديه، محسنًا لهما قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤﴾ [مريم: ١٤] ذكر ابن كثير (٢٠٠٠م، ٨٢٠) في معنى البر في هذه الآية أي مجانبًا لعقوقهما قولا وفعلا، أمرًا ونهيًا.

وذكر السعدي (١٤٢٠هـ، ٤٩٠) في معنى قوله: (ث ث) معنى قريب مما ذكره ابن كثير في معنى البر، فقال: "أي لم يكن عاقًا، ولا مسيئًا إلى أبويه بل كان محسنًا إليهما بالقول والفعل".

ويزداد التأكيد على البر في مرحلة الكبر، وهي مرحلة الضعف والحاجة، فقد أورد القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ [الإسراء: ٢٣] أن الله تعالى خص حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاج فيها الوالدان إلى البِر، لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فألزم في هذه الحالة مراعاة أحوالهما أكثر من قبل فيحتاج أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر" (القرطبي، ١٣٨٧هـ، ٢٤١).

وقال السعدي (١٤٢٠هـ، ٤٥٦) أيضًا في تفسير هذه الآية: "أي إذا وصلا إلى هذه السن التي تضعف فيه قواهما، ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف".

كما أن التعبير القرآني في كلمة (عندك) في قوله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ يدل على أن الأبوين عندما يكبران في السن يكونان في رعاية الابن وعنده، فيصبح المسؤول عنهما بعد أن كانا هما المسؤولين عنه، لهذا نبه الأبناء لرعاية الكبير في هذه المرحلة لأن طول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة ويحصل الملل، ويكثر الضجر، فيظهر غضبه على والديه وتنتفخ أوداجه، ويستطيل عليهما لقلة الديانة، وأقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر (القرطبي، ١٩٦٧م، ٢٤١)، ولما ذكر الله تعالى جملة: ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ كلف الإنسان في حق الوالدين خمسة أشياء:

فالأول قوله تعالى: ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ أي لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرُّم، وتقال لكل ما يُضجر ويستثقل، والثاني: قوله: ﴿وَمَن كَانَ﴾ أي تزجرهما وتغلظ عليهما.

والثالث: قوله: (مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ) أي: لينًا لطيفًا، والرابع: قوله: (مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) أي عاملهما بشفقة وتذلل كما يتذلل الرعية لأميرهم، والعبيد لسادتهم، والخامس: قوله سبحانه وتعالى: (بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) أي وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية إن كانا مسلمين (القرطبي، ١٩٦٨م، ٢٤١، ٢٤٣).

بل ومما يؤكد عظم هذه القيمة بشكل أكبر هو أمر الابن ببر والديه على الرغم من شركهما كما في قوله تعالى: (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ) [لقمان: ١٥]، قال ابن كثير (١٤٢٠هـ، ١٠٦٣) في تفسيرها أي "إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما في دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصحبهما في الدنيا معروفًا أي محسنًا إليهما " كما أن البر ليس قاصرًا على الوالدين فقط، حيث ذكر السعدي (١٤٢١هـ، ٤٥٦) "أنه يفهم من خلال هذه الآية: (وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ) [الإسراء:٢٣]، أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك كل من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين فإن له على مَن رباه حق البر".

ولقد خصَّ رسول الله ﷺ مرحلة الكبر بالاهتمام، والرعاية، وألزم الأبناء ببر الوالدين في هذه المرحلة من العمر لحاجتهم إلى البر بكل أنواعه ومعانيه المشار لها سابقا عند الحديث عن أنواع البر، وبين خسارة من حرم بر والديه الكبيرين في السن؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "رغم أنفه. ثم رغم أنفُه. ثم رغم أنفُه. قيل: مَن يا رسولَ اللهِ؟! قال: من أدرك والديه عند الكبرِ، أحدَهما أو كليهما، ثم لم يدخلِ الجنةَ".(مسلم ، ١٩٧٥: ٢٥٥١) ففي هذا الحديث "حث على بر الوالدين، وعظم ثوابه. ومعناه أن برَّهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة، أو النفقة، أو غير ذلك سبب لدخول الجنة؛ فمن قصَّر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه"؛ فالوالدان الكبيران هما من فئة كبار السن في مجتمعنا.

ومن الأحاديث الدالّة على قيمة البر حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البِر والإثم، فقال: "البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس" (مسلم ، ١٩٨٠: ٢٥٥٣) قال العلماء في معنى البر في هذا الحديث "أن البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع الخلق"، فهذا الحديث يدل على المعنى العام والواسع للبر، كما أن هناك من الأحاديث ما يدل على قيمة البر بمعنى

الإحسان إلى الوالدين، ويدل أيضًا على عظم هذه القيمة، منها حديث أبو الوليد عن شعبة قال: الوليد بن عيزار أخبرني قال سمعت أبا عمر والشيباني يقول: "أخبرنا صاحب هذه الدار – وأومأ بيده إلى دار عبد الله – قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها. قال ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين. قال ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال حدثني بهن، ولو استزدته لزادني" (البخاري ،١٣٧٩ه: ٥٩٧٠) قال ابن التين: "تقديم البر على الجهاد يحتمل وجهين: أحدهما التعدية إلى نفع الغير، والثاني أن الذي يفعله يرى أنه مكافأة على فعلهما، فكأنه يرى أن غيره أفضل منه، فنبَّه على إثبات الفضيلة فيه. قلت: والأول ليس بواضح، ويحتمل أنه قُدّم لتوقف الجهاد عليه، إذ من بر الوالدين استئذانهما في الجهاد، لثبوت النهي عن الجهاد بغير إذنهما، كما في حديث أبي العباس عن عبدالله بن عمرو قال: "قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد. قال: لك أبوان؟ قال نعم. قال: ففيهما فجاهد". (البخاري،١٣٧٩ه: ٥٩٧٢) "إن كان لك أبوان فأبلغ جهدك في برهما والإحسان إليهما، فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدو". (العسقلاني، ١٤٠٧ه ـ، ٤٠٠-٤٠٣).

ومما يدل بشكل أكبر على عظم هذه القيمة أن عُدّ عقوق الوالدين كبيرة من كبائر الذنوب، قال ابن عمرو عن النبي ﷺ قال: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرت السؤال، وإضاعة المال".(البخاري، ١٣٧٩ه: ٥٩٧٥) "فالعقوق بضم العين المهملة مشتق من العق وهو القطع، والمراد به صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل إلا في شرك أو معصية ما لم يتعنت الوالد". (العسقلاني، ١٤٠٧ه ـ، ٤٠٦).

ومما سبق من عرض النصوص السابقة وشروحها تخلص الدراسة لعدد من الاستنباطات التربوية حول قيمة البر للتعامل مع كبير السن كالآتي:

١- ندرك أن البر قيمة عظيمة ليست مقتصرة على بر الوالدين بل تشمل كل خلق حسن يوجه للصغار، وللكبار على وجه الخصوص، ويؤيد هذا المعنى قول الزَّمخشريُّ وقول الثوري، والقرطبي المذكورة سابقاً والتي بينت أن البر يشمل جميع أنواع الخير، ويؤكدها الحديث السابق للنواس بن سمعان رضي الله عنه عندما سأل رسول الله ﷺ عن البر، وهذا يدل على أن البر يأتي بمعنى مجامع الخلق الحسن.

٢- أن البر سبب للألفة بين الناس وللسعادة في الدنيا والآخرة، قال الماوردي رحمه الله (في بن حميد، ملوح، ١٤٣٣هـ، ٧٥٣): إن البِر من أسباب الألفة، لأنه يوصل إلى القلوب ألطافًا يثنيها محبة وانعطافًا، ولذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به، وقرنه بالتقوى، فقال سبحانه: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [المائدة:٢]، كما أن بر الكبير من الوالدين على وجه الخصوص سبب للسعادة وتركه سبب للشقاء، دل على ذلك ما ذكره (ابن كثير،

٢٠٠٠م،٨٢٥) في تفسير قوله تعالى: (هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَأَصْلَحَ [مريم: ٣٢]، (وَبَيِّنَتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَأَصْلَحَ أي لم يجعلني مستكبرًا عن عبادته وطاعته، وبر والدتي فأشقى بذلك "فجعل التجبر على الوالدين وعقوقهما سببًا للشقاء، وبرهما سببًا للسعادة، لذلك أشد ما تكون حاجة الإنسان للبر في مرحلة الكبر".

٣- أن الكبير في السن عمومًا محتاج لمزيد عناية ورعاية، وأن لا يكون وحدَه، بل عند أبنائه أو من هو مسؤول عنه، بسبب حالة الضعف التي يمر بها، وإن لم يكن هناك مكان يؤوي الكبير أو قريب يقوم بشأنه فالدولة مسؤولة عن رعايته وتوفير المكان الذي يؤويه ويحفظ له كرامته، وهذا يؤيده ما ذكره القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: (وَبَيِّنَتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ) ومما ذكره أن الله تعالى خص حالة الكبر، لأنها الحالة التي يحتاج فيها الوالدان إلى البِر، لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فألزم في هذه الحالة مراعاة أحوالهما أكثر من قبل، فيحتاج أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر (القرطبي، ١٣٨٧هـ، ٢٤١) وكذلك يؤيده ما ذكره (النووي، ١٤١٦، ١٠٨) في شرحه لحديث رسول الله ﷺ "رغم أنفه. ثم رغم أنفُه. ثم رغم أنفُه. قيل: مَن يا رسولَ اللهِ؟! قال: من أدرك والديه عند الكبرِ، أحدَهما أو كليهما، ثم لم يدخلِ الجنةَ"(مسلم ،١٩٨٠: ٢٥٥١) ففي هذا الحديث "حث على بر الوالدين، وعظم ثوابه. ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة، أو النفقة، أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه".

٤- أن كبير السن يتأثر بالكلمات التي توجه له، وتؤثر على نفسيته بشكل كبير لذا فهو محتاج إلى تعامل خاص يُراعى فيه الجانب النفسي لشدة حساسيته وسرعة تأثره، ومما يدل على هذا قول القرطبي (١٩٦٨م، ٢٤١- ٢٤٣) "أن الله تعالى بعد جملة (وَبَيِّنَتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ) كلف الإنسان في حق الوالدين خمسة أشياء: فالأول قوله تعالى: (مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ) أي لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم، وتقال لكل ما يضجر ويستثقل، والثاني: قوله: (وَمَن كَانَ) أي تزجرهما وتغلظ عليهما، والثالث: قوله: (مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ) أي لينًا لطيفًا، والرابع: قوله: (مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ) أي عاملهما بشفقة وتذلل كما يتذلل الرعية لأميرهم، والعبيد لسادتهم، والخامس: قوله

سبحانه وتعالى: (ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية إن كانا مسلمين"، هذه الأمور الخمسة جاءت كلها عدا خفض الجناح متعلقة بجانب لفظي يوجه للكبير، وهذا يدل على الأثر الكبير للكلمات التي توجه لكبار السن.

٥- أن البر عمل محتاج إلى صبر، ومجاهدة، وترك لبعض حظوظ النفس وملذاتها، يدل على ذلك ما ذكره العسقلاني (١٤٠٧ه، ٤٠٠-٤٠٣) في شرحه لحديث أبي العباس "عن عبد الله بن عمرو قال: قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد. قال: لك أبوان؟ قال نعم. قال: ففيهما فجاهد" (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٥٩٧٢) فقد ذكر أنه "إن كان لك أبوان فابلغ جهدك في برهما والإحسان إليهما، فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدو" ولذلك فإن الكبير في السن على وجه العموم محتاج إلى البر بسبب ضعفه وشدة حاجته إلى من يسانده.

- **قيمة التواضع:**

التواضع: لقد جاء في الكتاب والسنَّة ما يدل على قيمة التواضع في التعامل مع كبار السن، وقبل أن نعرض ما يدل على ذلك ستتناول الباحثة المعنى اللغوي والاصطلاحي لقيمة التواضع فيما يلي:

في اللغة: [و ض ع]. (مصدر تَوَاضَع) أي تذلل وتخاشع (الفيروز آبادي، ١٤٢٦هـ، ٧٧٢)

ومعناه في الاصطلاح: "رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقُّه فضله ومنزلته. وهو وسطٌ بين الكِبْر والضِّعَة، فالضِّعَة: وضع الإنسان نفسه مكانًا يزري به بتضييع حقِّه. والكِبْر: رفع نفسه فوق قدره" (الأصفهاني، ١٤٢٨هـ، ٢١٣).

وعرفه جنيد بن محمد بأنه خفض الجناح ولين الجانب.

ويعني أيضًا "أن لا ترى لنفسك قيمة، فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب" (في ابن قيم الجوزية، ١٤٢٦هـ، ٦٨١).

- **النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت فيها قيمة التواضع:**

إن المتأمل في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ يجد الكثير من الآيات والأحاديث الدالة على هذه القيمة، التي تحث عليها، منها قوله تعالى: (فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ) [الفرقان: ٦٣]، فهذه الآية كما ذكر (السعدي، ١٤٢٠هـ، ٥٨٦) "وصفت عباد الرحمن بأفضل الصفات فوصفتهم بأنهم (يمشون على الأرض هونا): أي ساكنين متواضعين لله وللخلق، فهذا وصفٌ لهم بالوقار، والسكينة والتواضع لله، ولعباده"، وفسرها (القرطبي ،١٣٨٧هـ، ٦٨-٦٩) بقوله: "يمشون على الأرض حلماء متواضعين، وقال ابن عباس: بالطاعة والمعروف والتواضع، وقيل: لا يتكبرون على الناس"، ولقد جاء في آيات أخرى ما يؤكد هذا المعنى، كما في قوله تعالى:

((واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)) [الشعراء: ٢١٥]، حيث بيَّن السعدي (١٤٢٠هـ، ٥٩٩) أن معنى هذه الآية: "هو لين الجانب والتودد والتحبب اليهم، وحسن الخلق والإحسان التام، وقد فعل رسول الله ﷺ ".

كما جاء الحث على هذه القيمة في آيات أخرى، يقول تعالى: (بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ) [آل عمران: ١٥٩].

ذكر (ابن كثير ،٢٠٠٠م، ٢٥٥) في تفسيرها أن من رحمة الله بك وبأمتك أن جعلك لينًا لهم، وذكر (السعدي ،١٤٢٠هـ، ١٥٤) معنى لهذه الآية مشابه لما ذكره ابن كثير "ذكر أن من رحمة الله لك ولأصحابك أن منَّ الله عليك أن ألَنْتَ لهم جانبك، وخفضتَ لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك فاجتمعوا عليك فأحبوك وامتثلوا أمرك".

فاتصاف النبي ﷺ بهذه الصفة هو حث للجميع للاقتداء به والتخلق بأخلاقه والتعامل مع الناس بما كان الرسول ﷺ يتعامل به مع الناس أجمعين، بل إن الله تعالى جعل التواضع من صفات أهل الإيمان، قال تعالى: بَيْنَهُمْ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ)[المائدة: ٥٤]، فهذا الذل هو ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات ولين، وليس ذل الهوان الذي صاحبه ذليل (ابن قيم الجوزية، ٢٠٠٥م، ٦٧٧) وذكر (القرطبي ،١٣٨٧هـ، ٢٢٠) أن معنى أذلة "نعت لقوم، أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم، من قولهم: دابة ذلول أي تنقاد سهلة، وليس من الذل في شيء، وقال ابن عباس: هم للمؤمنين كالولد للوالد، وكالسيد للعبد".

ولقد جاءت آيات أخرى تنهى عن خلق التكبر والتعالي، كما في قوله تعالى: (وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا) [الإسراء:٣٧]، ذكر السعدي (١٤٢٠هـ، ٤٥٦) "أن معنى مرحا أي كبرًا وتيهًا وبطرًا، متكبرًا على الحق متعاليًا على الخلق"، وذكر ابن كثير (٢٠٠٠م، ٧٦٨) أن هذه الآية "ناهية لعباده عن التجبر والتبختر في المشية (وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا) أي متبخترًا متمايلا تمشي مشي الجبارين، وقوله: (وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا) أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك".

كما يتجلى معنى التواضع للكبير في الآيات التي رسمت منهج التعامل مع الوالدين؛ فهما يمثلان فئة كبار السن في المجتمع عند بلوغهما سن الكبر، كما في قوله

تعالى: بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) [الإسراء:٢٣-٢٤]، وقد فسر ابن كثير رحمه الله (١٤٢١هـ، ص٧٦٤) معنى خفض الجناح في هذه الآية بالتواضع لهما بالفعل، كما أن هذه الآية تنبهنا إلى خاصية لكبير السن ألا وهي الحساسية المفرطة، لذا نهانا الله عز وجل عن معاملة الكبير بطريقة تؤثر في نفسه حتى ولو كانت كلمة أو إشارة توحي بالضجر والضيق منه، بل ويكون هذا الضجر عظيمًا عند الله إن كان صادرًا من أحد أبنائه" (العبيد، ١٤٢٣هـ، ٢٧).

أما في السنة النبوية، فقد جاء ما يدل على قيمة التواضع في مواضع متعددة، إما صريحة وإما بالمعنى، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله" (رواه مسلم، ١٩٨٠: ٢٥٨٨) و ذكر النووي (١٤١٦هـ، ١١٠) في شرحه لهذا الحديث أن قوله ﷺ: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله". فيه وجهان: أحدهما يرفعه في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه. والثاني أن المراد ثوابه في الآخرة، ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا. قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة، وقد يكون المراد الوجهين معًا في جميعها في الدنيا والآخرة.

فهذا الحديث يرغب في قيمة التواضع وأهمية تمثلها في التعامل مع الناس جميعًا لأجل ما أعده الله تعالى للمتواضعين في الدنيا والآخرة، كما أن من الأحاديث ما يحذر من البغي والتكبر كحديث عياض بن حمار رضي الله عنه: أنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله أوحى إليّ: أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد» (رواه مسلم،١٩٨٠: ٢١٩٩) ، وذكر (الصنعاني ،١٩٩٩م، ٣٩٩) أن "عدم التواضع يؤدي إلى البغي لأنه يرى لنفسه مزية على الغير، فيبغي عليه بقوله أو فعله ويفخر عليه ويزدريه".

بل إن النبي محمد ﷺ كان يتمثل هذه القيمة في تعامله مع الجميع صغارًا، وكبارًا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير: "يا أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَير؟". (رواه البخاري،١٣٧٩: ٦١٢٩) ، وقال الإمام النووي (١٤١٦هـ، ٥٦) ومما جاء في شرح الحديث: "أن فيه فوائد كثيرة جدا؛ منها بيان ما كان نبي الله عليه من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع وزيارة الأهل".

وذكر (القاري، ٢٠٠٢م، ٣٠٦١) أن في هذا الحديث ما يدل على كمال خلق النبي -ﷺ- وأن رعاية الضعفاء من مكارم الأخلاق، وأنه يستحب استمالة قلوب الصغار،

وإدخال السرور في قلوبهم، كيف لا، وقد قال تعالى في وصفه الكريم: (أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى) [القلم:٤]

وعن الأسود قال: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها : ما كان النَّبيُّ ﷺ يعملُ في بيتِهِ؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٦٠٣٩) فقد كان ﷺ يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله تواضعًا منه وكرم خلق، ولا غرابة فهذا هو خلق الأنبياء ﷺ ، قال ابن بطال في (العسقلاني، ١٤٠٧ه، ٤٦١): "إن من أخلاق الأنبياء التواضع والبعد عن التنعم، وامتهان النفس ليُستن بهم، ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة في قوله تعالى: بَيْنَهُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ) [المزمل:١١]، فكان ﷺ على قدر عالٍ من هذه الأخلاق؛ "فهو هين المؤونة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه باسم، متواضع من غير ذلة، جواد من غير سرف، رقيق القلب رحيم بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم" (ابن القيم، ٢٠٠٥م، ٦٧٩-٦٨٠)

بل وجاء في بعض الأحاديث أمر بالتواضع كما في حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد". (رواه مسلم١٣٧٩: ٢٨٦٥) وذكر (ابن عثيمين ، د.ت، ٣٧٢) في شرحه لهذا الحديث "يعني أن يتواضع كلُّ واحد للآخر، ولا يترفَّع عليه، بل يجعله مثله أو يكرمه أكثر، وكان مِن عادة السَّلف رحمهم الله أنَّ الإنسان منهم يجعل مَن هو أصغر منه مثل ابنه، ومَن هو أكبر مثل أبيه، ومَن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى ما هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال، وإلى مَن هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى مَن هو مثله نظرة مساواة، فلا يبغي أحدٌ على أحد، وهذا مِن الأمور التي يجب على الإنسان أن يتَّصف بها، أي بالتَّواضُع لله عزَّ وجلَّ ولإخوانه مِن المسلمين".

بل وجاء في أحاديث أخرى أن التواضع ولين الجانب سبب لدخول الجنة بينما التكبر والتعالي سبب للحرمان منها، كما في حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر". (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٤٩١٨) وذكر (ابن عثيمين ، د.ت، ٣٤) أن علامة أهل الجنة أن يكون الإنسان ضعيفًا متضعفا، أي لا يهتم بمنصبه ولا بجاهه، أو يسعى لعلو المنازل في الدنيا ولكنه ضعيف في نفسه، لأنه يرى أن المهم أن يكون له جاه عند الله تعالى.

بل ومما يدل بوضوح على تواضعه ﷺ بشكل خاص للكبير، عندما جاء أبو بكر رضي الله عنه بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين

يديه فقال لأبي بكر: "لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه" تكرمة لأبي بكر، فأسلم ورأسه ولحيته كالثغامة بيضاء، فقال: "غيروهما وجنبوهما السواد". (أخرجه ابن حبان، ١٤١٤ه ، ٢٨٦).

يقول السرجاني (٢٠١١م) معلقًا على هذا الحديث: "إنه القائد المنتصر الذي يدخل مكة فاتحًا، وأبو قحافة شيخ كبير تأخَّرَ إسلامه أكثر من عشرين عامًا، ومع ذلك يوقِّره رسول الله ﷺ ، ويرى أنه كان الأَوْلى أن يتحرك هو - وهو الرسول الزعيم المنتصر - إلى بيت الشيخ! هذه هي منزلة كبار السن في عين رسول الله ﷺ ".

فهذه الآيات والأحاديث ترغِّب في قيمة التواضع بل وتأمر بالتحلي بها، وتدعو إلى نبذ الكبر والتعالي مع المسلمين جميعًا، ومع الكبير على وجه الخصوص، تقديرًا لهم، وتأدبًا معهم ورأفة بحالهم، لأنهم أصبحوا من بعد قوة ضعفاء يتأثرون بكل كلمة وسلوك يُوَجه لهم.

ومما سبق تخلص الدراسة لعدد من الاستنباطات التربوية حول قيمة التواضع في التعامل مع كبير السن وهي كالآتي:

١- أن المنهج الإسلامي اهتم بالفرد بشكل عام، وحض على إكرامه واحترامه، وبين أن التعامل الذي يجب أن يكون بين المسلم وأخيه يجب أن يكون قائمًا على التواضع والإحسان، يؤيد هذا ما ذكره السعدي (١٤٢٠، ٥٩٩) في قوله تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) [الشعراء: ٢١٥]، أن معنى هذه الآية هو لين الجانب والتودد والتحبب إليهم، وحسن الخلق والإحسان التام لهم". فإذا كان هذا هو المنهج العام في التعامل مع الأفراد على وجه العموم، فإن كبير السن هو أحوج ما يكون إلى التواضع ولين الجانب على وجه الخصوص.

٢- أن صفة التواضع صفة على المؤمن أن يتحلى بها، وأن تتجلى في شخصيته، وفي تعامله مع جميع من حوله، يؤكد هذا ما ذكره القرطبي (١٣٨٧هـ، ص ٦٨-٦٩) والسعدي (١٤٢٠، ٥٨٦) في قوله تعالى: (فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ) [الفرقان: ٦٣]، فهي وصفت عباد الرحمن بأفضل الصفات، فوصفتهم بأنهم (يمشون على الأرض هونا)، ويؤكد هذا المعنى ما ذكره القرطبي (١٣٨٧هـ، ٢٢٠) في قوله تعالى: (فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ) [المائدة:٥٤]، أن معنى أذلة "نعت لقوم، أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم" ولعل هذه الصفة تتجلى بوضوح حين يتعامل المؤمن مع مَن هو دونه، إما في المال أو القوة ككبير السن الذي ضعف حاله. ورق عظمه.

٣- أن التواضع ولين الجانب سبب لقبول الحق، والمحبة بين الناس يؤيد هذا ما ذكره ابن كثير (٢٠٠٠، ٢٥٥) والسعدي (١٤٢٠، ١٥٤) في قوله تعالى: (بِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾) [آل عمران:١٥٩]، أن من رحمة الله بك وبأمتك أن جعلك لين الجانب لهم، وخافضًا لهم جناحك، وحسنت لهم خلقك فاجتمعوا عليك فأحبوك وامتثلوا أمرك، بل ويؤكد هذا الأمر بشكل أكبر تمثل النبي محمد ﷺ بهذه الصفة وهو القائد، والداعي إلى دين الإسلام، فتواضعه لأمته وكمال أخلاقه جعل الأمة قاطبة ممن عاش معه، ومن أتى بعده، من مسلمين، وكثير ممن هم على غير الإسلام يجمعون على محبته وقبول دعوته، يدل على تواضعه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير: "يا أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَير؟" (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٦١٢٩)، ومما ذكره الإمام (النووي ،١٤١٦هـ، ٥٦) في شرح الحديث: إن في هذا الحديث بيان ما كان النبي ﷺ عليه من حسن الخلق، وكرم الشمائل والتواضع، وزيارة الأهل، فإذا كان هذا هو هدي النبي محمد ﷺ في تعامله مع الناس جميعًا، فنحن علينا الاقتداء به في تعاملنا مع من حولنا، بمن فيهم كبار السن.

٤- خص الله تعالى مرحلة الكبر بالإكرام والتواضع، بل وأوجب توقيرهم، لأن الكبير في هذه المرحلة من العمر يكون قد وصل إلى مرحلة يشعر فيها بالضعف والحاجة إلى من حوله نتيجة حالة الضعف العامة التي يمر بها الكبير، والتي تشمل الجوانب النفسية، والجسمية، والتي تشعر الكبير بأنه أصبح عبأ على أسرته، فهو يشعر كما ذكر (محمد ،٢٠١١م، ٢٥٧) "بأن من حوله لا يطيعون له أمرًا وينازعونه السلطة في الأسرة، وهو ما يحز في نفس المسن، ويجعله عرضه للمعاناة من التوتر والألم النفسي"، لكن عندما يجد الكبير من أسرته تواضعا له، وعدم التأفف والانزعاج من حالة الضعف التي يمر بها يشعر بالانتماء والراحة النفسية والطمأنينة، يؤكد ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا» (رواه الترمذي، ١٩٩٨: ١٩١٩) "فليس منا تهديد وتحذير، ليس من إساءة المعاملة، بل من عدم الاحترام والتوقير" (الزعبي، ٢٠١٠م، ص٤٢).

٥- أن التواضع للكبير ليس مقتصرًا على اللين في القول معه، بل يكون بالفعل، لأن كبير السن سواء كان ممن لايزال يتمتع بقوته وصحته أو من أصبح في حالة ضعف وعجز عن القيام بأبسط الأمور، حتى عن لبس حذائه، وقضاء حاجته، ونحوها مما تأنف النفس من فعله، فكان المعنى الحقيقي والواضح للتواضع هو بالفعل وليس

بالقول، يؤكد هذا قوله تعالى: بَيْنَهُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [الإسراء: ٢٣ - ٢٤]، فقد فسر ابن كثير (١٤٢١هـ، ٧٦٤) معنى خفض الجناح في هذه الآية بالتواضع لهما بالفعل "ولهذا تتأكد قيمة التواضع مع الكبير مراعاة لحالة الضعف التي يمر بها وإكراما له.

٦- أن من التواضع للكبير وتوقيره تلبية مطالبه وتوفير احتياجاته، وعدم تكليفه بأمور لا يطيقها، بل وتقديم الخدمات التي يحتاجها دون أن يكلف ببذل جهد بدني، فالكبير في هذه المرحلة يمر بحالة ضعف عامة يدل على هذا قوله تعالى: بَيْنَهُمْ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٣﴾ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ) [مريم: ٤]، يقول (ابن كثير ،١٤٢١هـ، ٨١٨): "أي ضعفت وخارت القوى، واضطرم المشيب في السواد، والمراد من هذا الإخبار عن حالة الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة"، لذلك كان "من أهم مطالب هذه المرحلة الراحة الجسمية" (الهاشمي، ١٤٠٠هـ، ٣٦٦) كما يظهر ذلك جليًّا في سلوك النبي ﷺ مع والد أبي بكر رضي الله عنه ، حين وضعه بين يديه فقال لأبي بكر: «لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه»، ودل عليه أيضًا قوله تعالى: بَيْنَهُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [الإسراء:٢٣-٢٤]، فقد ذكر(القرطبي، ١٩٦٨م، ٢٤١- ٢٤٣) في تفسير لقوله تعالى: (مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ) أي عاملهما بتذلل وشفقة كما يتذلل الرعية لأميرهم، والعبيد لسادتهم، "فهذه الآية تؤكد أهمية التواضع عند التعامل مع كبير السن، بل وتصبح لزامًا على المسلم يستحق على تركه العقوبة الكبيرة، عندما يكون هذا الكبير أحد الوالدين.

-**الاعتراف بالفضل**:

لقد جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ العديد من المواقف التي تدل على قيمة الاعتراف بالفضل لأهله، ومنهم الكبار الذين أفنوا زهرة شبابهم كفاحًا وعملًا، وقبل أن

نستعرض ما يدلّ عليها في الكتاب والسنة، سنستعرض في البداية تعريفا لهذه القيمة، وللتعريف به كالتالي:

لغة: أصلها (عَرَفَ): "تدل على تتابع الشيء متصلًا بعضه ببعض، وتدل أيضًا على السكون والطمأنينة، واعتراف بالشيء، إذا أقر، كأنه عرفه فأقر به" (ابن فارس، ١٣٩٩هـ، ج ٤، ٢٨٢).

الفضل لغة: "الفضل والفضيلة ضد النقص والنقيصة، والإفضال: الإحسان" (الرازي، ١٩٨٦م، ٢١٢).

ومعنى الاعتراف بالفضل اصطلاحًا: هو "أن يقر المتفضل عليه من بفضل من يصدر عنه الفضل ولا يجحده، أو يتناساه، ولا شك أن المولى - عزّ وجلّ - هو صاحب الفضل في الأولى والآخرة، إذ هو المتفضل على أهل الدنيا، مسلمهم وكافرهم بنعمه التي لا تُحصى، وفي الآخرة يدخل عباده الصالحين الجنة ويورثهم دار المقامة من فضله" (ابن حميد وابن ملوح، ١٤١٨هـ، ج٢، ٣٩٧).

- النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت فيها قيمة الاعتراف بالفضل:

لقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على الاعتراف بالفضل في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: بَيَنَهُمۡۚ لَهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ) [النمل: ٤٠]، و(ذكر السعدي ،٢٠٠٠م، ٦٠٥) أن "سليمان عليه السلام حمد الله تعالى على أقداره وملكه وتيسير الأمور له، وعلم أنه يُختبر بهذا الأمر فلم يغترَّ بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين"، وذكر (القرطبي، ١٣٨٧هـ، ٢٠٦) في قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ) "أي لا يرجع نفع ذلك إلى نفسه، حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها"، ويؤيد هذا المعنى اعتراف يوسف بفضل الله عليه وعلى الأنبياء قبله، في قوله تعالى: بَيۡنَهُمۡ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ) [يوسف: ٣٨]، و ذكر(السعدي ،٢٠٠٠م، ٣٨٩) في تفسيره لهذه الآية أن هذا من أفضل مننه وإحسانه وفضله علينا وعلى من هداه الله كما هدانا، فإنه لا أفضل من منة الله على العباد بالإسلام، والدين القويم، فمن قبله وانقاد له فهو حظه، وقد حصل له أكبر

النعم وأجل الفضائل "كما أن هناك آيات تدعو إلى الاعتراف بالفضل لأهله وترغِّب في ذلك، كما في قوله تعالى: (وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [البقرة: ٢٣٧]، وذكر (ابن كثير ،٢٠٠٠م، ١٧٥) أن معنى الفضل هنا هو الإحسان، ويقول (السعدي ،٢٠٠٠م، ١٠٥) في هذه الآية "إن الفضل هو أعلى درجات المعاملة، لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو أخذ الواجب وإعطاء الواجب، وإما فضل وإحسان وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق، والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة ولو في بعض الأوقات، وخصوصًا لمن بينك وبينه معاملة أو مخالطة فإن الله مجازٍ المحسنين بالفضل والكرم".

وقوله تعالى: (مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) [الإسراء: ٢٤]، يقول (القرطبي ،١٣٨٧هـ، ٢٤٤) في هذه الآية: "أمر الله تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك، إذ ولياك صغيرًا جاهلا محتاجًا، فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكسواك، فلا تجزهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر، فتلي منهما ما وليا منك، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم، وخص التربية بالذكر «كما ربياني» ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقا لهما وحنانًا عليهما".

وقد فسر السعدي هذه الآية بقوله: "ادع لهما بالرحمة أحياءً وأمواتا، جزاءً على تربيتهما إياك صغيرًا، وفُهم من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه، تربية صالحة غير الأبوين، فإن له على من رباه حق التربية" (السعدي،١٤٢٠هـ، ٤٥٦).

وقد جاء في السنة الشريفة ما يدل على الاعتراف بالفضل في مواضع عديدة، منها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ "إن من أمن الناس عليَّ في صحبته وماله: أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلا غير ربي، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوَّة الإسلام ومودته لا تبقين في المسجد باب سدَّ إلا باب أبي بكر" (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٣٤٥٤) وذكر (العسقلاني ،١٤٠٧هـ،ص ٣٤٥٤) أنه في هذا الحديث تظهر فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وأنه كان متأهلا لأن يتخذه النبي - ﷺ - خليلا لولا المانع المتقدم ذكره، وفيه شكر المحسن والتنويه بفضله والثناء عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عله وسلم: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» صححه الألباني (الترمذي، ١٣٩٥هـ: ١٩٥٤)، فهذا الحديث

يدل على أن ديننا الحنيف دعا إلى الإقرار بالجميل وتوجيه الشكر لِمَن أسداه إلينا؛ حتى تسود العلاقات الطيبة في المجتمع "ولما كان من طبع الإنسان أن يهشّ إذا نُسب له الخير، وتوجه إليه بالشكر، كان الاعتراف بالفضل باعثًا على مرضاته، بعد مرضاة الله تعالى، لأن من يشكر الناس فإنما هو في الحقيقة يشكر المولى الذي أجرى الخير على يديه" (حميد، ملوح، ٢٠١٢م، ٣٩٩)، وجاء ما يؤكد هذا المعنى في حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - ﷺ - على المنبر: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ" (الإمام أحمد، ١٤١٩ه : ١٨٤٧٢). ولعل أحق من يعترف بفضله هم كبار السن الذين ذهبت زهرة شبابهم في خدمتنا ونحن صغار، "ولما بذلوه من عطاء، وقدموه لأمتهم البشرية من صنع كريم، وجهود خيرة، لذلك نهى الشرع أن يمس حسهم وشعورهم بما يخدشه ويؤثر فيه" (العمري، ٢٠١٠م، ١٥٩)، بل إن الابن مع والديه لو بذل لهما ما يملك، وقدم لهما ما يستطيع، فلن يقدر على أن يكافئهما أو يرد شيئًا من جميلهما عليه لقول رسول الله ﷺ: "لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه" (رواه مسلم، ١٤١٦ه:١٥١٠) علق (الصنعاني ،١٩٩٩م، ٢٧٤) على هذا الحديث بقوله: "وإنما كان عتقه جزاء لأبيه لأن العتق أفضل ما منَّ به أحد على أحد لتخليصه من الرق، فتكمل له أحوال الأحرار من الولاية والقضاء والشهادة بالإجماع"، فهذا وغيره من الآيات والأحاديث تدل على أن لصفة الاعتراف بالفضل منزلة عظيمة، يعود نفعها وخيرها على الفرد والمجتمع، فهي سبب لتآلف المجتمع وتحابهم واستقرارهم.

ومما سبق تخلص الدراسة لعدد من الاستنباطات حول قيمة الاعتراف بالفضل في التعامل مع كبير السن كالآتي:

- حث الإسلام المسلم على أن يشكر من أدى إليه معروفًا وأن يكافئه إن استطاع، دل على ذلك حديث النبي ﷺ: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ" (الامام أحمد ١٤١٦ه : ١٨٤٧٢)، وقوله ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله". (رواه الترمذي ، ١٣٩٥ه:١٩٥٤). وأحق من يعترف بفضلهم هم كبار السن الذين أفنوا شبابهم لخدمة أبنائهم وأوطانهم، يؤكد هذا قول (القرطبي ،١٣٨٧هـ، ٢٤٤) في تفسير قوله تعالى: بَيْنَهُمْ مِّنْ أَتَىٰهِ أُخَرَ ۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) [الإسراء: ٢٤]، ففي هذه الآية أمر بالترحم والرفق بالوالدين جزاء ما قدما وبذلا لأبنائهم في مرحلة الصغر.

- أن الناس جميعًا قد فُطروا على حبِّ الشكر والثناء عليهم كما دل على ذلك قول رسول الله ﷺ في الحديث المذكور سابقاً "إن من أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله: أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلا غير ربي، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوَّة الإسلام ومودته لا تبقين في المسجد باب سدَّ إلا باب أبي بكر" (رواه البخاري، ١٣٩٧: ٣٤٥٤) فإذا كان هذا هو أمر فطري جبل عليه جميع الناس فإن أولى من يشكر لهم فضلهم وبذلهم كبار السن فهم أحوج ما يكون لسماع كلمات الشكر والاعتراف بالفضل لحساسيتهم المفرطة وليشعروا بمكانتهم وأهميتهم بالنسبة لمن حولهم.

- إذا كان الله أمر الرجل الذي طلق زوجته قبل الدخول بها، وكذلك المرأة التي طلقها زوجها قبل الدخول بها بالاعتراف بالفضل والإحسان لبعضهما، فمن باب أولى أن يكون الكبير الذي أحسن، وبذل، وقدم هو أحق بالاعتراف بفضله وأحوج ما يكون إليه، تقديرًا له وإشباعًا لحاجته للمدح والثناء، دل على ذلك ما ذكره (ابن كثير ،٢٠٠٠، ١٧٥) و(السعدي ،٢٠٠٠م، ١٧٥) في تفسير قوله تعالى: (وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ) [البقرة: ٢٣٧].

- يلحظ أن الأمر بالدعاء لهما في قوله تعالى: (يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ) [الإسراء: ٢٤] يعني الاعتراف بفضلهما، وجاء عند بلوغهما مرحلة الكبر، وذلك لشدة حاجتهما لهذا الأمر في هذه المرحلة، ولما له من الأثر الإيجابي على الجانب النفسي للكبير، فقد ذكر (الزهراني ،١٤٢٦هـ، ١٢٣) أن "المسن يحب من يتكلم عن إنجازاته الماضية ويثني عليها، لأن هذا الأمر يشعره بالرضى والطمأنينة ويساعده على التوافق النفسي والاجتماعي".

٤-٤- قيمة الصبر:

وللتعريف به كالتالي:

لغة: حبس النفس عن الجزع، وصَبَره أي حبسه، والتصبر تكلف الصبر (الرازي، ١٩٨٦م، ص١٤٩).

اصطلاحًا: عرفه (ابن القيم،١٤١٦ه، ٢٤١) بأنه "حبس عن التسخط واللسان عن الشكوى، والجوارح عما لا ينبغي فعله، وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية".

- النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت فيها قيمة الصبر:

تتضح أهمية قيمة الصبر والحث عليها في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ ، من ذلك قوله تعالى: (مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ) [النحل:٩٦] يقول (ابن كثير ،٢٠٠٠م، ٧٤٣) إن قوله تعالى: (وَعَلَى

ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ) قسمٌ من الرب تعالى مؤكدٌ باللام، أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم، أي ويتجاوز عن سيئها"، وذكر (السعدي ،٢٠٠٠م، ٤٤٩) في معنى الصبر في هذه الآية: "صبر على طاعة الله، وعن معصيته، وفطموا نفوسهم عن الشهوات الدنيوية المضرة بدينهم (﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ) الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا".

وأمر الله بها المؤمنين، فقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ) [آل عمران: ٢٠٠] وأثنى على أهله، فقال تعالى: (عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ) [البقرة: ١٧٧]، قال الحسن البصري رحمه الله في (ابن كثير، ٢٠٠٠م، ٢٦٩) "أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم، وهو الإسلام، فلا يدعوا إلى سراء ولا لضراء، ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم".

وأخبر الله تعالى بمحبته للصابرين، فقال تعالى: (و ۏ ۏ) [آل عمران: ١٤٦]، ومعيته لهم، فقال تعالى: (فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ) [الأنفال:٤٦].

ووعدهم أن يجزيهم أعلى وأوفى وأحسن مما عملوه، قال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ) [الزمر:١٠]

ذكر (القرطبي، ١٣٨٧هـ، ٢٤١) في معناها "أي بغير تقدير، وقيل يزيد على الثواب، لأنه لو أعطي بقدر ما عمل لكان بحساب وقيل (بِغَيۡرِ حِسَابٖ) أي بغير متابعة أو مطالبة، كما تقع المطالبة بنعيم الدنيا"، وذكر الأوزاعي (في ابن كثير، ٢٠٠٠، ص ١١٨٣) "ليس يوزن لهم ولا يكال لهم، إنما يغرف لهم غرفا"، وقال مالك بن أنس (في القرطبي، ١٣٨٧هـ، ص٢٤١) في معنى الصبر بأنه "هو الصبر على فجائع الدنيا وأحزانها".

وبشرهم، فقال تعالى: (ڤ ڤ) [البقرة: ١٥٥] وأخبر أن جزاءهم الجنة فقال تعالى: (طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ)[الإنسان:١٢] "أي بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريرا ومنزلا رحبًا، وعيشًا رغدًا، ولباسًا حسنا"(ابن كثير، ٢٠٠٠م، ١٤٩٦).

ومن الأحاديث التي تدعو لهذه القيمة حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له". (رواه مسلم١٩٨٠: ٢٩٩٩) قال (ابن عثيمين ، د.ت، ١١٤): "أي: أن الرسول ﷺ أظهر العجب على وجه الاستحسان لأمر المؤمن، أي: لشأنه، فإنَّ شأنه كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، ثم فصل الرسول ﷺ هذا الأمر الخير فقال: "إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له". وهذه حال المؤمن وكل إنسان، فإنه في قضاء الله وقدره بين أمرين: إما سراء وإما ضراء، والناس في هذه الإصابة ينقسمون إلى قسمين: مؤمن وغير مؤمن، فالمؤمن على كل حال ما قدر الله له فهو خير له، إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر على الله فكان خيرًا له، فنال بهذا أجر الصابرين، وإن أصابته سراء من نعمة دينية كالعلم والعمل الصالح، ونعمة دنيوية كالمال والبنين والأهل شكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله عز وجل فيشكر الله فيكون خيرًا له، ويكون عليه نعمتان: نعمة الدين ونعمة الدنيا، نعمة الدنيا بالسراء، ونعمة الدين بالشكر هذه حال المؤمن، وأما الكافر فهو على شرٍّ - والعياذ بالله - إن أصابته الضراء لم يصبر بل يضجر، ودعا بالويل والثبور، وسبَّ الدهر، وسبَّ الزمن، والحديث فيه الحث على الصبر على الضراء، وأن ذلك من خصال المؤمنين، وعنوان الإيمان لديهم، وإن رأيت بالعكس فلُمْ نفسك، وعدِّل مسيرك، وتُبْ إلى الله".

وعن ابن عباس رضي الله عنه: "أنه قال لعطاء: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ ، قالت: إني أُصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت؛ ولك الجنة. وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك. قالت: أصبر. قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها"(رواه البخاري١٤٦٩:١٣٧٩) وعلق (ابن عثيمين ، د.ت، ص١٣٩) على هذا الحديث فقال: امرأة سوداء تصرع وتتكشف أخبرت النبي محمد ﷺ وسألته أن يدعوا الله لها فقال لها: إن شئتِ دعوت الله لك، وإن شئتِ صبرت ولك الجنة، فاختارت الصبر، وإن كانت تتألم وتتأذى من الصرع لكنها صبرت من أجل أن تكون من أهل الجنة.

وفي حديث آخر يؤكد المعنى السابق، وهو أن الصبر على الابتلاء سبب لدخول الجنة حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ الله - عز وجل - قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، فصبر عوضته منهما الجنة - يريد عينيه" (رواه البخاري١٣٧٩: ٥٦٥٣). قال ابن بطال: "في هذا الحديث حجة في أنَّ الصبر على البلاء ثوابه الجنة، ونعمة البصر على العبد، وإن كانت من أجلِّ نعم الله تعالى فعوض الله عليها الجنة أفضل من نعمتها في الدنيا؛ لنفاد مدة الالتذاذ بالبصر في الدنيا، وبقاء مدة الالتذاذ به في الجنة".

فهذه الآيات والأحاديث، هي دعوة صريحة للتخلق بهذه القيمة العظيمة ليس في وقت معين بل جاءت عامة في جميع الظروف لفضلها وقيمتها، وتتضح قيمة الصبر بشكل خاص في التعامل مع كبار السن، وذلك من خلال تعامل الأبناء مع والديهم الذين يمثلون فئة كبار السن، فالله تعالى وجه الخطاب للأبناء في قوله تعالى: (كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن)[لقمان: ١٤ - ١٥] "فهذه وصية من الله تعالى للأبناء سيسأل هل حفظها أم لا؟ ومن هذه الوصية وصيته بالإحسان إلى الوالدين بالقول اللين والفعل الجميل والقيام بمؤنتهما واجتناب الإساءة لهما من كل وجه" (السعدي، ١٤٢٣هـ، ٦٤٨) فالإنسان إذا تقدَّمَتْ به السنّ، قد يصل إلى مرحلة أرْذَل العمر كما ذكرها الله تعالى في قوله: (.....ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ .....) [الحج: ٥] وقال (القرطبي ،١٩٦٦، ١٢) هذه المرحلة تعني "أخس أدنى الهرم والخرف الذي لا يعقل"، وقال (ابن كثير ،٢٠٠٠، ٨٨٤) هي الشيخوخة والهرم وضعف القوة والعقل والفهم وتناقص الأحوال من الخرف وضعف الفكر، "فإذا بلغَ الوالدان أو كبار السن عمومًا هذه السنّ، فإن أوْلى الناس بِتَحَمُّلِهم والصّبر عليهم هم الأبناء، الذي طالما تحمَّل الآباء من أجلهم الكثير، وطالما صبَروا عليهم وأحسنَوا إليهم، فالحياة دَيْنٌ ووفاءُ، وكبار السن أحق الناس بالوفاء، فقد أفنوا حياتهم في الخدمة والعطاء فحق على كل من تولى رعايتهم أن يصبر عليهم.

ومما سبق نستنتج عدد من الاستنباطات حول قيمة الصبر في التعامل مع كبير السن كالآتي:

١- أن مرحلة الكبر تعد مرحلة ابتلاء للكبير نفسه ولمن يرعاه لأنها تعتبر مرحلة تدهور صحي عامة لجميع أعضاء، ووظائف الجسم، فكان على الكبير نفسه ومن يرعاه واجب الصبر على هذا البلاء، يؤكد هذا المعنى بشكل عام قوله تعالى(عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ) [البقرة:١٧٧]، ويؤكده أيضًا قول رسول الله ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له" (رواه مسلم، ١٩٨٠ :٢٩٩٩)، بل ومما يؤكد أن الكبير بحاجة إلى مزيد رعاية وعناية وصبر وصية الله تعالى للأبناء لرعاية آبائهم في قوله تعالى: (كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ

سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) [لقمان: ١٤]، بل إن رعاية الكبير ليست بالأمر الهين، بل تحتاج إلى صبر وتحمُّل، لأنها مرحلة ضعف كما في قوله تعالى: (كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ ذْ) [الروم: ٥٤] "فهي فترة يتغير فيها الإنسان تغيرًا فسيولوجيًا إلى صورة أخرى ليست بأفضل من سابقتها، لأن الصورة الجديدة يصاحبها ضمور في كثير من الأعضاء وفقدان ملموس للقوة والحيوية" (محمد، ٢٠١١م، ٢٥٤) لذلك فالكبير محتاج لمن يصبر على رعايته والعناية به.

٢- إن من الواجب على كل من يرعى كبار السن من الأبناء ونحوهم الصبر على حالة النسيان أو الخرف التي يمر بها الكبير وعدم التحرج من ذلك وعزله، بل يجب مساعدته وتجنيبه حالة العزلة والصبر على كل ما يصدر منه نتيجة لذلك، "لأن القوى العقلية تتناقص كلما تقدم الإنسان في العمر" (محمد، مرسى، ٢٠٠٦م، ٢٤٣) يؤكد هذا ما ذكره (القرطبي ،١٩٦٦، ١٢) و(ابن كثير ،٢٠٠٠م، ٨٨٤) في تفسير قوله تعالى: (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ)، حيث ذكروا أن مرحلة الكبر تعني مرحلة ضعف القوة والعقل، والخرف، وتناقص الأحوال بشكل عام.

٣- أن أولى من يصبر على الكبير من الآباء هم الأبناء شكرًا لما قدمه الآباء لهم، وردًّا لمعروفهم وتقديرًا لتربيتهم ورعايتهم له في طفولته، فصبر الابن على والديه الكبيرين لا يوازي حجم التعب الذي لقيه الوالدان خصوصًا الأم أثناء الحمل والولادة والإرضاع والتربية، يؤكد هذا ما ذكره (السعدي ،١٤٢٣هـ، ٦٤٨) في تفسيره لقوله تعالى: (كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن) [لقمان: ١٤ - ١٥] "أن هذه وصية من الله تعالى للأبناء سيسأل هل حفظها أم لا؟ ومن هذه الوصية وصيته بالإحسان إلى الوالدين بالقول اللين والفعل الجميل والقيام بمؤنتهما واجتناب الإساءة لهما من كل وجه" (السعدي، ١٤٢٣هـ، ٦٤٨).

٤-٥- قيمة الرحمة:

في اللغة: قال تعالى: (تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن) أي عطفًا والرَحُمون بالضم: الرحمة، وما أقرب رُحُم فلان إذا كان ذا مرحمة وبرّ، وفي التنزيل: (وأقرب رُحما) قال أبو إسحاق فيها: "أي أقرب عطفًا وأمسّ بالقرابة" (ابن منظور، ٢٠٠٣م، ١٦١٣).

اصطلاحًا: "خلق مركّب من الود والجزع! والرحمة لا تكون إلا لمن تظهر منه لرَاحمِه خِلَّة مكروهة، إما نقيصة في نفسه، وإما محبة عارضة. فالرحمة هي محبة للمرحوم، مع جزع من الحال الذي لأجلها رحم" (الجاحظ، ١٩٨٩م، ٢٤).

- النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت فيها قيمة الرحمة:

ذكر (السرجاني، د.ت، ٨٣) أن أول ما يلفت الأنظار في كتاب الله تعالى أن كل السور باستثناء سور التوبة قد صُدِّرت بالبسملة وألحق بالبسملة صفتان الرحمن والرحيم، وهذا دلالة على أهمية الرحمة في التشريع الإسلامي، "وفي سورة الكهف تكرر ذكر الرحمة في عدد من المواضع، منها قوله تعالى: (إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ)[الكهف: ١٠]، أي تثبتنا بها وتحفظنا من الشر وتوفقنا للخير، وقوله تعالى: (أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ) [الكهف: ٦٥] ورحمة هنا معناها رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله، وقوله تعالى: (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ) [الكهف: ٨٢] (السعدي، ٢٠٠٠م، ٤٧١)، وقد وصف القرآن الكريم محمدًا ﷺ بالرحمة، قال تعالى: (ک ک گ گ) [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله تعالى(كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ) [التوبة: ١٢٨]، فهو رؤف رحيم، شفيق، ومن شفقته على الأمة تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله: "لولا أن أشقَّ على أمتي، أو على الناسِ لأمَرتُهم بالسواكِ معَ كلِّ صلاةٍ". (رواه البخاري، ١٣٧٩: ٨٨٧) "ومن رحمته أيضًا أنه ﷺ كان إذا سمع بكاء الصبي، فيتجوز في صلاته" (أبو العينين، ١٤٠٨، ١٣٦).

وقد أخبر الله تعالى عن نبينا محمد ﷺ وأصحابه بأنهم رحماء بينهم في قوله تعالى: (فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ) [الفتح: ٢٩].

ومن صور رحمة الرسول ﷺ بالكبير أنه جاء شيخ ذات يوم يريد النبي ﷺ ، فأبطأ القوم أن يُوسِّعوا له، فَرَقَّ له رسول الله ورَحِمَه، وقال: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا"(الترمذي، ١٣٩٥ : ١٩٢٠) إنه يقول: كما ذكر (السرجاني، ٢٠١١م) إن الذي لا يرحم الصغير ولا يوقِّر الكبير ليس منا، نحن المسلمين، أي أنه لا يتصف بصفاتنا، ولا يعمل بأعمالنا، ولا يتخلَّق بأخلاقنا، وهذا يدل على منزلة كبار السن في عين رسول الله ﷺ ، بل إنه يرفض أن تطول الصلاة الجماعية - مع حبِّه لها وتعظيمه

لقدرها - لأن ذلك قد يشق على كبير السن وغيره من أصحاب الحاجات، وهذا دليل على نظرته الشمولية لمسألة الرحمة، ودليل على اتساع أفقه، وإدراكه لحقيقة الإسلام، وإنه في الأساس رحمة للناس وليس مشقة وعذابًا لهم..

ويرى أيضًا أن هذه الرحمة إن كانت لعموم كبار السن، فإنها ولا شك أعظم وأجل في حق الوالدين، فالأبوان في كثير من بلاد العالم - الذي يسمونه متحضرًا في زماننا - لا يجدان رعاية ولا عونًا من أبنائهما بعد أن يتقدم بهما العمر، وتضعف منهما الصحة، لكن الأمر ليس كذلك عند رسول الله، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صَحَابَتي؟ قال: "أمك". قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ". قَالَ: ثُم مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ". قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثم أبوك"(رواه البخاري، ١٣٧٩، : ٢٥٤٨، ص٤٠٠).

فأحق الناس بالصحبة ليس الصديق ولا الحاكم ولا صاحب العمل ولا غير هؤلاء، إنما أحق الناس بالصحبة الأم ثم الأب، وقدَّم الأم ثلاثًا لضعفها وشدة احتياجها عند كبرها.

هذه هي رحمة النبي ﷺ بالأم والأب، ولْيُقارن أهل الأرض بين هذه الرحمة وما يحدث في العالم أجمع! بل إنه في موقف آخر يقول ما يتفطَّر له القلب رقةً وتأثرًا!

لقد جاءه رجل يقول له: إني جئت أبايعك على الهجرة، ولقد تركت أبويَّ يبكيان، فقال رسول الله ﷺ: "ارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما" (مسند الإمام أحمد،١٤١٦ه : ٦٤٩٠)، فالرجل جاء يبايع على الهجرة، والأمر جد خطير، ومع ذلك فالرسول يهتم - ليس فقط برضا والديه وراحتهما - بل بضحكهما وسرورهما!!

فهذه هي رؤيته لكبار السن في أمته، وهذه هي رؤيته للواجب نحوهم ونحو الوالدين خصوصا، ولن يكون في العالم من يأتي بمثل ما جاء به محمد ﷺ.

ومما سبق نستنتج عدد من الاستنباطات حول قيمة الرحمة في التعامل مع كبير السن كالآتي:

١- أن للكبير في السن مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة يجب أن تُقدَّر، فيُوَقَّر لكبره، ويُرحَم لضعفه، دلَّ على ذلك ما ذكره (السرجاني، ٢٠١١م) تعليقًا على حديث النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا» (الترمذي،١٣٩٥ : ١٩٢٠) فقد نفى أن يكون من المسلمين، وهذا يدل أيضًا على أن المسلم يجب أن تكون صفة الرحمة ملازمة له، وهذا ما أكدته الآية في قوله تعالى: (فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ) [الفتح: ٢٩].

٢- أن الرحمة ليست مقتصرة على اللين في القول والتلطف فيه فقط، بل يجب أن يصحبها فعل، يؤكد ذلك أمر النبي ﷺ للشاب الذي ذهب للجهاد ليس فقط بالرجوع لوالديه والسلام عليهم بل قال: "ارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما". (الإمام

أحمد،١٤١٦ه : ٦٤٩٠)، أيضًا أمر النبي محمد ﷺ للشاب بالرجوع لوالديه وإضحاكهما يدل على حاجة الكبير للرحمة؛ فحجم الألم الذي يشعران به في حالة فقد الابن ونحوه له أثر عميق على نفسيتهما لأن "المسن في هذه المرحلة عرضة للمعاناة من التوتر والشعور بالألم النفسي، وهذا ما يجعله يشعر بالعزلة وافتقاد السند والمعين" (محمد، ٢٠١١م، ٢٥٧).

٣- أنه كلما ازداد ضعف الإنسان تأكدت حاجته لمزيد رحمة وإحسان، وهذا ما أكدت عليه الشريعة الإسلامية، يؤكد هذا المعنى حديث الرجل الذي جاء إلى رسول الله ﷺ يسأله، فقال: "يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صَحَابَتي؟"، قال: "أمك. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثم أبوك" (رواه البخاري،١٣٩٧: ٢٥٤٨، ٤٠٠)، فالأم أكثر ضعفًا وأشد حاجة من الأب، لذلك جاء التأكيد على حقها رحمة لضعفها ولشدة حاجتها للرعاية والعناية.

المبحث الثالث : الأساليب و التطبيقات التربوية لقيم التعامل مع كبار السن في الأسرة في ضوء قيم التربية الإسلامية: ستتناول الباحثة الأساليب والتطبيقات التربوية لقيم التعامل مع كبار السن في الأسرة، وقد اقتصرت الباحثة على خمس منها، وستجيب الباحثة في هذا الفصل عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة ؟

وقد رأت الباحثة تقسيم التطبيقات التربوية المتعلقة بالأسرة إلى قسمين هما:

١- **الأساليب التربوية:** لقد ابتكر المسلمون عددًا كبيرًا ومتنوعًا من أساليب التربية مستمدين معظمها من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه محمد ﷺ ، وقد اقتصرت الباحثة على الأساليب التي ذكرها (العقيل ،١٤٣٥هـ، ١٥٥ -١٧١)، وهي "أسلوب القدوة الحسنة، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب الحوار والموعظة الحسنة، وأسلوب التربية بالأحداث والمواقف، وأسلوب الإقناع العقلي، والقصة "، لأنها تعد من أشهر الأساليب، وأكثرها فاعلية في الأسرة، وهي طرق أثبتت نجاحها على مر التاريخ.

وبالنظر إلى طريقة عمل القيم نجد أنها تعمل مع بعضها البعض فكل قيمة تحتاج للقيمة الأخرى وترتبط بها، لذلك فإن تربية الأسرة على القيم لا يعني استقلال كل قيمة عن الأخرى، بل إن غرس كل قيمة متضمن للأخرى.

٢- **البرامج التربوية:** وتنقسم إلى برامج مطبقة في الواقع، وبرامج مقترحة ترى الباحثة ضرورة تطبيقها.

أولا: الأساليب التربوية:

- **أسلوب القدوة الحسنة:**
- **قيمة البر:**

١- إن تعامل الوالدين مع آبائهم بالبر والإحسان يكسب الأبناء هذه القيمة، عن طريق الاقتداء بهم، فالأب الذي يطعم والديه الكبيرين، ويقوم على شأنهم فيشتري لهما

كل ما يحبانه، ويتفقد منزلهما، من حيث الأعمال المنزلية، فيصلح ما يحتاج إلى إصلاح، ويقوم بتغيير ما يلزم دون طلب من الوالدين، يبني هذه القيمة في أبنائه.

٢- كذلك الأم التي تتلطف مع والدتها وتؤانسها، وتقوم بغسل ملابسها، وتنظف المنزل، وتشتري كل ما تحتاجه والدتها، وتزور صديقاتها، وتثني على والدتها أمامهن، وغيرها من أعمال البرِّ التي يُوفَّق لها العبد، عندما يقوم بها الوالدان على مرأى من الأبناء يكسبهم هذه القيمة ويستشعرون مكانة قيمة البر وفضلها ومع الكبير على وجه الخصوص.

٣- كثرة دعاء الوالدين لوالديهما على مسمع من أبنائهما هذا يجعل الأبناء يستشعرون مكانة وقيمة الوالدين الكبيرين وأهمية برهما.

- **قيمة التواضع:**

١- إن تواضع الوالدين لأبنائهما ولآبائهما يبني هذه القيمة في سلوك الأبناء، فالابن الذي يرى والده أو والدته يحضر الحذاء لوالديه الكبيرين في السن ويلبسهما إياه، ويزيل الأذى عنهما دون تأفف أو اشمئزاز، يجعل الابن ينشأ متحليًا بقيمة التواضع، فيمارسها مع كل كبير في السن

٢- أيضًا عندما يرى الابن معاملة والديه للأقارب الكبار في السن بتواضع وتلطف ولين جانب يكسبهم هذه القيمة ويتعامل بها مع الكبار في السن.

- **قيمة الاعتراف بالفضل:**

١- إن إكثار الوالدين من عبارات الاعتراف بالفضل لكل كبير في السن كان له فضل عليهما، وأمام مسمع الأبناء، يجعل الابن يعتاد حفظ الجميل والاعتراف بالفضل، فالوالدان عندما يذكران لأبنائهما فضل والديهما عليهما وأن ما يقدمانه لوالديهما لا يعادل فضل والديهما عليهما، يجعل الأبناء يعتادوا على ذكر الجميل والاعتراف به.

٢- أيضًا الدعاء للوالدين ولكل من يسدي لك جميلا هو دليل الاعتراف بالفضل والجميل، لذلك على الوالدين الإكثار من الدعاء لوالديهما أمام مسمع الأبناء ليعتادوا حفظ الجميل والاعتراف بالفضل.

- **قيمة الصبر:**

١- أيضًا عندما يرى الأبناء صبر آبائهم وأمهاتهم على رعاية والديهم الكبيرين في السن، وتحملهم كل أذى يصدر منهما نتيجة حالة الضعف التي يمران بها؛ سواءً في أجسادهم، أو في ذاكرتهم، وعدم التأفف منهما أو إظهار الانزعاج من ذلك ينمي هذه القيمة في نفس الأبناء.

٢- تجلُّد الوالدين وصبرهما حال المصائب التي تعترض الأسرة يكسب الأولاد هذه القيمة لأن الوالدين يمثلان القدوة لهم.

- **قيمة الرحمة:**

١- إن تعامل الوالدين مع والديهما الكبيرين في السن، بل وتعاملهما مع كبار السن عمومًا برحمة وشفقة يكسب الأولاد هذه القيمة، كذلك إشراك الأبناء في مساعدة الكبير، وتقديم العون له في كل ما يحتاجه رحمة بحاله وإكرامًا لشيبته يعزز هذه القيمة في الأولاد.

٢- أيضًا إن رحمة الوالدين بالخدم وبالكبار منهم خاصة، فلا يحملونهم أعمالا كثيرة ترهقهم، ويمنحونهم فرصة التواصل مع أهلهم، هذه الأعمال تبني قيمة الرحمة في أنفس الأولاد.

- **أسلوب الحوار :**
- **قيمة البر:**

١- لكل عائلة وقت يجتمع فيه جميع أفرادها ويتبادلون أطراف الحديث بينهم، فمن الجميل أن تخصص الأسرة جزء من وقت هذه الجلسات في حوار مع الأبناء عن فضل الوالدين الكبيرين، وعن البذل والعطاء الذي قدمه والداهما لهما، هذا الحوار من شأنه أن يشعر الأبناء بمكانة كبار السن ويبني فيهم قيمة البر.

٢- عندما يخطئ أحد الأبناء في حق والدته الكبيرة، أو يرفع صوته عليها، على الأب أن يحاوره مذكرًا إياه بحق الأم، فيسأله: ماذا أجاب الرسول ﷺ الرجل الذي جاء يسأل عمَن أَحَق الناسِ بحُسنِ صحابته؟ وينتظر إجابة ابنه، فإذا انتهى من الإجابة ينبهه إلى أهمية البرِّ وشدة حاجة الكبير له.

- **قيمة التواضع:**

١- أن لا يكثر الوالدان أثناء محاورة أبنائهما من مدح وتمجيد أنفسهما أو قبيلتهما أو أعمالهما وإنجازاتهما، لأن هذا يجعل الأولاد ينشؤون على الفخر والكبر، فعندما يتكلم الأب عن نفسه في حواره مع أبنائه فلا يذكر ما يدل على فخره بعائلته أو أي أمر من الأمور التي يفتخر بها، ويبين لهم أن الكرامة والرفعة هي للمتقين .

- **قيمة الاعتراف بالفضل:**

١- عندما تحل نعمة على الأسرة أو تدفع عنهم نقمة كنجاتهم من حادث سير أو حصولهم على مسكن جديد ونحوه، على الوالدين أن يجلسوا مع أبنائهما ويحاوروهم، ويبينوا لهم أن ماحل بهم هو من نعم الله عليهم، لأن أول ما يبني في الأبناء قيمة الاعتراف بالفضل هو شكر الله تعالى واعترافهم بنعمه وتقربهم له بالعمل الصالح، فالله تعالى هو المتفضل عليهم بكل خير، وهو الأحق بالشكر، ، فإذا نما فيه هذا الخلق مارسها مع الجميع بمن فيهم كبار السن.

٢- عندما يسمع أحد الوالدين من أبنائهم ذمًّا لشخص معين، كالمعلم مثلا، على الوالدين محاورة الأبناء وتذكيرهم بفضل المعلم، والأعمال التي قدمها، ليتعلم النظر

إلى الجانب الإيجابي فيمن حوله، والاعتراف بالفضل لكل ذي فضل، ومن أهل الفضل الذين يستحقون الاعتراف بفضلهم كبار السن.

- **قيمة الصبر:**

١- عندما تمر بالأسرة أو الابن مصيبة معينة، ينبغي على الوالدين استغلالها لبناء قيمة الصبر، فيحاور الأب والأم أبناءهما ليعرفوهم بقيمة الصبر وأهميته، ويذكرانهم بالآيات والأحاديث التي تدل على عظم مكانة هذه القيمة، ويطلبان من الأبناء ذكر القصص التي مرت بهم أو بمن حولهم، والتي تجلت فيها هذه القيمة.

٢- مما يبني قيمة الصبر على كبار السن، أن يذكر الوالدان للأولاد موقفًا من مواقف الحياة التي مرت بهما، وتجلت فيها قيمة الصبر على الكبير ثم يطلبان من الأبناء التعليق على هذا الموقف وسؤالهم لماذا الكبير تحديدًا محتاج إلى الصبر؟

- **قيمة الرحمة:**

١- عندما يرى الوالدان أحد أبنائهما يعتدي على من هم دونه في العمر، أو حتى طير، أو حيوان عليهما أن يستغلا هذا الموقف فيحدثان الابن عن فضل الرحمة، ومكانتها، وأن رحمته بمن هو دونه أو أضعف منه، بل وحتى بالحيوان قد تكون سببًا لدخوله الجنة.

٢- تمر بالأب أو بالأم الكثير من المواقف الواقعية أو المشاهد التلفزيونية، التي تتجلى فيها معاني الرحمة، كحوادث الإنقاذ المتكررة، والأعمال الإنسانية التي تبذل فيها، لذلك على الوالدين استغلال هذه المواقف وزرع قيمة الرحمة في نفوس الأبناء، فيحدث الوالدان أبناءهما عن الأسباب التي دفعت هؤلاء لهذه الأعمال الكبيرة، وأن السبب الأول لذلك هو الرحمة التي يتحلون بها، وطمعهم برحمة الله تعالى لهم.

- **أسلوب القصة:**

- **قيمة البر**

١- ذكر قصص البر للأبناء أثناء الاجتماعات الأسرية، كقصة عيسى عليه السلام وبره بوالدته، وإبراهيم عليه السلام وبره بوالده، كذلك قصة أويس القرني وبره بوالدته، وقصة أصحاب الغار الذين أطبقت عليهم الصخرة، ومناقشة الأبناء في أثر هذه القيمة على أصحابها لتتعزز وتبنى هذه القيمة في نفوسهم، ولتكون عامة في تعاملهم مع من حولهم بما فيهم كبار السن.

٢- ذكر القصص المعاصرة التي عايشها الأب أو الأم عن البر للأبناء يعزز أيضًا قيمة البر في نفوسهم.

- **قيمة التواضع:**

١- أن يحرص الوالدان على قراءة سيرة النبي ﷺ للأبناء، ففيها من القصص والأحداث ما يبني في الأبناء قيمة التواضع، كتواضعه في مأكله وملبسه ونومه وتعامله مع من حوله، كتواضعه لكبار السن.

٢- القصص الواقعية التي مرت بالوالدين أو بمن حولهم كقصص تواضع بعض المعلمين أو كبار الشخصيات ونحوها ما يعزز هذه القيمة.

- **قيمة الاعتراف بالفضل:**

١- ذكر قصص من السيرة النبوية تتحدث عن قيمة الاعتراف بالفضل كاعتراف النبي ﷺ بفضل خديجة وأبي بكر ، وبفضل الأنصار.

٢- يذكر الوالدان قصصًا من تضحيات والديهما لهما، وما قدماه من جهود ساهمت في وصوله إلى هذه المرحلة، هذا السلوك يبني في الأبناء قيمة الاعتراف بالفضل لكل من حوله ككبار السن.

- **قيمة الصبر:**

١- إن في قصص الأنبياء وصبرهم على أقوامهم من أجل الدعوة إلى الله تعالى مادة مكثفة لبناء قيمة الصبر، فلو خصصت الأم لأبنائها قراءة قصة من قصص الأنبياء قبل النوم، وناقشتهم فيها يعزز فيهم قيمة الصبر فيمارسونها في حياتهم ومع من حولهم ككبار السن.

- كذلك في قصص الصحابة والسلف الصالح وصبرهم على الأذى من أجل التمسك بالإسلام، كقصة بلال ابن رباح رضي الله عنه ، وكذلك القصص المعاصرة التي عايشها الوالدان ما يبني قيمة الصبر.

- **قيمة الرحمة:**

١- إن حياة النبي محمد ﷺ تبني في الأبناء قيمة الرحمة، فهو أُرسل رحمة للعالمين، فكان رحيمًا في تعامله مع الخلق جميعًا، بل ومع الحيوانات والطيور، لذلك على الأسرة أن تخصص عددًا من أيام الأسبوع لقراءة السيرة النبوية ومناقشة الأبناء فيها، وتخصيص بعض هذه الدروس لقصص تتجلى فيها رحمة النبي ﷺ في تعامله مع كبار السن.

٢- أن يطلب الوالدان من الأبناء ذكر قصص شاهدوها أو قرأوها تحكي قيمة الرحمة، وتحديدًا الرحمة بكبير السن.

٣- بإمكان الأسرة عمل مسابقة لأفضل قصة يكتبها الأبناء عن قيمة الرحمة بكبير السن وتخصص جوائز لهذه المسابقة.

- **أسلوب التربية بالأحداث والمواقف:**

- **قيمة البر**

١- عندما يصطحب أحد الوالدين أولادهم معهم ويرون أحد مشاهد البر التي تتكرر كثيرًا إما في المسجد أو السوق ونحوه، كابن يُلبِس أباه حذاءه، أو يسقيه ماء، أو يحمله للسيارة، وغيرها من أعمال البر، فعليه أن يستغل هذه المواقف ويلفت انتباه أبنائه إلى هذه القيمة، وأهميتها، وشدة حاجة الكبير لها.

٢- عندما يرى الأب أو الأم أحد والديهما محتاجًا لأمر ما على الوالدين استغلال هذا الموقف وإشراك أبنائهما، في تقديم البر لوالديهما، فعندما يكون الأبناء شركاء في أعمال البر التي يقوم بها الوالدان لوالديهما، يجعل الأبناء يعتادونها منذ الطفولة، فترسخ هذه القيمة لديهم.

- **قيمة التواضع:**

١- يحضر في كثير من المناسبات التي تمر بالأسرة كبار السن ممن لهم حق الاحترام والتقدير والتواضع، فعندما يصحب الأب أو الأم أبناءهم لهذه المناسبات، ويشاهدون مواقف التوقير والتواضع للكبير، بل ويشركونهم فيها، كتقديم القهوة أو تقريب الطعام لهم، يبنى في الأولاد قيمة التواضع بشكل عام وللكبير على وجه الخصوص.

- **قيمة الاعتراف بالفضل:**

١- على الوالدين أن يستغلا حضور أبويهما الكبيرين في السن أو أحدهما إلى المنزل فيذكران فضلهما لأبنائهما وما قدموه لهما في حياتهما.

٢- على الأب والأم استغلال مواقف الخصومة بين الأبناء أو بين الابن وأحد زملائه في تربيته على الاعتراف بالفضل وعدم إنكاره بسبب هذه الخصومة، وهذا يغرس في الأبناء قيمة الاعتراف بالفضل مع الجميع وللكبير على وجه الخصوص.

٣- أيضًا استغلال الاجتماعات العائلية والمناسبات كالأعياد في اقتناء الهدايا لمن لهم فضل على الشخص، كالوالدين والإخوة، يربي في الابن قيمة الاعتراف بالفضل وشكر المحسن فيمارسونها مع الجميع بما فيهم كبار السن.

- **قيمة الصبر:**

١- عندما يرى الأولاد صبر والديهم على رعاية آبائهم الكبار في السن في شدة ضعفهم وحاجتهم إليهم دون تأفُّف من الأبناء أو شكوى، بل يُشعرون أبناءهم بسعادتهم وهم يرعون آباءهم ويذكرون لهم أن صبرهم على والديهم لا يقاس بصبر آبائهم على رعايتهم في طفولتهم، فكل هذه المشاهد والأحداث تربي الأولاد على قيمة الصبر على كبير السن.

- **قيمة الرحمة:**

١- على الأب والأم أن يستغلا المناسبات التي يكون فيها كبار السن لغرس قيمة الرحمة في أبنائهما، فكثيرا ما يكون الكبير في السن بحاجة لأمور كثيرة كالإمساك بيده للوقوف والمشي أو تقريب الكرسي له وحمله عليه ونحوها، لذلك على الآباء أن يحثوا أبنائهم على القيام بهذه الأعمال للكبير في السن رحمة به وتوقيرًا له، وهذا يجعل الأبناء يمارسون هذه القيمة في كل موقف يجمعهم بأي كبير في السن.

- **أسلوب الترغيب والترهيب:**
- **قيمة البر:**

١- على الوالدين أولا تحبيب الأولاد وترغيبهم في قيمة البر، عن طريق ذكر الأجر الذي سيلقاه في الأخرة، والتوفيق والسعادة التي سينالها في الدنيا إن عمل بها، كذلك ذكر الأحاديث والقصص التي تحث على البر وترغب فيه، فالأم التي تجلس مع أولادها وتختار قصة من القصص الواقعية التي تجلت فيها قيمة البر ستجد تأثيرها عليهم في تطبيقها مع من حوله بما فيهم كبار السن.

٢- إذا لم يفد الترغيب في الأولاد، ينتقل الوالدان إلى الترهيب، وذلك بذكر عقوبة العاقِّ في الدنيا والأخرة، لتخويفهم وزجرهم عن هذا الفعل، ويوردان الأحاديث والآيات التي تدل على ذلك كحديث رسول الله ﷺ: «رغم أنفه. ثم رغم أنفُه. ثم رغم أنفُه. قيل: مَن يا رسولَ اللهِ؟! قال: من أدرك والديه عند الكبرِ، أحدَهما أو كليهما، ثم لم يدخلِ الجنةَ»، فيدرك الأولاد من خلال هذا الحديث شدة حاجة الكبير للبر والترغيب في بذله، والترهيب من تركه.

- **قيمة التواضع:**

١- على الوالدين ترغيب أبنائهما في قيمة التواضع والثواب المترتب على ذلك، ويوردان الآيات والأحاديث الدالَّة على ذلك، كحديث رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»، ثم يبين لأبنائه أن كبار السن محتاجونَ إلى التواضع في التعامل معهم، وقد يستعين الوالدان لترغيب الأبناء بهذه القيمة بعرض مقاطع الفيديو التي تظهر الكثير من الشخصيات العالية متحلية بخلق التواضع للكبير في السن.

٢- أيضًا قد لا يفيد في بعض الأولاد الترغيب، لذلك على الوالدين أن يستخدما أسلوب الترهيب، فيذكران لأبنائهما عواقب التكبر وشدة نهي الشريعة الإسلامية عنه، فيذكران لهما الآيات والأحاديث الدالة على ، فإذا نمت عندهم محبة التواضع وكراهية التكبر سيمارسها الأبناء مع من حولهم، بمن فيهم كبار السن.

- **قيمة الاعتراف بالفضل:**

١- على الوالدين دائمًا تعويد أبنائهما على الاعتراف بفضل كل من له فضل عليهما، فإذا قام الابن بمساعدة والديه في أعمال المنزل، فعلى الوالدين شكر ابنهما على جهده وعمله، لأن هذا يعوِّد الابن على قيمة الاعتراف بالفضل لأهله، ولمن هم حوله، بمن فيهم كبار السن.

٢- عندما يسمع الوالدان أحد أبنائهما ينكر جميل معلم له، أو صديق سابق، عليهما أن يحذرا هذا الابن من عواقب هذا السلوك، وأن هذا مخالف لمنهج النبي ﷺ الذي كان

يشكر كل محسن، ويعترف بفضل أهل الفضل، حتى لو كان عدوًا له. فإذا غرست هذه القيمة في نفسه سيمارسها مع من حوله من أهل الفضل، ككبار السن.

- **قيمة الصبر:**

١- إن تحلي الوالدين بهذه القيمة، وممارستها في تعاملهما مع أبنائهما يرغب الأبناء في التحلي بها وممارستها في التعامل مع مَن حولهما، بمن فيهم كبار السن.

٢- على الوالدين تخصيص وقت معين، ومن الأفضل أن يكون قبل النوم، يتم فيه اختيار قصة ترغِّب في هذه القيمة وتدعو إلى ممارستها مع الناس جميعًا، ومع الكبير على وجه الخصوص.

- **قيمة الرحمة:**

١- على الوالدين ترغيب أولادهما في قيمة الرحمة والثواب المترتب عليها، ويوردان الآيات والأحاديث الدالة على ذلك كحديث رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»، ثم يبيِّنا لأولادهما أن كبار السن محتاجون إلى مزيد من الرحمة في التعامل معهم.

٢- أيضًا قد لا يفيد في بعض الأولاد الترغيب، لذلك على الوالدين أن يستخدما أسلوب الترهيب، فيذكران لأولادهما عواقب الشدة والغلظة في التعامل مع الناس، وأن هذا مخالف لما جاءت به الشريعة الإسلامية، ومخالف لمنهج رسول الله ﷺ ويذكران لهما الآيات والأحاديث الدالة على أهمية الرحمة، ، فإذا نمت عند الأولاد قيمة الرحمة فسيمارسها مع مَن حوله، بمن فيهم كبار السن.

ثانيًا: البرامج التربوية في الأسرة:

أ- البرامج التربوية الأسرية المطبقة:

١- قام الشبيلي (د.ت) بإعداد حقيبة تدريبية بعنوان القيم التربوية الأسرية، التي تحوي برنامجًا متكاملا لغرس هذه القيم، معتمدًا على المرحلية في غرسها، وتستغرق مدة غرسها شهرًا ونصف الشهر، ومن القيم التي تناولها في هذه الحقيبة قيمتا **البر، والرحمة،** وقد احتوت هذه الحقيبة على دفتر لمتابعة القيم التربوية، ودفتر للتخطيط التربوي، ودفتر خاص باللقاءات العائلية، وقد قسمت مدة غرس هذه القيمة إلى شهر ونصف الشهر لكل قيمة، وتقوم على تخصيص الأسبوع الأول للتحفيز وإثارة الدافعية، ومن واجباته كتابة موضوع إنشائي عن البر أو الرحمة، وفي الأسبوع الثاني للتعميق والتجسيد، ومن واجباتها عمل مجلة حائط عن فضل البر أو الرحمة، وفي الأسابيع الثالث والرابع والخامس للتطبيق والتدريب العملي على عدد من أعمال البر، كتقبيل يد الوالدين يوميًا والمساعدة في قضاء حوائج الوالدين من المتجر القريب، أو مساعدتهما في الشؤون المنزلية، أو أعمال الرحمة، كالتعاطف مع المرضى والمحتاجين ورحمة الحيوانات، الأسبوع السادس والأخير يخصص لتأكيد القيمة ومن واجباته كتابة رسالة لشخص لا يبر والديه أو لا يرحم، وتقديم الهدايا للوالدين.

٢- يمكن الاستعانة بموسوعة القيم (مرسي، ١٤٣٤ه) التي تناولت عددًا كبيرًا من القيم منها قيمة البر، والتواضع، والاعتراف بالفضل، والصبر والرفق، وقد تضمنت هذه الموسوعة تعريفًا بالقيمة ومبادئها ومظاهرها، كذلك يجد المربي في هذه الموسوعة الآيات والأحاديث والأناشيد والقصص التي تتعلق بكل قيمة، ومسابقات وصورًا للتلوين، وعبارات تُعلَّق على الحائط للتذكير بها وتعزيزها.

ب- البرامج التربوية الأسرية المقترحة:

١- أن يخصص الوالدان يومًا من كل أسبوع لزيارة الوالدين أو يومًا كل شهر للقيام بزيارة دار المسنين أو المرضى من كبار السن، في المستشفيات مع أبنائهم، وبمشاركة أبنائهم بأعمال مختلفة لهم، كتنظيف المنزل، وتقديم الطعام، والهدايا لهم، والقيام على شؤونهم، هذه الأعمال من شأنها أن تعزز قيمة البر، والرحمة والتواضع في الأبناء.

٢- أن تقوم الأسرة بعمل احتفال خاص بكبار السن في الحي والأسرة، وتقدم لهم فيه الهدايا والمأكولات التي يحبونها، وعمل مسابقات تُدخِل السعادة على قلوبهم وتجمعهم بمن هم في مثل عمرهم، هذا من شأنه أن يبني في الأبناء أن البر ليس قاصرًا على الوالدين، بل يشمل كل خير من قول أو فعل تقدمه للآخرين، ومنهم كبار السن.

٣- تخصيص يوم في الشهر يقدم فيه الأولاد برنامجًا متكاملا عن قيمة من القيم، كالبر، يشمل مسرحية تحكي حاجة كبار السن إلى البر، وتكون من تأليفهم، وعددًا من الأناشيد والكلمات.

٤- يخصص الوالدان مسابقة شهرية ثقافية وتكون إجابة أسئلتها من كتاب محدد يحمل قيمة من القيم ككتاب "بالوالدين" للإمام البخاري، أو كتاب "بر الوالدين في ضوء الكتاب والسنة" لسعيد القحطاني.

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي:

١- استنباط القيم الخمسة للتعامل مع كبار السن وهي(البر، والرحمة ، والتواضع، والصبر، والاعتراف بالفضل) من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

٢- أن التواضع للكبير ليس قاصراً على لين القول؛ بل يكون بالفعل، وهذا هو المعنى الحقيقي للتواضع.

٣- أن البِر عمل يحتاج إلى صبر ومجاهدة وترك شيء من حظوظ النفس وملذاتها.

٤- أن الله تعالى خص مرحلة الكبر بالإكرام والتواضع، لأن الكبير في هذه المرحلة يشعر بالضعف والحاجة إلى من حوله، نتيجة ما يمر به من ضعف في الجوانب الجسمية النفسية والاقتصادية .

٥- أن مرحلة الكبر مرحلة ابتلاء للكبر نفسه، ولمن يقوم على رعايته، لذلك كان على الكبير ومن يرعاه على وجه الخصوص واجب الصبر، وأولى من يصبر على الكبير هم أبناؤه الذين بذل وقدَّم لهم في طفولتهم .
٦- أن تمثل الوالدين لقيمة من القيم الخمسة المستنبطة في تعاملهم مع كبار السن يكسب أبناءهم هذه القيم عن طريق الاقتداء بهم.
٧- أن الأحداث التي تمر بالأسرة تعتبر فرصة لبناء القيم الخمسة المستنبطة، إذا استغلها المربي بطريقة مناسبة.
٨- أن للقصص أهمية كبيرة في تنمية القيم، لذلك على المربي انتقاء القصص التي تنمي القيم الإسلامية، ومنها القيم الخمسة المستنبطة والمتعلقة بالتعامل مع كبار السن.
٩- أن للاستعانة بالترغيب والترهيب في تنمية القيم دور كبير في غرسها في المتربي، وكذلك الأساليب التربوية السابقة الذكر، (القصة والقدوة والتربية بالأحداث حوار) لها أهمية كبيرة في غرس القيم .
١٠- أن للاستعانة بالبرامج التربوية المعدة خصيصاً لبناء القيم أثر كبير في تنميتها وبنائها في الأبناء والطلاب.
١١- بإمكان المربين في الأسرة إعداد برامج تربوية لبناء القيم الخمس المستنبطة في نفوس الطلاب، كلٌ بما يتناسب مع ظروفه المحيطة به وإمكاناته.

وبذلك تكون الدراسة قد أجابت على أسئلتها وعالجت موضوعها وحققت أهدافها وفيما يلي تقدم الدراسة عدد من التوصيات والمقترحات لتفعيل الاستفادة من هذه القيم المستنبطة :

- **التوصيات:**

١- دعوة المؤسسات الأخرى المشاركة في العملية التربوية، كالإعلام، إلى تناول موضوع قيم التعامل مع كبار السن، واظهار كبير السن بصورة لائقة تبني في نفس المتربي واحترام الكبير وتقديره.
٢- عمل دورات تدريبية لموضوع كبار السن وقيم التعامل معهم لكافة أفراد المجتمع والعاملين مع كبار السن على وجه الخصوص.
٣- العمل على استحداث برامج تربوية متكاملة لقيم التعامل مع كبار السن لتستفيد منه كل أسرة .
٤- العمل على الاستفادة من البرامج الموجودة التي تهتم بغرس قيم التعامل مع كبار السن والعمل على توسيع نطاق تطبيقها حتى تكون الفائدة أعم وأكبر.
٥- على الدولة والمؤسسات الاجتماعية العناية بكبير السن الذي لا يجد من يعتني به ويرعاه وإيجاد أماكن خاصة بهم، كالمجالس التي تجمع كبار السن، لما لها من أثر كبير في إشباع الحاجات النفسية للكبير.

مراجع الدراسة :

الأمم المتحدة والشيخوخة. (د.ت). تم استرجاعها بتاريخ ١٤٣٥/٥/١٠هـ من: http://www.un.org/arabic/esa/ageing/index.html

الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة. (١٢-٨نيسان/أبريل ٢٠٠٢م). تم استرجاعها بتاريخ ١٤٣٥/٥/١٠هـ من: http://www.un.org/arabic/conferences/ageing/presskit/fact8.htm

الأصفهاني ،أبي الفرج .(١٤٢٨ه). **كتاب الأغاني** ،القاهرة : مطبعة دار الكتب.

ابن حجر، أحمد بن علي.(١٣٧٩ه). **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**. د.ط، بيروت: دار المعرفة.

ابن حنبل، أحمد. (١٤١٩ه). **مسند الإمام أحمد بن حنبل،** الرياض: بيت الأفكار الدولية.

ابن حبان، محمد بن أحمد.(١٤١٤ه).**صحيح ابن حبان،** بيروت: مؤسسة الرسالة .

ابن عثيمين، محمد بن صالح .(د.ت) **تفسير القرآن الكريم** : نسخة الكترونية .

حميد، صالح، ملوح، عبدالرحمن. (١٤١٨ه). **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم،** جدة: دار الوسيلة.

الرازي. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن. (١٤٢٥ه-٢٠٠٤م). التفسير الكبير، بيروت: دار الكتب العلمية.

الزهراني، علي إبراهيم. (١٤٢٦هـ). **أساليب التعامل مع كبار السن رؤية تربوية تأصيلية،** المدينة المنورة، دار الخضيري للنشر والتوزيع.

الزغبي ،أحمد شحادة بشير.(٢١-٢٣آذار .٢٠١١م) **. الأحكام الفقهية المتعلقة بالوالدين وكبار السن في الفقه الإسلامي** ، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر كبار السن بين الواقع والطموح ،عمان : كلية الآداب بجامعة عمان الأهلية .

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. (٢٠٠٠م). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

السرجاني، راغب.(د.ت). **الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية** : كتاب الكتروني .

الشبيلي، علي. (د.ت). قيم التربوية الأسرية، د.ن. الرياض.

الصرايرة، طالب محمد. (١٤٣١هـ). **القيم الحضارية لرعاية المسنين من منظور قرآني.** رسالة ماجستير (منشورة). قسم أصول الدين، كلية الشريعة: الأردن.

الصنعاني، محمد إسماعيل الأمير اليمني. (١٩٩٩م). **سبل السلام شرح بلوغ المرام**. صححه: فواز رملي، إبراهيم الجمل. ط١٢. بيروت: دار الكتاب العربي.

العبيدي، إبراهيم محمد. (١٤٢٣هـ). **علم الشيخوخة الاجتماعي،** الرياض: دار الزهراء.

أبو العينين، علي خليل. (١٤٠٨هـ). **القيم الإسلامية في التربية**، المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلبي.

القاري، علي بن سلطان (٢٠٠٢م). **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر [نسخة إلكترونية].

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى. (١٣٨٧هـ). **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق أبي إسحاق اطفيش.ط٢. القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (٢٠٠٠م). **المصباح المنير في تهذيب تفسير بن كثير**. ط١. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.

محمد، محمود مندوه. (١٤٣٢هـ). **الصحة النفسية**، الرياض: مكتبة الرشد.

مرسي، كمال ابراهيم. (٢٠٠٦م).كبار السن ورعايتهم في الإسلام وعلم النفس، القاهرة: دار النشر للجامعات.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد. (٢٠٠٣م). **لسان العرب**، القاهرة: دار معارف.

موقع رسالة الإسلام. (د.ت). تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١١/٠٦/١٢م من:
http://islamstory.com/ar/%D8%B1%D8%AD%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%8A-

موقع قصة الإسلام. (٢٠١١/٦/١٢م). تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٥/٦/٢٦م من:
http://islamstory.com/ar/%D8%B1%D8%AD%D9%85%D8%A9-%D8

النووي، محي الدين أبي زكريا. (١٤١٦هـ). **صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي**، القاهرة: دار السلام [نسخة إلكترونية]:
http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=7513&idto=7515&bk_no=53&ID=1188

الهاشمي، عبدالحميد. (١٤٠٠هـ).**علم النفس التكويني**، جدة: دار المجمع العلمي.

العلاقة بين الاختطاف والحرابة

إعداد
د/ مُصْعَب بن عَبْدِالله بنِ مُحَمَّد الخُنَيْن

تم استلام البحث في ٢٠١٨/٤/٢٧ تم الموافقة على النشر في ٢٠١٨/٦/٢

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذا بحث بعنوان: «**العلاقة بين الاختطاف والحرابة**». وقد جعلته في: أربعة مباحث، وخاتمة، وبيان ذلك على النحو التالي:

المبحث الأول

المطلب الأول (حقيقة الاختطاف)

الاختطاف في اللغة:

الخاء والطاء والفاء ـ كما يقول ابن فارس ـ: «أصلٌ واحد مطّرد منقاس، وهو استلابٌ في خفّة، فالخطف: الاستلاب، تقول: خَطِفته أخطَفه، وخَطَفته أخطِفه»[١].

والخطف والاختطاف يدل على استلاب شيء وأخذه بسرعة[٢].

وفي لسان العرب[٣]: «ومنه: الخطّاف، وهو الدليل اللص الفاسق، والعرب تقول للذئب: خاطف، ويقال للصّ يدغر نفسه على الشيء فيختلسه: خطّاف».

والشيطان يخطف السمع إذا استرق، ويقال له الخطَّاف، قال الله ـ تعالى ـ: **(إلا من خطف الخطفة)**[٤].

والخطَّاف طائر؛ لأنه يخطف الشيء بمخلبه، يقال لمخالب السباع: خطاطيفها.

والخطفة: العضو الذي يختطفه السبع أو يقتطعه الإنسان من البهيمة الحيَّة[٥].

الاختطاف في الاصطلاح:

يذكر الفقهاء ـ رحمهم الله ـ لفظ «الاختطاف» عند ذكر الاختلاس في باب حدّ السرقة، وأن المراد بالاختلاس: الاختطافُ[٦]، والاختلاس: أخذ الشيء قهراً علانيةً على وجه السرعة[٧].

---

(١) مقاييس اللغة (مادة خطف) ٣٢٢، وانظر: المصباح المنير ١٧٤/١.

(٢) الصحاح ١٣٥٢/٤.

(٣) لابن منظور ٧٥/٩.

(٤) الصافات: ١٠.

(٥) مقاييس اللغة (مادة خطف) ٣٢٢، القاموس المحيط ١٠٤١.

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية[٨]: «اتفق الفقهاء على أنه لا قطع على المختطف؛ لأن الاختلاس والاختطاف واحد، ولا قطع على المختلس».

وعلى هذا فإن ما ذُكر ليس تعريفاً للاختطاف المراد في عنوان هذا البحث.

ويمكن تعريف الاختطاف ـ مع الإفادة من المعنى اللغوي ـ بأنه:

استلاب مكلّفٍ مختارٍ آدميًّا معصوماً علانية على وجه السرعة والمغالبة والقهر بغير حقّ شرعيّ سواء كان راكباً على الطائرة أو السفينة أو غيرهما أم غير راكبٍ.

المطلب الثاني (أنواع الاختطاف)

إن الاختطاف جريمة من الجرائم التي يجب مجازاة مقترفها بما يردعه ويقطع دابر جرمه، ولقد كان الاختطاف معروفاً عند العرب في الجاهلية قبل الإسلام عن طريق الإغارة بالسلب والسبي وخطف الولدان، إلا أن أهل مكة آمنون بأمان الله، كما قال في كتابه: **(أو لم يروا أنّا جعلنا حرماً آمناً ويُتَخَطّف الناس من حولهم)**[٩].

وهذا الذي يجري في الجاهلية نوع من أنواع الاختطاف، ومع مرور الأزمان وما يجري فيها من نموّ وتطوّر للصناعات وكثرة جرائم الاختطاف في العصر الحالي وتعدّد أسبابها يمكن أن نبيّن أنواعاً أخرى للاختطاف، وبيان ذلك كالتالي:

الأول: اختطاف الآدميّين.

الثاني: اختطاف السفن والبواخر.

الثالث: اختطاف الطائرات.

وتفصيل ذلك كما يلي:

النوع الأول: اختطاف الآدميّين:

المراد به:

ذكر بعض الباحثين تعريفاً لهذا النوع بأنه: «حمل شخص على ترك مأواه بالقوة أو بالتهديد أو بالاحتيال، واحتجازه بغير حقّ؛ لإيذائه أو لقتله أو للسرقة والابتزاز أو لفعل الفاحشة أو لهدف سياسيّ»[١٠].

وقد دخل في هذا التعريف بعض أهداف الاختطاف وأنواعه.

---

[٦] رد المحتار على الدر المختار ٩٤/٤، المغني ٤١٦/١٢، كشاف القناع ١١٠/٥.

[٧] رد المحتار على الدر المختار ٩٤/٤، المغرب ١٥٠، المطلع على أبواب المقنع ٣٧٥، الموسوعة الفقهيَّة ٢٨٦/٢.

[٨] ٢٨٦/٢.

[٩] العنكبوت: ٦٧.

[١٠] جرائم الإفساد في الأرض ٣٠٠/١.

ولو قيل في تعريف هذا النوع: الاعتداء على آدمي بغير حقّ وأخذه قهراً لإيذائه أو لقتله أو للسرقة والابتزاز أو لفعل الفاحشة أو لهدف سياسيّ.

ويُفاد من هذا التعريف بيان بعض **أهداف اختطاف الآدمي**، وهي كما يلي[١١]:

١ـ الخطف للإيذاء والتعذيب، ويكون من شخص أو جماعة يكرهون المخطوف؛ للمساومة والضغط أو الانتقام وأخذ الثأر.

٢ـ الخطف للسرقة والابتزاز، ويكون للأثرياء ووكلائهم وأصحاب الوجاهات، والنساء لأجل ما يحملنه من الحليّ.

٣ـ الاختطاف لفعل الفاحشة بالمخطوف، وغالب ضحاياه الفتيات والغلمان، وفاعله ذو قلب ميت.

٤ـ الاختطاف للضغط على السلطة الحاكمة، ويكون ذلك للمساومة وتحقيق أمر ما يُراد التوصل إليه.

٥ـ الاختطاف لهدف طائفيّ، ويكون في البلاد التي تتعدد فيها الطوائف والاتجاهات؛ حقداً وكراهيةً وانتقاماً.

مع الإشارة إلى أن بعض هذه الأهداف يصلح للأنواع الأخرى من أنواع الاختطاف بما يغني عن التكرار هناك.

كما يُفاد من هذا التعريف بيان بعض **أنواع اختطاف الآدمي**، وهي كما يلي بحسب الجهة[١٢]:

أولاً: من جهة الطريقة المستخدمة:

١ـ الاختطاف بالقوّة، أي: العنف على جسم المخطوف بجذب يده أو شعره أو ضربه أو تكميم فمه أو تخديره.

٢ـ الاختطاف بالتهديد، وذلك بأن يهدّده بإيلامه أو إيلام عزيزٍ عليه أو أخذ ماله أو إيقاع الأذى به قادرٌ على إيقاع ما هدّده به.

٣ـ الاختطاف بالحيلة، وذلك بالاستعانة بحيلة لانتزاع رضا المجني عليه بالانتقال مع الخاطف حيث شاء.

ثانياً: من جهة الجاني:

١ـ الاختطاف العادي، وهو ما يقوم به شخص أو جماعة متفقين على الاختطاف لغرضٍ من أغراض الاختطاف المذكورة ـ آنفاً ـ.

---

[١١] الإرهاب في القانون الجنائي ٢٥٠ـ٢٦٧، الجرائم التي أفرزتها الحياة المعاصرة ١٦١ـ١٦٧، جرائم الإفساد في الأرض ٣٠٦/١ـ٣٠٨، الإرهاب الدولي ١٨١ـ١٨٣.

[١٢] الإرهاب في القانون الجنائي ٢٥٠ـ٢٦٧، الجرائم التي أفرزتها الحياة المعاصرة ١٦١ـ١٦٧، جرائم الإفساد في الأرض ٣٠٩/١ـ٣١٣، الإرهاب الدولي ١٨١ـ١٨٣.

٢ـ الاختطاف السياسي، وهو المعروف باختطاف الرهائن، وهو ما يقوم به شخص أو جماعة تنفذاً لأمر قادتهم؛ للضغط والمساومة.

مع الإشارة إلى أن بعض هذه الأنواع تصلح للأنواع الأخرى من أنواع الاختطاف بما يغني عن التكرار هناك.

النوع الثاني: اختطاف السفن والبواخر:

المراد به:

ذكر بعض الباحثين تعريفاً لهذا النوع بأنه: «إتيان أفعال غير مشروعة تنطوي على استخدام العنف ضدّ الأشخاص أو الأموال من قِبَلِ طاقم أو ركّاب سفينةٍ خاصّة ضدّ سفينةٍ أخرى في البحار، وذلك بغية تحقيق منافع شخصيَّة أو أغراض خاصّة»[١٣].

وهذا النوع هو المعروف بـ(لصوصيَّة البحر) أو (القرصنة البحريَّة)[١٤].

النوع الثالث: اختطاف الطائرات:

المراد به:

ذكر بعض الباحثين تعريفاً لهذا النوع بأنه: «جريمة موضوعها الاستيلاء غير المشروع بالقوّة أو بالتهديد أو بالمخادعة على الطائرة وتحويلها عن خطّ سيرها بهدف الحصول على مكسب مادّي أو سياسي في أغلب الأحيان»[١٥].

وعرّفه بعضهم ـ أيضاً ـ بأنه: «استيلاء مكلّف مختار على طائرة معصومة علانيةً على وجه المغالبة والقهر بغير حقّ شرعيّ»[١٦].

المطلب الثالث (الفرق بين الاختطاف وبين ما له به صلة مما يشترك معه)

الاختطاف جريمة من الجرائم التي تشترك في بعض الأمور مع غيرها من الجرائم، كالغصب، والسرقة، والغيلة، والحرابة، وتختلف عنها في أمور أخرى، وأبيّن بعض ذلك على وجه الإيجاز.

الفرق بين الاختطاف والغصب:

الغصب: هو أخذ مال على وجه القهر والعدوان[١٧].

فيشتركان في أن كلاً منهما على وجه القهر والغلبة.

---

[١٣] جرائم الإفساد في الأرض ٣١٥/١.

[١٤] المواجهة الجنائيَّة والأمنية لخطف الطائرات ٢١، خطف الطائرات ٢٠٥.

[١٥] جرائم الإفساد في الأرض ٣١٨/١.

[١٦] جريمة اختطاف الطائرات وعقوبتها ٤٢.

[١٧] بدائع الصنائع ١٤٣/٧، الشرح الكبير للدردير ٤٤٢/٢، ٤٥٩، السراج الوهاج شرح المنهاج ٢٦٦، الشرح الكبير مع المغني ٣٧٤/٥.

ويفترقان في أن الغصب خاصّ بالأموال ـ كما ذكره الفقهاء في تعريف الغصب ـ، وأن الاختطاف أوسع من هذا، فيشمل المال وغيره ـ كما سبق في بيان أنواعه.

الفرق بين الاختطاف والسرقة:

السرقة: هي أخذ النصاب من حرزه على وجه الخفية[١٨].

فيفترقان في أن السرقة لا تكون إلا لأجل الأموال على وجه الخصوص ـ كما جاء في تعريفها ـ، أما الاختطاف فيكون لأجل المال والعرض والنفس وغير ذلك.

كما إن السرقة لا تكون إلا على وجه الخفية، أما الاختطاف فيكون علانية.

الفرق بين الاختطاف والغيلة:

الغيلة في كلام العرب: إيصال الشرّ والقتل إليه من حيث لا يعلم ولا يشعر، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي[١٩].

فتتفق الغيلة مع الاختطاف في عمليَّة استدراج الضحيَّة ومخادعته؛ للحصول على المال أو فعل الفاحشة به.

ويختلفان فيما يتبع الاستدراج، فإن قُتِل الضحيَّة كانت الجريمة غيلة، وإلا فاختطاف.

المطلب الرابع (حكم الاختطاف)

الاختطاف من الجرائم التي تهدّد أمن الأفراد والدُّول والجماعات، وفيه تعدٍّ على الأنفس والأعراض والأموال وأذية للمسلمين في ذلك بغير وجه حقّ، وقد دلّت الأدلة النصّية والإجماع والمقاصد الشرعيّة على تحريم الإفساد في الأرض والأذية للمؤمنين وعصمتهم، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: الأدلة الدالة على تحريم الإفساد، ومن ذلك:

١ـ قول الله ـ تعالى ـ: **(وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)**[٢٠].

ووجه الدلالة: أن في الاختطاف معصيةً لله وإفساداً للسبيل على عباد الله، والله ـ سبحانه ـ لا يحب هذا، فدلّ على تحريمه.

قال ابن جرير الطبري: «فمعنى الآية: وإذا خرج هذا المنافق من عندك يا محمد غضبان عمل في الأرض بما حرّم الله عليه وحاول فيها معصية الله وقطع الطريق

---

[١٨] تبيين الحقائق ٣١٤/٣، بداية المجتهد ٣٣٤/٢، مغني المحتاج ١٥٨/٤، المبدع ١١٤/٩.

[١٩] الشرح الكبير للدردير ٢٣٨/٤.

[٢٠] البقرة: ٢٠٥.

وإفساد السبيل على عباد الله كما ذكرنا آنفاً من فعل الخنس بن شريق الثقفي الذي ذكر السدّي أن فيه نزلت هذه الآية من إحراقه زرع المسلمين وقتله حُمُرهم»[٢١].

٢ـ قول أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لأمراء جنوده فيما رواه سعيد بن المسيب: «**ولا تفسدوا في الأرض**»[٢٢].

ووجه الدلالة: أن أبا بكر منعهم من الإفساد في الأرض في الحرب في قتال الكفار، فدل على منعه في السلم من باب الأولى، والاختطاف من الإفساد.

ثانياً: الأدلة الدالة على تحريم الإيذاء، ومن ذلك:

قول الله ـ تعالى ـ: **(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً)**[٢٣].

ووجه الدلالة: أن في الاختطاف أذيَّة للمؤمنين والمؤمنات في أبدانهم وأعراضهم وأموالهم وغير ذلك، وأذيتهم موجبة للإثم، فدل ذلك على تحريمها.

ثالثاً: الأدلة الدالّة على عصمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وصيانتها، ومن ذلك:

ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**»[٢٤].

ووجه الدلالة: أن الاعتداء على المسلمين حرام إلا بحقّ، وفي الاختطاف اعتداء على ذلك، فدل على تحريمه.

رابعا: الإجماع:

فقد نقل ابن المنذر الإجماع على تحريم أموال الناس ودمائهم إلا حيث أباحها الله[٢٥]، وأن مجرّد التهمة والشكّ لا يستباح بها تأليم المسلم وإضراره بلا خلاف[٢٦].

خامساً: أن مقاصد الشريعة جاءت بالحفاظ على الضروريات الخمس (الدين والنفس والعرض والمال والعقل)، وفي الاختطاف إهدارٌ لها أو لبعضها، فدل على تحريمه.

---

[٢١] تفسير الطبري ٣١٦/٢.

[٢٢] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨٥/٩.

[٢٣] الأحزاب: ٥٨.

[٢٤] أخرجه مسلم ١٩٨٦/٤.

[٢٥] الإجماع ١٢٦.

[٢٦] المحلى ٢٨٢/١١.

المبحث الثاني
المطلب الأول (حقيقة الحرابة)

الحرابة في اللغة:

كلمة تقوم على ثلاثة حروف أصول، وهي ـ كما يقول ابن فارس ـ: «الحاء والراء والباء أصول ثلاثة:

أحدها السلب.

والآخر: دويبة.

والثالث: بعض المجالس»[٢٧].

والحرب تطلق على عدّة معانٍ[٢٨]، منها:

١ـ نقيض السلم، ومنه قول الله ـ تعالى ـ: **(فأذنوا بحرب من الله ورسوله)**[٢٩].

٢ـ المعصية، يقال: حاربوا الله إذا عصوه.

الحرابة في الاصطلاح:

اختلفت تعريفات الفقهاء للحرابة تبعاً للشروط التي يُعتدّ بها فيها من التي لا يُعتدّ بها في ذلك.

فقد عرّفها الكاساني من الحنفيَّة بأنها: الخروج على المارّة لأخذ المال على سبيل المغالبة على وجه يمتنع المارّة عن المرور وينقطع الطريق سواء كان القطع من جماعة أم من واحد بعد أن يكون له قوّة القطع[٣٠].

فالفرد عند أكثر فقهاء المذهب الحنفي تتحقق منه الحرابة متى كان ممتنعاً بقوته ونجدته قادراً على قطع الطريق[٣١].

وعرّفها ابن عرفة المالكي بأنها: الخروج لإخافة السبيل بأخذ مال محترم بمكابرة قتال أو خوفه أو إذهاب عقل أو قتل خفية أو لمجرّد قطع الطريق لا لإمارة ولا نائرة ولا عداوة[٣٢].

واستدرك صاحب منح الجليل على هذا فقال: «ولكن يرد على التعريف أنه لا يشمل من قاتل لأخذ المال بلا قطع طريق أو دخل داراً أو زقاقاً وقاتل ليأخذ المال ومسقي السيكران ومخادع صبي أو غيره ليأخذ ما معه، فهو غير جامع»[٣٣].

---

[٢٧] مقاييس اللغة (مادة حرب) ٢٥٨.

[٢٨] لسان العرب ٣٠٢/١.

[٢٩] البقرة: ٢٧٩.

[٣٠] بدائع الصنائع ٩٠/٧.

[٣١] فتح القدير ٢٦٨/٤، البحر الرائق ٧٢/٥، رد المحتار على الدرّ المختار ١١٣/٤.

[٣٢] شرح الخرشي ١٠٣/٨، ١٠٤.

وقطع الطريق لأجل هتك العرض بفعل الفاحشة جريمة حرابة، بل إن مرتكبها أولى بالعقوبة ممن يحارب لأجل المال، كتب ابن العربيّ أيام توليه القضاء: «قد رفع إليّ قوم خرجوا محاربين إلى رفقة فأخذوا منهم امرأة مغالبة على نفسها من زوجها من جملة المسلمين معه فيها فاحتملوها ثم جدّ فيهم الطلب فأخذوا وجيئ بهم، فسألت من كان ابتلاني الله به من المفتين فقالوا: ليسوا محاربين؛ لأن الحرابة إنما تكون في الأموال لا في الفروج فقلت لهم: إنا لله وإنا إليه راجعون، ألم تعلموا أن الحرابة في الفروج أفحش منها في الأموال وأن الناس كلّهم ليرضون أن تذهب أموالهم وتحرب من بين أيديهم ولا يحرب المرء من زوجته وبنته، ولو كان فوق ما قال الله عقوبة لكانت لمن يسلب الفروج، وحسبكم من بلاء صحبة الجهّال وخصوصاً في الفتيا والقضاء»[٣٤].

والخلاصة: أن الحقيقة الشرعيَّة لجريمة الحرابة عند المالكية تنطبق على قطع الطريق أو إخافتها سواء كان ذلك في البلد أو المفازة لاستباحة الدماء أو هتك الأعراض أو أخذ المال، كما تنطبق على قتل الغيلة، بل وعلى كل من أخذ مال مقاتل أو بخدعة أو غصب شريطة ألا مغيث من الناس.

وعرّف الشافعيّ المحاربين بأنها: «القوم يعرضون بالسلاح للقوم حتى يغصبونهم مجاهرة في الصحارى والطرق»[٣٥].

وعرّف بعضهم الحرابة بأنها: «البروز لأخذ مال أو لقتل أو إرعاب مكابرة اعتماداً على القوّة مع البعد عن الغوث ولو حكماً»[٣٦].

وعرّف الخرقي[٣٧] وتبعه صاحب المقنع[٣٨] وصاحب المحرّر[٣٩] المحاربين بأنهم: «الذين يعرضون للقوم بالسلاح في الصحراء فيغصبونهم المال مجاهرة».

فالمحاربون على هذا تثبت عليهم أحكام الحرابة إذا تحققت فيهم ثلاثة شروط:

١ـ أن يكون ذلك في الصحراء.

٢ـ أن يكون معهم سلاح.

٣ـ أن يأتوا مجاهرةً ويأخذوا المال قهراً.

---

[٣٣] منح الجليل ٥٤٢/٤، ٥٤٣.

[٣٤] أحكام القرآن ٢٤٧/١.

[٣٥] الأم ١٤٠/٦.

[٣٦] حاشية الشرقاوي ٤٣٧/٥.

[٣٧] مختصر الخرقي ١١٥.

[٣٨] المقنع ٣٠٣.

[٣٩] المحرّر ١٦٠/٢.

وعرّفها الظاهريَّة بتوسّع في حقيقتها الشرعية تبعاً لقاعدتهم الأصوليَّة وهي إجراء الدليل على ظاهره، فالمحارب عندهم: مكلّف مسلم أخاف السبيل.

جاء في المحلى في تعريف المحارب بأنه: «المكابر المخيف لأهل الطريق المفسد في سبيل الأرض سواء بسلاح أو بلا سلاح أصلاً سواء ليلاً أو نهاراً في مصر أو في فلاة أو في قصر الخليفة أو الجامع سواء قدّموا على أنفسهم إماماً أو لم يقدّموا سوى الخليفة فعل ذلك بجنده أو غيره منقطعين في الصحراء أو أهل قرية سكاناً في دورهم أو أهل حصن كذلك أو أهل مدينة عظيمة أو غير عظيمة كذلك واحداً كان أو أكثر، كل من حارب المارّ وأخاف السبيل بقتل نفس أو أخذ مال أو لجراحة أو لانتهاك فرج فهو محارب عليه وعليهم كثروا أو قلّوا حكم المحاربين المنصوص في الآية»[٤٠].

يقول ابن سعدي: «المحاربون لله ورسوله هم الذين بارزوه بالعداوة، وأفسدوا في الأرض بالكفر والقتل وأخذ الأموال وإخافة السبيل، والمشهور أن هذه الآية الكريمة في أحكام قطع الطريق الذين يعرضون للناس في القرى والبوادي فيغصبونهم أموالهم ويقتلونهم ويخيفونهم فيمتنع الناس من سلوك الطريق التي هم بها»[٤١].

ويقول ابن تيمية: «وأما إذا فجر بامرأة مستكرهاً ولم تجد من يعينها عليه فهؤلاء نوعان:

أحدهما: أن يكون له شوكة كالمحاربين لأخذ المال، وهؤلاء محاربون للفاحشة فيقتلوا، قال السدي: قد قاله غيره...

والثاني: ألا يكونوا ذوي شوكة، بل يفعلون ذلك غيلة واحتيالاً حتى إذا صارت عندهم المرأة أكرهوها فهذا المحارب غيلة ـ كما قال السدّي ـ يقتل أيضاً، وإن كانوا جماعة في المصر فهم كالمحاربين في المصر»[٤٢].

فعلى هذا يكون المذهب المالكيّ والظاهريّ ومعهم ابن تيمية أوسع المذاهب في بيان معنى الحرابة وما تشمله، وهو المعمول به في المحاكم السعوديَّة.

---

[٤٠] المحلى ٣٢٠/١٣.

[٤١] تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٨٢/٢.

[٤٢] مجموع الفتاوى ٢٢/١٣-٢٣.

المطلب الثاني (حكم الحرابة)

لا خلاف بين الفقهاء في أن عقوبة المحارب حدّ من حدود الله، لا تقبل الإسقاط ولا العفو ما لم يتوبوا قبل القدرة عليهم.

ولكن الاختلاف في تطبيق هذه العقوبة.

والأصل في ذلك: قول الله ـ تعالى ـ: **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)**[٤٣].

وقد اختلف العلماء فيما وردت له (أو) في آية الحرابة أهي للترتيب أم للتخيير؟ وبيان ذلك على النحو التالي:

القول الأول: أنه للتخيير، فيخيّر الحاكم فيهم على حسب المصلحة.

وهذا مذهب مالك، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعطاء، وأبي ثور، وداود من الظاهرية[٤٤]، وهو اختيار هيئة كبار العلماء في المملكة العربيَّة السعوديَّة[٤٥].

أدلة هذا القول:

١ـ أن (أو) إذا جاءت في القرآن فإنها تدل على التخيير ـ كما قاله ابن عباس ـ، ومثله قوله ـ تعالى ـ: **(فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة)**[٤٦].

٢ـ أنه على القول بأن المراد التخيير فإن لفظ الآية يكون مستقلاً غير محتاج إلى التخليص، والقاعدة أن اللفظ إذا دار بين الاستقلال والتقدير كان الاستقلال أولى.

القول الثاني: أنه للترتيب والتنويع.

وهذا مذهب الجمهور، وهو قول جماعة من التابعين، واختيار ابن جرير الطبري[٤٧].

أدلة هذا القول:

١ـ أن القائلين بالتخيير ربما جمعوا على المحارِب عقوبتين بأن يقتل ويصلب أو يصلب ويقتل.

---

[٤٣] المائدة: ٣٣.

[٤٤] المدونة ٢٨٨/١٥، ٢٨٩، المحلى ٣١٣/١١.

[٤٥] انظر: قرار هيئة كبار العلماء ذي الرقم ٨٥ والتاريخ ١٤٠١/١١/١١هـ.

[٤٦] المائدة: ٨٩.

[٤٧] بدائع الصنائع ٢٨٩/٩، فتح القدير ٢٦٩/٤، المهذب ٣٠٢/٢، الأم ٣٧٢/٨، المغني ٣٠٤/٦.

ويناقش: بما ذكره ابن العربي بأن (أو) نصّ في التخيير، وصرفها إلى الترتيب والتنويع تحكّم على الآية وتخصيص لها.

٢ـ قول النبي ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، ونفس بنفس، وزنا بعد إحصان**»[٤٨].

ووجه الدلالة: أن الرسول ﷺ نفى قتل من لم يقتل من قطّاع الطريق.

ويناقش: بأنهم يقتلون الردء وهو لم يَقْتُل، بل إنه قد شارك أو استطلع الطريق.

٣ـ ما جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «**إذا قتلوا واخذوا المال قُتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالاً نفوا من الأرض**»[٤٩].

ويناقش: بأن هذا الأثر ضعيف فيه إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، وقد كذّبه ابن معين، وهو متروك ـ كما قال النسائي ـ.

الترجيح:

الذي يظهر هو رجحان قول المالكية، وهذا هو اختيار هيئة كبار العلماء بالأكثرية في المملكة العربية السعودية، وهو المعمول به في المحاكم السعوديَّة.

وبناءً عليه فإن على القاضي أن يراعي ظروف الجريمة وواقعها وأثرها في المجتمع وما يحقق المصلحة للناس كافّة.

المبحث الثالث (العلاقة بين الاختطاف والحرابة)

لبيان العلاقة بين الاختطاف والحرابة لا بد من استحضار الحقائق اللغوية والشرعيَّة لكلا الأمرين ـ على ما سبق بيانه ـ.

كما إنه لا بد من إدراك المقاصد الشرعيَّة في هذا الباب؛ فإنها جاءت بحفظ الضروريات الخمس، وعصمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وحرمتها، وأن الشريعة الإسلاميَّة تدفع الضرر وترفعه، وتمنع إشاعة الفوضى والفساد في البلاد.

وبتأمل ذلك تجد أن في الحرابة فساداً كما نصّت عليه الآية الكريمة: **(ويسعون في الأرض فساداً)**[٥٠]، كما إن هذا متحقق في الاختطاف.

ونتيجة ذلك: أن الاختطاف نوع من الحرابة؛ فإن في كلا الأمرين محاربةً لله ورسوله ﷺ وسعياً في الأرض بالفساد.

وقد جاء في قرار هيئة كبار العلماء: «إن جرائم الخطف والسطو لانتهاك حرمات المسلمين على سبيل المكابرة والمجاهرة من ضروب المحاربة والسعي في

---

[٤٨] أخرجه ابن ماجه ٨٤٧/٢.

[٤٩] أخرجه الشافعي وأحمد والبيهقي، نيل الأوطار ٣٣١/٦، ٣٣٢.

[٥٠] المائدة: ٣٣.

الأرض فساداً المستحقة للعقاب الذي ذكره الله ـ سبحانه ـ في آية المائدة سواء وقع ذلك على النفس أو المال أو العرض أو أحدث إخافة السبيل وقطع الطريق ولا فرق في ذلك بين وقوعه في المدن أو في الصحارى والقفار ـ كما هو الراجح من آراء العلماء رحمهم الله تعالى ـ»[٥١].

ويمكن أن يقال[٥٢]: إن المغالبة على المال بأخذه دون قتلٍ حاصلٌ في اختطاف الآدمي الحامل للمال، فهذا حرابة باتفاق، والمغالبة على الأبدان بالقتل دون غيره حاصلٌ في الاختطاف للضرب والإيذاء ونحو ذلك، والمغالبة عليهما بالقتل وأخذ المال حاصلٌ في الاختطاف لأجل المال ثم قتل المختطَف، كما في حجز الرهينة مقابل الافتداء، والمغالبة على العرض بهتكه وفعل الفاحشة به حاصلٌ بالاختطاف لأجل هذا الغرض، وهو من الحرابة عند المالكية ومن تبعهم[٥٣].

المبحث الرابع (تطبيق قضائيّ)

الحمد لله وحده، وبعد:

في يوم الأحد ١٤٢١/٤/٧هـ لدينا نحن القضاة في المحكمة الكبرى بالرياض/... و... و... افتتحت الجلسة الأولى الساعة العاشرة والنصف للنظر في الدعوى المرفوعة من قسم الادّعاء العامّ ضد السجين/ (ض) المتّهم بخطف طفلة وفعل الفاحشة بها، وبناءً عليه حضر المدّعي العامّ/ (م)، وادّعى على السجين الحاضر معه/ (ض) سعودي قائلاً في دعواه عليه:

«الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، وبعد:

بصفتي مدعياً عامًّا في دائرة الادعاء العامّ بمنطقة الرياض أدّعي على/ (ض) محصن سعودي الجنسيَّة بموجب البطاقة ذات الرقم... البالغ من العمر ٣٦ عاماً الموقوف منذ ١٤٢١/٢/٨هـ بموجب مذكرة التوقيف ذات الرقم... بخطف طفلة عمرها ١١ سنة، وإركابها بسيارته، والهرب بها إلى منطقة صحراويَّة، وضربها، وفعل الفاحشة بها بالقوة، حيث إنه بتاريخ ١٤٢١/٢/٨هـ تمّ القبض على المدعى عليه من قِبَل مجموعة من فِرَق الدوريَّات الأمنيَّة وبرفقته الطفلة/ (س) ١١ عاماً إثر بلاغ والدها المتضمن قيام شخص بخطف ابنته من أمام منزله بحيّ المصيف وإركابها سيارته بالقوة، وبالبحث عنه تمّ العثور عليه يقود سيارته ومعه الطفلة المخطوفة، وفور مشاهدته لفرق الدوريَّات لاذ بالهرب، فاشتركت مجموعة من فرق الدوريات الأمنيَّة في مطاردته وإغلاق التقاطعات لمحاصرته حيث قام بالهرب وقيادة سيارته بسرعة جنونيَّة وبرفقته

---

[٥١] القرار ذو الرقم ٨٥ والتاريخ ١٤٠١/١١/١١هـ.

[٥٢] جرائم الإفساد في الأرض ٣٠٥/١ وما بعدها.

[٥٣] المنتقى شرح موطأ مالك ١٧١/٧، ١٧٢، كشاف القناع عن متن الإقناع ١٥٠/٦.

الفتاة المخطوفة، وعند محاصرته من قِبَل سيارات الأمن قام باعتلاء الأرصفة بسيارته وصدم أربع سيارات نتج عنها إصابة سائقيها وعائلاتهم بكسور وجروح، كما صدم عدداً من سيارات الأمن المطاردة له، ثم صدم أحد المحلاّت التجاريَّة، ونزل من سيارته وهرب على قدميه، فجرت متابعته حتى قبض عليه، وعليه أسعفت الفتاة إلى المستشفى لإصابتها بالرأس، وبمعاينة المجني عليها لوحظ بها خدوش بيديها وصدرها نتيجة إمساك الجاني بها وسحبها، فجرى تحريز ملابس الطفلة والجاني، وبضبط إفادة المجني عليها أفادت بأنه أثناء جلوسها أمام منزلها حضر شخص أسود البشرة يركب سيارة (جمس صالون) نزل من سيارته وسأل شقيقها الصغير/ (ف): لمن تعود السيارة التي تقف أمام الباب؟ فقال (ف): إنها لأبي، فطلب منه مناداته، وعندما ذهب أخوها (ف) طلب منها عدم الذهاب معه لإعطائها بعض الأوراق، وعندما تأكد من ذهابه قال لها: تعالي، فرفضت، فقام بحملها بالقوّة، وكمّم فمها بيده عندما همّت بالصراخ، وأخذها وأركبها سيارته وأنزل سروالها داخل السيارة؛ لكي لا يشاهدها أحد ثم أخذها إلى منطقة صحراويَّة وأوقف سيارته وكانت تصرخ بقوة فنزل وذهب إليها في المرتبة الخلفيَّة وفسخ سروالها وطلب منها مسك ذكره فامتنعت، ثم طلب منها أن تستلقي على ظهرها وقام بضربها وأدخل ذكره فيها من الأمام بالقوّة ـ وكانت تصرخ ـ حتى شاهدت الدم يخرج منها، ثم قلبها على بطنها وفعل بها من الخلف حتى أنزل عليها، ثم قام بمسح ما نزل عليه بمناديل، وطلب منها مسح ما نزل عليها، ثم قاد سيارته، وعند مشاهدته للشرطة قام بالهرب، فطاردتهما الشرطة وهي معه بالمرتبة الخلفيَّة حتى تسبّب في عدّة حوادث مروريَّة وصدم أكثر من سيارة، وداخل إحدى الحارات قام برمي نفسه من السيارة وهي تسير حتى اصطدمت بجدار، وعندما حاول الهرب قبض عليه، وبالتحقيق مع المدعى عليه أقرّ بأنه أركب الفتاة، وعند وقوفه أمام إحدى الإشارات قابلته الدوريَّات الأمنيَّة فقام بالهرب وصدم عدّة سيارات لا يتذكّر عددها حتى قبض عليه بعد فترة المطاردة، وصادق على إقراره شرعاً، هذا وبعرض الجاني على الطفل (ف) ٦ أعوام شقيق الفتاة المخطوفة تعرّف عليه بسهولة وأنه هو الشخص الذي طلب منه أثناء وقوفه مع أخته مناداة والده، كما تعرّفت الفتاة عليه فور عرضه عليها، كما أجريت المواجهة بينهما المتضمن إصرارهما على أقوالها وإنكار الجاني واقتضابه في الكلام وإطالة الصمت.

هذا وقد صدرت التقارير الطبيَّة التالية:

١ـ التقرير الطبي ذي الرقم... من مجمع الرياض الطبي بشان الفتاة/ (س) المتضمن وجود سحجات حول غشاء البكارة.

٢ـ تقرير فحوص حيويَّة المتضمن نتيجة فحص سروال الجاني وثوبه حيث اتّضح إيجابيّتها للتلوّثات والحيوانات المنويَّة.

٣ـ تقرير فحوص حيويَّة المتضمن إيجابيَّة فحص مناديل عثر عليها داخل سيارة الجاني للتلوّثات والحيوانات المنويَّة.
٤ـ تقرير فحوص حيويَّة المتضمن إيجابيَّة بنطال أبيض طويل عائد للفتاة (س) للتلوّثات والحيوانات المنويَّة.
٥ـ تقرير فحوص وراثيَّة (DNA) المتضمن أن التلوّثات المنويَّة الموجودة على بنطلون جنز عائدٌ للفتاة (س)، وكذلك التلوّثات المنويَّة التي عثر عليها في مناديل داخل سيارة الجاني هي عائدة له بشكل أكيد.

وأثناء التحقيق لوحظ أن هناك بعض جرائم الخطف سبق الإبلاغ عنها مشابه أسلوبها الإجراميّ لأسلوب المدعى عليه، فجرى عرض المتّهم على الطفلة/ (ي) ١٥ عاماً التي سبق وأن أبلغ والدها عن اختطافها من قِبَل شخص وفعل الفاحشة بها بالقوّة بتاريخ ١٤٢١/١/١٥هـ واستطاعت التعرّف على الجاني بكلّ سهولة وأشارت إليه بيدها وهي تبكي وخائفة، كما استطاعت التعرّف على سيارة الجاني من الداخل حيث ذكرت كيف وضعها داخل السيارة وأجلسها أسفل المرتبة الأماميَّة، كما تعرّفت شقيقتها/ (ص) على سيارة الجاني من الخارج وذكرت بأنها هي التي حضرت إلى حارتهم وخطفت أختها في ذلك اليوم وأعيدت في المساء، وصدر بشأن الطفلة/ (ي) تقرير طبي متضمّناً وجود جرح في الجزء الخلفي من المهبل وجرح في غشاء البكارة ودماء على ملابسها أدخلت على إثر ذلك المستشفى، وعند أخذ إفادة الطفلة (ي) ذكرت بأن شخصاً أخذها إلى منزل بعيد لم يكن فيه أحد وصعد بها ثم التزمت الصمت الطويل والبكاء، وبمواجهة الجاني بذلك ادّعى أن شخصاً قام بسحره.

هذا وقد خلص التحقيق إلى اتّهام المدعى عليه بما أسند إليه؛ للأدلة والقرائن التالية:

١ـ محضر القبض المعدّ من قبل الدوريات الأمنيَّة.
٢ـ إقراره المصدّق شرعاً بإركاب الفتاة/ (س) والهرب بها من الدوريات الأمنيَّة وصدم عدّة سيارات.
٣ـ التقارير الصادرة من الأدلة الجنائيَّة بما فيها تقرير (DNA) السابق ذكرها.
٤ـ التقرير الطبي الصادر بشأن الفتاة/ (س) السابق ذكره.
٥ـ محضر تعرّف الطفل/ (ف) شقيق/ (س) على الجاني.
٦ـ محضر تعرّف المجني عليها/ (س) على الجاني ومواجهته بها.
٧ـ تعرّف الطفلة المجني عليها/ (ي) على الجاني عدّة مرات وبأوضاع مختلفة وعلى سيارته.
٨ـ تعرّف شقيقة (ي)/ (ص) على سيارة الجاني.
٩ـ ضبط السيارة المستخدمة في الجريمة وبها آثار اصطدامه بالسيارات.

١٠ـ التقرير الطبي الصادر عن المجني عليها/ (ي) المشار إليه.
١١ـ ثبوت تناقضه وكذبه في أقواله.

وببحث سوابقه عثر له على سابقتين، الأولى: سكر وخطف طفلة وزنا حكم عليه بالسجن ١٢ عاماً أمضى منها أربع سنوات ثم خرج وجلده ٢٠٨٠ جلدة، والثانية: صنع مسكر داخل السجن.

هذا وقد وجّه صاحب السموّ الملكي وزير الداخليَّة بخطابه ذي الرقم... في ٢٨ـ١٤٢١/٢/٢٩هـ بسرعة إنهاء التحقيق وإحالة الجاني للمحكمة والتأكيد على الادعاء العامّ بالتشديد في الادّعاء والمطالبة بقتله لفعله الشنيع وحثّ القضاة على سرعة البتّ فيها.

وقد صدر قرار الاتّهام المتضمن إحالة المذكور إلى المحكمة الكبرى للمطالبة بالحكم عليه بحدّ الحرابة وفقاً لقرار هيئة كبار العلماء ذي الرقم ٨٥ والتاريخ ١٤٠١/١١/١١هـ المؤيَّد بالأمر السامي ذي الرقم ٨/١٨٩٤ والتاريخ ١٤٠٢/٨/١٣هـ وذي الرقم ٨/٥٣٤ والتاريخ ١٤٠٣/٣/٢٠هـ، وحيث إن ما أقدم عليه المذكور من اختطاف فتاةٍ آمنة لا حول لها ولا قوّة من أمام منزل ذويها والهرب بها إلى الصحراء وضربها وفعل الفاحشة بها بالقوّة ثمّ الهرب بها من رجال الأمن وقيادة سيارته بسرعة جنونيَّة وقفز الأرصفة وصدم عدد كبير من السيارات العائدة للمواطنين وبعض سيارات الأمن ومحلّ تجاري مما أدّى إلى إصابة سائقي تلك السيارات ومرافقيهم ونشر الذعر والخوف بين الناس الآمنين واختطافه طفلة صغيرة وفعل الفاحشة بها لإشباع رغبة بهيميَّة وشهوة شيطانيَّة جامحة دون خوف من الله أو رهبة من عقوبة وهو محصن وعليه سوابق خطيرة مماثلة لم تردعه عقوباتها ـ فعلٌ محرّمٌ ومعاقبٌ عليه شرعاً وتعدٍّ لحدود الله وانتهاكٌ لحرمات الآمنين واعتداءٌ على أعراضهم وسعيٌ في الأرض بالفساد مما يُعَدُّ ضرباً من ضروب الحرابة.

أطلب إثبات ما أسند إليه شرعاً والحكم عليه بحدّ الحرابة الوارد في الآية الثالثة والثلاثين من سورة المائدة وذلك بالحكم بقتله؛ قطعاً لشرّه على ضوء قرار مجلس هيئة كبار العلماء السابق ذكره المؤيَّد بالأمرين الساميين المشار إليهما أعلاه، كما أطلب مصادرة السيارة المرتكب عليها جرائم الاختطاف.

هذه دعواي».

وبسؤال المدعى عليه عمّا ذكره المدعي العامّ أجاب قائلاً: «ما ذكره المدعي العامّ غير صحيح، والذي حصل مني: هو أنني دخلت إلى حيّ المرسلات بالرياض في تاريخ القبض عَلَيَّ قبل صلاة العصر وشاهدت الطفلة المذكورة في الدعوى تبكي وخائفة فوقفت عندها وسألتها عن سبب ذلك فقالت: الرجّال، الرجَّال، وكانت تنظر إلى خلف السيارة، وطلبت منها أن تركب معي في السيارة من أجل الذهاب بها إلى منزل أهلها، فركبت وسألتها عن بيت أهلها فقالت: إنني لا أعرفه إلا عن طريق قصر الحمراء، فقمت

بالسير بالسيارة متّجهاً إلى ذلك الطريق، وعند الإشارة شاهدت جيب الشرطة فقمت بالهروب لأنني لا أعرف وضع هذه الطفلة، ولي سابقة خطف بنتٍ وفعل الفاحشة بها حُكِم عَلَيَّ بسببها اثني عشر عاماً وذلك قبل ثمان سنوات، وعندما هربت لاحقتني الشرطة واضطرتني إلى صدم بعض السيارات والوقوف، وتمّ القبض عَلَيَّ والطفلة معي، وأنا رجل متزوّج ومحصن، هذا الذي حصل منّي، وهذا جوابي».

وبعرض جواب المدعى عليه على المدعي العامّ قال: ما ذكرتُه في دعواي هو الصحيح، ولديّ ما يثبت ذلك، وهو ما أشرت إليه في الدعوى، وأطلب الرجوع إلى ذلك، ثم جرى رفع الجلسة للرجوع إلى ما ذكر وتدوين ما يلزم تدوينه.

وفي يوم الأحد ١٤٢١/٤/١٤هـ افتتحت الجلسة الثانية الساعة العاشرة والنصف، وحضر فيها المدعي العامّ والمدعى عليه، هذا وبالرجوع إلى أوراق المعاملة وجدنا من ضمنها محضر تعرّف الطفلة (ي) على المدعى عليه وذلك على الصحيفة الثالثة من ملف التحقيق العاشر، كما وجدنا على الصحيفة السادسة من الملفّ الخامس محضر تعرّف شقيق الطفلة (س)/ (ف) على المدعى عليه، كما وجدنا على الصحيفة التاسعة من ملفّ التحقيق العاشر سؤالاً موجّهاً من المحقق للمدعى عليه عن سبب ادّعاء الطفلة عليه فأجاب بقوله: ربّما أن الشخص الذي قام بخطفها يشبهني، هذا كما وجدنا من ضمن أوراق المعاملة تقرير إدارة الأدلة الجنائيَّة فحوص وراثيَّة لفّة ١٥٧ من المعاملة والذي جاء فيه ما نصّه: «النتيجة النهائيَّة تطابق الأنماط الوراثيَّة لمورثات الـ(STR) للعينات ذات الرقم... تلوّثات منويَّة على بنطلون جينز أبيض للطفلة (س)، وذات الرقم... تلوّثات منويَّة على مناديل (فاين) عثر عليها في سيارة المتّهم (ض)، وذات الرقم... دماء من على مناديل (فاين) عثر عليها في سيارة المتهم (ض)، مما يدل بأنها من مصدر واحد» ا.هـ، وهذا التقرير موقّع من فاحصين ومن رئيس قسم فحوص العوامل الوراثيَّة ومن مدير شعبة المختبرات الجنائيَّة، هذا كما جرى الاطّلاع على التقرير الطبي الصادر من مجمع الرياض الطبي ذي الرقم... والتاريخ... والذي جاء فيه ما نصّه: «اسم المريضة: (س)، العمر: ١١ سنة، بالكشف الطبي على المذكورة بعاليه بتاريخ ١٤٢١/٢/٩هـ تبيّن أنه يوجد سحجات خفيفة حول غشاء البكارة، مع العلم أن غشاء البكارة سليم»، وقد وُقّع من ثلاثة أطباء ومن مدير التقارير الطبيَّة بالمجمّع ـ كما يتّضح ذلك من اللفة رقم ٤٣ من المعاملة ـ، هذا كما جرى الاطّلاع على التقرير الطبي الصادر من مستشفى الإيمان العامّ لفة ١٠٨ من المعاملة المتضمن أنه بالكشف على الطفلة/ (ي) اتّضح أن هناك آثار جرح في الجزء الخلفي من المهبل وآثار جرح في غشاء البكارة وآثار الدماء على ملابسها، وقد وُقّع هذا التقرير من الطبيب/ يوسف بتاريخ ١٤٢١/١/١٦هـ، هذا وبالاطلاع على اعتراف المدعى عليه المدوّن على الصحيفة السادسة من ملفّ التحقيق المرفق رقم ثمانية والمصدّق من رئيس المحكمة

المستعجلة بالرياض وهذا الاعتراف يطابق ما جاء في إجابته لدينا إلا أنه ذكر فيه أنه لم يظهر له أن الطفلة تعرّضت لاعتداء ولم يشاهد آثار دماء عليها، هذا وقد أبرز لنا المدعي العامّ صورة من الصكّ الصادر من محكمة الخرج برقم... وتاريخ ١٤١٤/١/٢٤هـ المتضمن الحكم على المدعى عليه بالسجن لمدة اثنتي عشرة سنة وجلده ألفي جلدة من أجل الدعوى المرفوعة عليه من الادعاء العامّ المتّهم فيها بخطف طفلة وفعل الفاحشة بها، هذا كما وجدنا رفق أوراق المعاملة صورة برقيَّة من وزير الداخليَّة برقم... وتاريخ ٢٨-١٤٢١/٢/٢٩هـ لفة ١٠٠ من الأوراق، وهذه البرقيَّة موجهة لأمير منطقة الرياض، وهذا نصّها: «صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض إلحاقاً لبرقيتنا رقم... وتاريخ ١١-١٤٢١/٢/١٢هـ بشأن قيام (ض) باختطاف طفلة من أمام منزل ذويها وفعل الفاحشة بها ورغبتنا سرعة إنهاء التحقيق وإحالته للمحكمة الشرعيَّة والتأكيد على الادعاء العام بالتشديد في الادعاء والمطالبة بقتله لفعله الشنيع (فاصلة) بالرفع عن القضيَّة للمقام السامي الكريم تلقينا الأمر السامي رقم... وتاريخ ١٤٢١/٢/٢٧هـ القاضي بالتأكيد على ذلك وبأسرع وقت... فنرغب الإحاطة ومتابعة القضيَّة وحثّ القضاء على سرعة البتّ فيها وإفادتنا بما يتقرّر شرعاً. ولسموّكم تحياتنا. نايف بن عبدالعزيز وزير الداخليَّة» ا.هـ، هذا وقد حضر في هذه الجلسة والد الطفلة المخطوفة (س) سعودي وبرفقته زوجته أم الطفلة ومعها الطفلة المذكورة، وبعرض الطفلة على المدعى عليه وسؤاله هل هي الطفلة التي قام بإركابها معه في سيارته فقال: نعم، وبسؤال الطفلة المذكورة: هل تعرف المدعى عليه؟ فقالت: نعم وهو الرجل الذي قام بأخذي وفعل بي الفاحشة على الصفة المذكورة في الدعوى، هذا وحيث تضمنت أوراق المعاملة أن الأم قامت بغسل ابنتها قبل عرضها على الطبيب لذا فقد جرى سؤالها بعد تخويفها بالله عمّا ذكر فقالت: إني قد قمت بغسيل ابنتي هذه الحاضرة معي بعد تعرّضها للجناية ووجدت عليها قطعاً بيضاء وقطع دم وكانت تنزف دماً من دبرها لمدة أربعة أيام، هكذا أجابت، ثم إنه بعد ذلك جرى رفع الجلسة للتأمل، ولذا حرّر في ١٤٢١/٤/١٤هـ، وصلى الله على نبيّنا محمد.

وفي يوم الأحد ١٤٢١/٤/٢١هـ الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق افتتحت الجلسة الثالثة، وبعد تأمل القضيَّة ودراستها بعد سماع دعوى المدعي العامّ وجواب المدعى عليه وإنكاره لدعوى الخطف وإقراره بإركاب الطفلة المتّهم بخطفها في سيارته والقبض عليه وهي بصحبته والهروب من رجال الأمن وعدم الاستجابة لهم بالوقوف وصدمه لبعض السيارات، وما دفع به لا يقبل منه نظراً لسابقته المماثلة التي صادق عليها، وعدم انزجاره وارتداعه من الحكم الصادر بحقه موجبها مما يدل على سوء سلوكه وتأصّل الشرّ في نفسه، وبما أن ما قدّمه المدعي العامّ من دليل وما جاء في أوراق المعاملة من التقارير الطبيَّة ومحاضر التعرّف قرائنُ قويَّة تدين المدعى عليه بما نسب إليه من جرم خطير، وقد حقّق ابن القيّم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه بدائع الفوائد

١١٨/٣ أن القرائن إذا قويت أفادت علماً أقوى من الشهادة ونظراً إلى حضور المجني عليها وتعرّفها بالمدعى عليه وتعرّف المدعى عليه بها وتأكيدها ما قام به المدعى عليه نحوها، ونظراً إلى حضور أمها وإفادتها بوجود المادة البيضاء والدم على ابنتها المجني عليها بعد تخويفها بالله، ونظراً لانتشار ظاهرة خطف الصبيان والبنات لقصد فعل الفاحشة بهم، وهذا أمر خطير وجرم عظيم يهدّد أمن البلاد والعباد، ولقد جاء الشرع المطهر بوجوب حفظ وحماية الضروريات الخمس ومنها العرض، ونظراً إلى أن المفسد الذي لا يندفع فساده إلا بالقتل يقتل، جاء في الاختيارات لابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ ص ٥٢٠ قوله: «ومن لم يندفع فساده إلا بقتله فلا ريب في قتله، وإن جاز أن يندفع وجاز ألا يندفع قُتِل ـ أيضاً ـ» ا.هـ، وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر وذلك بتصرّف: «إن عدم قتل المفسد فيه خطر على أن ينحل نظام الإسلام لجراءة مثل ذلك على انتهاك المحارم»، وقال ـ رحمه الله ـ: «وهذا لأن المفسد كالصائل إذا لم يندفع الصائل إلا بالقتل قُتِل» ا.هـ، وفي الأثر: «**إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن**»، ولجميع هذه الأسباب فقد قرّرنا ما يلي:

أولاً: لم يظهر لنا ما يوجب إقامة حدّ الحرابة على المدعى عليه.

ثانياً: نظراً لما بيّنّاه من أسباب وكون المدعى عليه بالغاً عاقلاً رشيداً فقد قرّرنا قتل المدعى عليه تعزيراً؛ دفعاً لفساده.

ثالثاً: صرفنا النظر عن طلب المدعي العامّ مصادرة سيارة المدعى عليه اكتفاءً بالتعزير البدني.

وبجميع ما تقدّم حكمنا، ولذا حُرِّر في ١٤٢١/٤/٢١هـ، والله الموفق، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد.

الحمد لله وحده، وبعد:

ثم إنه في يوم السبت ١٤٢١/٥/١٩هـ وردنا صورة من خطاب رئيس مجلس القضاء الأعلى ذي الرقم... والتاريخ ١٤٢١/٥/٩هـ المحال لنا من رئيس هذه المحكمة برقم... وتاريخ ١٤٢١/٥/١٦هـ المرسل أصلاً إلى صاحب السموّ الملكي أمير منطقة الرياض وبرفقه صورة من تظهيرات المجلس على صكّ الحكم، وهذا نصّه:

«الرقم... التاريخ ١٤٢١/٥/٩هـ

تظهير مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة

الحمد لله وحده، وبعد:

فبدراسة هذا الصكّ الصادر من المحكمة الكبرى بالرياض برقم... في ١٤٢١/٤/٢٣هـ المتضمن الحكم على (ض) بقتله تعزيراً لخطفه طفلةً وفعل الفاحشة بها بالقوّة المصدّق من محكمة التمييز بالأكثريَّة بقرارها رقم... في ١٤٢١/٥/١هـ قرر

مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة برقم... في ١٤٢١/٥/٩هـ أنه لم يظهر له ما يعترض به على هذا الحكم، ويقترح المبادرة في تنفيذ العقوبة وإشهارها.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة

الخاتمة :

من خلال هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

١ـ الاختطاف في اللغة: أصل واحد هو الاستلاب في خفّة، وفي الاصطلاح: استلاب مكلّفٍ مختارٍ آدميًّا معصوماً علانية على وجه السرعة والمغالبة والقهر بغير حقّ شرعيّ سواء كان راكباً على الطائرة أو السفينة أو غيرهما أم غير راكبٍ.

٢ـ الاختطاف ثلاثة أنواع:

الأول: اختطاف الآدميّين.

الثاني: اختطاف السفن والبواخر.

الثالث: اختطاف الطائرات.

٣ـ الفرق بين الاختطاف وبين ما له به صلة مما يشترك معه:

الفرق بين الاختطاف والغصب:

الغصب: هو أخذ مال على وجه القهر والعدوان.

فيشتركان في أن كلاًّ منهما على وجه القهر والغلبة.

ويفترقان في أن الغصب خاصّ بالأموال ـ كما ذكره الفقهاء في تعريف الغصب ـ، وأن الاختطاف أوسع من هذا، فيشمل المال وغيره ـ كما سبق في بيان أنواعه

الفرق بين الاختطاف والسرقة:

السرقة: هي أخذ النصاب من حرزه على وجه الخفية.

فيفترقان في أن السرقة لا تكون إلا لأجل الأموال على وجه الخصوص ـ كما جاء في تعريفها ـ، أما الاختطاف فيكون لأجل المال والعرض والنفس وغير ذلك.

كما إن السرقة لا تكون إلا على وجه الخفية، أما الاختطاف فيكون علانية.

الفرق بين الاختطاف والغيلة:

الغيلة في كلام العرب: إيصال الشرّ والقتل إليه من حيث لا يعلم ولا يشعر، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

فتتفق الغيلة مع الاختطاف في عمليَّة استدراج الضحيَّة ومخادعته؛ للحصول على المال أو فعل الفاحشة به.

ويختلفان فيما يتبع الاستدراج، فإن قُتِل الضحيَّة كانت الجريمة غيلة، وإلا فاختطاف.

٤ـ الاختطاف محرّم بالكتاب والسنّة والإجماع والنظر.

٥ـ للحرابة في اللغة ثلاثة معانٍ، أحدها: السلب، وقد تعدّدت تعريفات الفقهاء للحرابة وأقربها تعريف المالكيَّة، وهو الذي عليه العمل اليوم.
٦ـ عقوبة الحرابة عقوبة حدّيَّة وهي الواردة في سورة المائدة، والراجح عند التطبيق أن (أو) في الآية للتخيير.
٧ـ العلاقة بين الاختطاف والحرابة أنه نوع منها.
وبالله التوفيق، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملحق
في بيان قرار هيئة كبار العلماء حول الموضوع
قرار رقم ٨٥ وتاريخ ١٤٠١/١١/١١هـ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ففي الدورة السابعة عشرة لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة بمدينة الرياض في شهر رجب عام ١٤٠١هـ اطّلع المجلس على كتاب جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ الذي بعثه إلى سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء، وإلى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الرئيس العامّ لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدعوة والإرشاد يطلب فيه جلالته دراسة موضوعين هامّين فيهما إفساد للأخلاق وإخلال بالأمن، أحدهما: قيام بعض المجرمين بحوادث السطو والاختطاف داخل المدن وخارجها بقصد الاعتداء على العرض أو النفس أو المال.

وفي الدورة الثامنة عشرة لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة بمدينة الطائف من ١٤٠١/١٠/٢٩هـ حتى ١٤٠١/١١/١١هـ نظر المجلس في الموضوع واطّلع على البحث الذي أعدّته اللجنة الدائمة، وبعد المناقشة المستفيضة وتداول الرأي انتهى المجلس إلى ما يلي:

وبناءً على ما تقدّم فإن المجلس يقرّر الأمور التالية:

أ ـ أن جرائم الخطف والسطو لانتهاك حرمات المسلمين على سبيل المكابرة والمجاهرة من ضروب المحاربة والسعي في الأرض فساداً المستحقة للعقاب الذي ذكره الله ـ سبحانه ـ في آية المائدة سواء وقع ذلك على النفس أو المال أو العرض أو أحدث إخافة السبيل وقطع الطريق، ولا فرق في ذلك بين وقوعه في المدن والقرى أو في الصحارى والقفار ـ كما هو الراجح من آراء العلماء رحمهم الله تعالى ـ، قال ابن العربي يحكي عن وقت قضائه: رفع إليّ قوم خرجوا محاربين إلى رفقة فأخذوا منهم امرأة مغالبة على نفسها من زوجها من جملة المسلمين معه فيها فاحتملوها ثم جدّ فيهم الطلب فأخذوا وجيئ بهم، فسألت من كان ابتلاني الله به من المفتين فقالوا: ليسوا محاربين؛ لأن الحرابة إنما تكون في الأموال لا في الفروج فقلت لهم: إنا لله وإنا إليه راجعون، ألم

تعلموا أن الحرابة في الفروج أفحش منها في الأموال وأن الناس كلّهم ليرضون أن تذهب أموالهم وتحرب من بين أيديهم ولا يحرب المرء من زوجته وبنته، ولو كان فوق ما قال الله عقوبة لكانت لمن يسلب الفروج.

ب ـ يرى المجلس في قوله ـ تعالى ـ: **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض)**[٥٤]، أن **(أو)** للتخيير كما هو الظاهر من الآية الكريمة، وقول كثيرين من المحققين من أهل العلم ـ رحمهم الله ـ.

جـ ـ يرى المجلس بالأكثريَّة أن يتولّى نوّاب الإمام (القضاة) إثبات نوع الجريمة والحكم فيها، فإذا ثبت لديهم أنها من المحاربة لله ورسوله والسعي في الأرض فساداً فإنهم مخيّرون في الحكم فيها بالقتل أو الصلب أو قطع اليد والرجل من خلاف أو النفي من الأرض بناءً على اجتهادهم مراعين واقع المجرم وظروف الجريمة وأثرها في المجتمع وما يحقّق المصلحة العامّة للإسلام والمسلمين إلا إذا كان المحارب قد قتل فإنه يتعيّن قتله حتماً ـ كما حكاه ابن العربي المالكي إجماعاً ـ، وقال صاحب الإنصاف من الحنابلة: «لا نزاع فيه».

ونظراً إلى أن جرائم الخطف والسطو وتعاطي المسكرات والمخدّرات على سبيل التزويج لها من القضايا الهامّة التي قد يحكم بالقتل تعزيراً فإنه ينبغي أن تختصّ بنظرها المحاكم العامّة وأن تنظر من ثلاثة قضاة ـ كما هو الحال في قضايا القتل والرجم ـ، وأن ترفع للتمييز ثم للمجلس الأعلى للقضاء لمراجعة الأحكام الصادرة بخصوصها براءةً للذمّة واحتياطاً لسفك الدماء.

هيئة كبار العلماء

---

[٥٤] المائدة: ٣٣.

فهرس المصادر والمراجع :

ـ أحكام القرآن:
أبو بكر محمد بن عبدالله، المعروف بـ«ابن العربي» (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

ـ الإرهاب الدولي خطورته والتخطيط لمواجهته:
عبدالله بن إبراهيم المهنا، المركز العربي للدراسات الأمنية، الرياض، ١٤٠٧هـ.

ـ الأم:
أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت:٢٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

ـ البحر الرائق شرح كنز الدقائق:
زين الدين ابن نجيم الحنفي (ت: ٩٧٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد:
محمد بن رشد القرطبي (ت: ٥٩٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ.

ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع:
علاء الدين أبو بكر ابن مسعود الكاساني الحنفي (ت: ٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

ـ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن:
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.

ـ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير:
أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، عني بتصحيحه والتعليق عليه: عبدالله هاشم اليماني المدني.

ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان:
عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، حقَّقه وضبطه ونسَّقه وصحَّحه: محمد زهري النجار، يطلب من المؤسسة السعيديَّة بالرياض.

ـ جرائم الإفساد في الأرض:
علي بن محمد الكندري، رسالة دكتوراه في المعهد العالي للقضاء.

- **الجرائم التي أفرزتها الحياة المعاصرة:**
زوار رياض حيدر، دار ميرزا، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- **جريمة اختطاف الطائرات وعقوبتها:**
فهد عبدالله الغامدي، بحث تكميلي ١٤٢٢/١٤٢٣هـ.
- **حاشية ابن عابدين = رَدّ المحتار على الدُّرّ المختار**:
محمد أمين، الشهير بـ«ابن عابدين» (ت: ١٢٥٢هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.
- **حاشية العدوي على شرح الخرشي:**
علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي (ت: ١١٨٩هـ)، مطبوع بهامش شرح الخرشي، المطبعة الأميريَّة ببولاق، مصر، طبع عام: ١٣١٨هـ.
- **خطف الطائرات:**
هيثم الناصري (معاصر)، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنشر.
- **سنن ابن ماجه**:
أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربيَّة السعوديَّة الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- **شرح صحيح مسلم**:
يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار الفكر.
- **الشرح الكبير للدردير = الشرح الكبير على مختصر خليل:**
أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير العدوي المالكي (ت: ١٢٠١هـ)، مطبوع بهامش حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار إحياء الكتب العربيَّة بمصر.
- **فتح القدير**:
كمال الدين محمد عبدالواحد السيواسي ثم السكندري، المعروف بـ«ابن الهمام» (ت: ٦٨١هـ)، دار صادر، بيروت، المطبعة الكبرى الأميريَّة ببولاق، مصر، الطبعة الأولى ١٣١٧هـ.
- **القاموس المحيط:**
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- **كشَّاف القناع عن متن الإقناع:**
منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت: ١٠٥١هـ)، مراجعة: هلال مصيلحي مصطفى هلال، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

- **لسان العرب:**
أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، طبع عام ١٤١٢هـ.
- **المبدع شرح المقنع:**
أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مفلح الحنبلي (ت: ٨٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، طبع عام ١٩٨٠م.
- **مجموع الفتاوى = مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة:**
جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (ت: ١٣٩٢هـ)، دار العربيَّة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، تصوير عن الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
- **المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل:**
مجد الدين أبو البركات (ت: ٦٥٢هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- **المحلى:**
أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت: ٤٥٦هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.
- **مختصر الخرقي من مسائل الإمام المبجل أحمد بن محمد بن حنبل:**
أبو القاسم عمر بن الحسين الخرقي (ت: ٣٣٤هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.
- **المدوّنة الكبرى:**
مالك بن أنس بن مالك، دار صادر، بيروت، طبع عام ١٣٢٣هـ.
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:**
أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠هـ)، المكتبة العلميَّة، بيروت، لبنان.
- **المطلع على أبواب المقنع:**
أبو عبدالله شَمْس الدِّين محمد ابن أبي الفتح البعلي الحنبلي (ت: ٧٠٩هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ.
- **المغرب:**
ناصر المطرزي، دار الكتاب العربي.

ـ المغني:

موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي (ت: ٦٢٠هـ)، مطبوع مع «الشرح الكبير»، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبع عام ١٣٩٢هـ.
نسخة أخرى من الكتاب السابق، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، وعبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج:

محمد الشربيني الخطيب (ت: ٩٧٧هـ)، شركة مكتبة البابي الحلبي وأولاده بمصر.

ـ مقاييس اللغة:

أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر.

ـ المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني:

موفق الدين أبو محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت: ٦٢٠هـ)، مطبوع مع حاشية الشيخ سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب.

ـ مِنَح الجليل شرح مختصر خليل:

أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد عليش (ت: ١٢٩٩هـ)، دار الفكر، طبع عام ١٤٠٩هـ.

ـ المهذب في فقه الإمام الشافعي:

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ـ المواجهة الجنائية والأمنية لخطف الطائرات:

خالد بن سعود البشر، طبع عام ١٤١٤هـ.

ـ موسوعة الفقه الكويتيَّة:

إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة بالكويت.

القيم الإسلامية التربوية في ديوان حسان بن ثابت ﷺ

إعداد

د. خاتمة حسن حمود محمد

قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية – جامعة جدة – السعودية

تم استلام البحث في ٢٠١٨/٥/٥ تم الموافقة على النشر في ٢٠١٨/٦/١٥

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز القيم الإسلامية في ديوان شعر حسان بن ثابت وبيان أهم الأساليب التربوية المقترحة لتنمية هذه القيم الإسلامية لدى المتعلمين، وقد اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، وجاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

حيث تناولت في المقدمة: موضوع البحث ومصطلحاته وأهميته وأهدافه وما أفاد البحث من دراسات سابقة عنه وهيكل البحث والمنهجية المتبعة، ثم أوضحت الدراسة في المبحث الأول: مفهوم القيم الإسلامية لغة واصطلاحًا، ومدى أهميتها، وتطرق المبحث الثاني: إلى القيم الإسلامية في ديوان حسان ﷺ، وما تتضمنها من قيم إيمانية وخلقية واجتماعية ووجدانية وثقافية وجاء المبحث الثالث بطرح الأساليب التربوية المقترحة؛ لتنمية القيم الإسلامية في شعر حسان ﷺ لدى المتعلمين. وخلصت الدراسة بخاتمة متضمنة لأهم النتائج والتوصيات حيث أوصت الدراسة: القيام بدراسات تحليلية للقيم التربوية الإسلامية المتضمنة في الكتاب والسنة، وتراث هذه الأمة، ولاسيما شعر شعراء الإسلام العظماء، وتقديمها للمتعلم بأساليب متنوعة.

الكلمات المفتاحية: شاعر الرسول- القيم الإسلامية– تربية المتعلمين.

ABSTRACT:

This study aims to highlight the Islamic values in the collection compiled by Hassan Bin Thabet. It further aims to shed light on the most significant of poems educational approaches proposed to improve such Islamic values among learners and scholars. To this aim, the researcher has employed the analytical descriptive inductive approach. The study is composed of an introduction, three topics and conclusion. The "Introduction" is concerned with the subject matter of the study together with the approach employed. In this section, the researcher provides

significance and objectives of the subject matter, together with the benefits derived from literature review, procedures of the study and the approach employed. The First Topic of the study is concerned with the concept of Islamic Values in terms of language and terminology, together with significance of Islamic values. Meanwhile, the second topic is concerned with Islamic values in the collection of poems compiled by Hassab Bin Thabet. The researcher further presented the religious, ethical, social, emotional and cultural values in the poems. The third topic of the study demonstrated the proposed educational methodology to improve Islamic values in Hassan's poetry among learners and scholars. The study concluded with the most significant findings and recommendations as the study recommended the following. Analytical studies on Islamic educational values indicated in the Holy Quran and Sunna and heritage of the nation, particularly the poems of the Islamic great poets shall be conducted and presented to the learners in various approaches.

Keywords: Prophet's Poet, Islamic Values, Education of Learners

مقدمة:

الحمد لله الواحد الخلاق، والصَّلاة والسَّلام على رسوله محمَّدﷺ، الذي قال:" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1]، وعلى آله وأصحابه الكرام، والتَّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، وبعد:

فإنَّ هذا البحث يتناول القيم الإسلامية؛ الإيمانية والأخلاقية والوجدانية والاجتماعية والثقافية في ديوان حسانﷺ لما لها من دور تربوي في تنشئة المتعلمين تنشئة صالحة تحفظهم من الانزلاق في مهاوي العولمة، وطمس الهوية الإسلامية في شتى مناحي الحياة، مع الاستعانة بشرح ديوان حسانﷺ للبرقوقي، والاعتماد على نسخ محققة للديوان، مثل: ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: د. وليد عرفات، وديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق: عبد الله سنده، وكثير من المراجع التي تناولت حسان بن ثابت وشعره كأُسْد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، وسير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي مع بيان أهمية القيم الإسلامية

(1) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين(ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد- الهند، ط١(١٣٤٤ ه)،١٠/ ١٩١.

المتضمنة في شعر حسانﷺ، وأهمية غرسها وتنميتها بأساليب تربوية مقترحة في نفوس المتعلمين؛ حفاظا على الهوية الإسلامية العربية.

مشكلة البحث:

تتمثل في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما القيم الإسلامية المتضمنة في شعر حسانﷺ؟

٢- ما علاقة هذه القيم بتربية المتعلمين؟

٣- كيف ننمي هذه القيم الإسلامية لدى المتعلمين بأساليب تربوية مقترحة؟

أهميَّة البحث:

١- ربْط الشعر بالقيم الإسلامية: الإيمانية والأخلاقية والوجدانية والاجتماعية والثقافية.

٢- إنها دراسة تطبيقية تستمد أهميتها من جلال موضوعها المتمثل في القيم الإسلامية التربوية المتضمنة في شعر حسانﷺ والتي استمدها من القرآن الكريم، وسنة النبي الرحيمﷺ.

٣- الإسهام في المحافظة على الهوية الإسلامية العربية بالتمسك بقيمه الإسلامية.

٤- إبراز دور الشعر في الحفاظ على القيم الإسلامية التربوية وغرسها في نفوس المتعلمين.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى أمور منها:

١- التعريف بِالقِيم الإِسلاميَّة، وبيان عَلاقتها بِالشِّعر العربي.

٢- كشف اللثام عن القيم الإسلامية في نصوص حسان بن ثابت الشعرية وتصنيفها وتحليلها.

٣- إيضاح أبرز الأساليب التربوية؛ لتنمية القيم الإسلامية لدى المتعلمين.

منهج البحث:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي التطبيقي، باستقراء القيم الإسلامية التي وردت في ديوان حسان منثورة كالدر في ثنايا قصائده الشعرية مع تناولها بالتصنيف إلى قيم إيمانية، وأخلاقية، ووجدانية، واجتماعية، وثقافية، وعرض وتحليل هذه القيم في مواضعها التي وردت فيها مع اتّخاذ ديوان حسان ميدانا لتطبيق ما تمّ استقراؤه، وجمع شروح العلماء ومناقشتها وإبداء رأي الباحثة فيها.

الدراسات السابقة:

لقد تعددت البحوث والدراسات التي تناولت حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، ولكل وجهة هو موليها، إذ إنّه يُعد ميدانًا خصبًا للدراسة، إلا أن هذه الدراسة ربطت بين القيم الإسلامية من جهة وتربية المتعلمين من جهة أخرى، كما أنّها تناولت تنمية هذه القيم بأساليب تربوية مقترحة في نفوس المتعلمين؛ حفاظا على الهوية الإسلامية العربية، ولعلّ من أبرز الدراسات التي انصبّت في هذا الصدد:

١- بحث بعنوان(التحولات الفكرية في شعر حسان بن ثابت):أحمد الذنيبات- خالد البداينة، مجلة جامعة دمشق–المجلد- ٢٩ – العدد(١، ٢)- ٢٠١٣م.
٢- بحث بعنوان(الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام): نضال أحمد الزبيدي، دار الينابيع، استكهولم، ط١ ٢٠١٠م.
٣- بحث بعنوان(الإيمان بالله وصفاته في شعر حسان بن ثابت): محمد أويس، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان. العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥ م.
٤- بحث بعنوان(البناء والصورة في الشعر الإسلامي لحسان بن ثابتﷺ)(دراسة بلاغية: رسالة ماجستير محسنة بنت عبدالله الحارثي، جامعة أم القرى، ١٤٣٤هـ/ ١٤٣٥هـ.

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

- عنيت البحوث السابقة في تناول حسان بن ثابت بحياته ونشأته ومكانته في الإسلام بوصفه حلقة من حلقات تطور الشعر العربي في الإسلام عنه في الجاهلية، وبعضها تناول أغراضه الشعرية من حيث التحولات في شعره الناتجة عن تأثير الإسلام فيه كالثنائيات المتضادة في النواحي الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية أو من الناحية البلاغية من زاوية مغايرة تماما لطبيعة هذه الدراسة، والذي يتناول القيم الإسلامية في شعر حسان وإبراز دورها في الحفاظ على القيم الإسلامية التربوية وغرسها في نفوس المتعلمين من خلال تصنيفها وتحليلها، وعرض أبرز الأساليب التربوية المقترحة من الباحثة؛ لتنمية القيم الإسلامية لدى المتعلمين.
- عنيت هذه الدراسة بإبراز القيم الإسلامية من خلال عرضها في أبيات الشعر، وشرحها.
- تناولت هذه الدراسة قضايا إطراء النبيﷺ بين المنع والإجازة ورأي الباحثة، وقضية سماع الموتى وعدم سماعهم تناولا تطبيقيا غير مسبوق في ديوان حسانﷺ، ومناقشة الأدلة مناقشة موضوعية، ورفع توهم التعارض الظاهري بين قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ**﴾ **[النمل: ٨٠]**، ومناداة الرسولﷺ لأهل قليب بدر من المشركين بعد موتهم، وإثبات سماعهم، وبيان أثر هذه القضايا الدينية وغيرها في الرقي بالمتعلمين في صنوف القيم.

التمهيد: نبذة مختصرة عن حسان بن ثابت ﷺ:(٢)

حَسَّانُ بنُ ثَابِتِ بنِ المُنْذِرِ بنِ حَرَامٍ ﷺ الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، النَّجَّارِيُّ، شَاعِرُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ سَيِّدُ الشُّعَرَاءِ المُؤْمِنِيْنَ، المُؤيَّدُ بِرُوْحِ القُدُسِ..شاعر مخضرم عَاشَ سِتِّيْنَ سَنَةً فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَسِتِّيْنَ فِي الإِسْلاَمِ.. ولا أدل على مكانته من قول أبي عبيدة: " فَضَلَ حسان على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبيﷺ في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام"(٣). قَالَ ابْنِ المُسَيِّبِ: كَانَ حَسَّانٌ فِي حَلْقَةٍ فِيْهِم أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: أَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ:"أَجِبْ عَنِّي، أَيَّدَكَ اللهُ بِرُوْحِ القُدُسِ"؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ.وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ حَسَّانٌ يَضَعُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْبَرًا فِي المَسْجِدِ، يَقُوْمُ عَلَيْهِ قَائِمًا، يُنَافِحُ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَرَسُوْلُ اللهِﷺ يَقُوْلُ:"إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوْحِ القُدُسِ مَا يُفَاخِرُ أَوْ يُنَافِحُ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ"(٤)...،وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"مَنْ يَحْمِي أَعْرَاضَ المُسْلِمِيْنَ؟". قَالَ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ: أَنَا. وَقَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: أَنَا. وَقَالَ حَسَّانٌ: أَنَا. قَالَ:"نَعَمْ، اهْجُهُمْ أَنْتَ، وَسَيُعِيْنُكَ عَلَيْهِم رُوْحُ القُدُسِ"... وعَنْ عَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ، قال: دَخَلَ حَسَّانٌ عَلَى عَائِشَةَ بَعْدَ مَا عَمِيَ، فَوَضَعَتْ لَهُ وِسَادَةً، فَدَخَلَ أَخُوْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: أَجْلَسْتِيْهِ عَلَى وِسَادَةٍ، وَقَدْ قَالَ مَا قَالَ؟!- يُرِيْدُ: مَقَالَتَهُ نَوْبَةَ الإِفْكِ -. فَقَالَتْ: إِنَّهُ - تَعْنِي: أَنَّه كَانَ يُجِيْبُ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَيَشْفِي صَدْرَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ- وَقَدْ عَمِيَ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَلاَّ يُعَذَّبَ فِي الآخِرَةِ. وَرُوِيَ عَنْ: عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَدِمَ رَسُوْلُ اللهِ المَدِيْنَةَ، فَهَجَتْهُ قُرَيْشٌ، وَهَجَوا مَعَهُ الأَنْصَارَ. فَقَالَ لِحَسَّانٍ:"اهْجُهُمْ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تُصِيْبَنِي مَعَهُمْ بِهَجْوِ بَنِي عَمِّي"(٥).

---

(١) ينظر، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهَبيّ(ت٧٤٨هـ)، سيَر أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١(١٤١٧هـ-١٩٩٦م)،٢/٥١٤- ٥٢٣.

و- ينظر، القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي(ت في بداية القرن الرابع الهجري)، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر، ط(١٩٨١م)،٤٩٢.

(٢) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن الجذري(ت:٦٣٠هـ)، أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة ، دار ابن حزم ، بيروت، ط١(١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م)، ٢٧٠.

(٣) الترمذي، أبو عيسى الترمذِيّ(ت٢٧٩هـ)، سُنَنُ الترمذي(الجامع الكبير)، تحقيق: د. بشار عَوَّاد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١(١٩٩٦م)، أبواب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، حديث(٢٨٤٦)، ٤/٥٢٩.

(٤) ينظر، ابن عبد البر،أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر(ت٤٦٣هـ)،الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل،بيروت، ط١(١٤١٢هـ- ١٩٩٢م)،١/ ٣٤٢.

قَالَ: لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُم سَلَّ الشَّعْرَةِ مِنَ العَجِيْنِ... وعَنْ عَائِشَةَ:أَنَّ النَّبِيَّﷺ قَالَ:"اهْجُ قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهِم مِنْ رَشْقٍ النَّبْلِ". وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ:(هَجَاهُمْ حَسَّانٌ، فَشَفَى)... وَيَبْقَى قِسْمٌ ثَالِثٌ، وَهُوَ حُبُّهُ، سَكَتَ عَنْهُ. وعَنْ سَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ، قَالَ:قِيْلَ لابْنِ عَبَّاسٍ: قَدِمَ حَسَّانُ اللَّعِيْنُ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا هُوَ بِلَعِيْنٍ، قَدْ جَاهَدَ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ، وَلِسَانِهِ. قُلْتُ: هَذَا دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ غَزَا. وقَالَ ابْنُ الكَلْبِيِّ: كَانَ حَسَّانٌ لَسِنًا، شُجَاعًا، فَأَصَابَتْهُ عِلَّةٌ أَحْدَثَتْ فِيْهِ الجُبْنَ... قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: تُوُفِّيَ حَسَّانُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِيْنَ عن مائة وعشرين سنةً مناصفةً في الجاهلية والإسلام[٦].

المبحث الأول: مفهوم القيم الإسلامية لغة واصطلاحا، وأهميتها.

*** مفهوم القيم الإسلامية لغة:**

لفظ «**القِيَم**» **:** مفرده «**القِيَمَة**»[٧]، وأصله الواو؛ لأنه يقوم مقام الشيء، وهو مرتبط بمادة «قَوَمَ» التي استعملت في اللغة لإفادة عدة معان منها: "«**القِيمَة**» : الثمن الذي يُعادل السلعة"[٨]....، و«**القائم بالدين**»**:** المستمسك به الثابت عليه. وكل من ثبت على شيء فهو قائم عليه[٩]، و«**الاستقامة**»**:** الاعتدال، يقال استقام له الأمر. ومنه قوله تعالى:﴿**فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ**...﴾ **[فصلت:٦]** ،أي: في التوجه إليه دون غيره....و«**قومْتُ الشيء فهو قويم**» ، **أي:** مستقيم...، و"«**أقامَ دَرْأَهُ**»: أزال عِوَجَهُ"[١٠]، و«**قِوام الأمر**»**:** نظامه وعماده وملاكُه الذي يقوم به، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا**﴾ **[النساء:٥]** أي بها تقوم أموركم[١١] .... و«القَيِّمُ»**:** المستقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ**...﴾ **[الروم:٢٩]** أي الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق. وقوله تعالى:﴿**فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**﴾ **[البينة:٣]**، أي مستقيمة

---

(١) ينظر، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي،(ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، تحقيق: الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت (ط١)،(١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م)،٢٥٣/١.

(٢) ينظر، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٨هـ): الصحاح تَاجُ اللغةِ وصِحَاحُ العربيةِ مُرَتَّبٌ تَرْتِيبًا ألفبائيًا وِفْقَ أوائلِ الحروفِ، تحقيق، د. محمد محمد تامر، دار الحديث- القاهرة، ط(١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، مادة(قوم)،٩٧٨.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤(١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م)،٤٤٠.

(٤) ينظر، الجوهري، الصحاح، مادة(قوم)، ٩٧٨.

(٥) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ): القاموسُ المُحِيطُ مُرَتَّبٌ تَرْتِيبًا أَلِفْبَائِيًّا وِفْقَ أَوَائِلِ الحروفِ، نسخة منقحة وعليها تعليقات الشيخ أبو الوفا نصر الهُوريني المصري(ت١٢٩١هـ)، راجعه أنس الشامي وزكريا جابر، دار الحديث- القاهرة، ط(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ١٣٨٣.

(٦) الجوهري، الصحاح، مادة(قوم)،٩٧٨.

تبين الحق من الباطل... وأقام الشيءَ، أي: أدامَه[١٢] ، ومنه قوله تعالى:﴿**وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ**﴾ **[البقرة:٣]**، وبالتدبر في المعاني اللغوية لمادة«قَوَمَ» السابقة نجدها متحققة في معنى«القيم» الموصوفة بـ «الإسلامية» اصطلاحًا **فمفهوم القِيَم الإسلامية اصطلاحا:** لا يخرج عن المعنى اللغوي، فهي تعني اصطلاحا:"ما قُوِّمَ به الشيءُ بمنزلة المعيار من غير زيادة ولا نقصان"[١٣].

وحيث إنها قيم إسلامية: فكل قيمة منها لها ثمنها وقيمتها، وتتسم بالاستقامة والاعتدال، وكم من مستمسك بها ثابت عليها منذ ظهور الإسلام وحتى الآن؛ لأنها نظام أمر المسلم وعماده وملاكه؛ الذي به تستقيم أمور حياته الدينية والدنيوية؛ لأنها قيم مستقيمة تتسم بالثبات والدوام والاستمرار، وتبين الحق من الباطل، وبها يقوَّم أمر كل من عمل بها، ويُزال عِوَجُهُ.

أهمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر ديوان حسانﷺ:

تأتي أهمية القيم الإسلامية في شعر حسانﷺ من المصادر التي استقاها منها، وهي:

القرآن الكريم، والسنة النبوية التي عايشها قولا أو فعلا أو تقريرا، والأحداث العظام ومنها الهجرة والغزوات كبدر وأحد والخندق، ويوم الرجيع، وفتح مكة، وخبراته الحياتية من عمره المديد في الجاهلية والإسلام، وأيده الله بروح القدس ما دافع عن رسول اللهﷺ وهو ما لم يتوفر لأحد من الشعراء غيره؛ لقول رسول اللهﷺ"إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوْحِ القُدُسِ مَا نَافَحَ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ"، والإجماع؛ لقولهﷺ:"إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَجْمَعَ أُمَّتِي، أو قال أُمَّةَ محمدٍﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ، ويدُ اللهِ معَ الْجَمَاعَةِ... قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه"[١٤] ، والقياس؛ لقولهﷺ لمن سألته عن الصيام عن أمها بعد موتها:"أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيهَا دَيْنٌ فَقَضَيْتِهِ أَكَنْتِ تَقْضِينَهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ بالقَضَاءِ"[١٥].

واكتسبت القيم الإسلامية المتضمنة في شعر حسانﷺ خصائص فريدة منبعها القرآن الكريم والسنة النبوية منها: أنها توجيهات ربانية، موافقة لأوامر الله، ومجتنبة لنواهيه، وأنها قيم شمولية لجميع النواحي البشرية، وأنها قيم وسطية لا إفراط فيها، ولا تفريط، وأنها قيم صالحة لكل زمان ومكان لا تتغير بتغيرهما فهي من لدن حكيم خبير.

---

(٧) ينظر، الفيروزآبادي، القاموس المحيط،١٣٨٣

(١) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، دار الصفوة للطباعة، الكويت، ط١ (١٤١٦هـ-١٩٩٥م):(قيمة)،٣٤/ ١٣٢.

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، حديث(٢١٦٧)، ٤/ ٣٩.

(٣) مسلم، الحافظ أبو الحسين مُسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم المسمَّى المسند الصحيح المختصر من السُّنن بِنَقْل العَدْلِ عن العَدْلِ إلى رسولِ الله ﷺ، تحقيق: أبو قتيبة الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط١(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت، حديث(١١٤٨)، ١/ ٥٠٩.

المبحث الثاني: القيم الإسلامية في ديوان حسان ﷺ:

إن القيم الإسلامية التي عبَّر عنها شاعر الرسول قيم هداية محضة؛ لأنها مستمدة من كتاب اللهﷻ، وسنة نبيهﷺ، ومن ثم فهي مانعة لكل من تمسك بها من أن يضل أبدا، وصنفتها إلى خمسة أصناف هي: القيم الإيمانية، والخُلُقِيَّة، والوجدانية، والاجتماعية، والثقافية مع ملاحظة أن هذه القيم غير منفصلة عن بعضها في شعر حسانﷺ، وإنما صنفتها هذا التصنيف؛ ليسهل دراسة الأشعار المعبرة عن كل صنف منها، ولما لكل صِنف من أهمية تربوية في سلوك المتعلمين، فالقيم هي الأساس السليم لبناء تربوي متميز (١٦).

أولا: القيم الإسلامية الإيمانية:

من القيم الإسلامية الإيمانية؛ الإيمان بالله، وبملائكته، وبكتبه، وبرسله، وباليوم الآخر، وبقضاء الله وقدره ، وبالبعث، وبالتوكل على الله، والإيمان بقيمة تقوى اللهﷻ، وحفظ الدين بالدعوة إلى الله والإسلام.

- قيمة توحيد الألوهية والربوبية قال حسانﷺ:(١٧)

وَأَكْرَمَنَا اللهُ الذي لَيْسَ غَيْرُهُ	*	إِلَهٌ، بِأَيَّامٍ مَضَتْ مَا لَهَا شَكْلُ
بِنَصْرِ الْإِلَهِ لِلنَّبِيِّ وَدِينِهِ	*	وَأَكْرَمَنَا بِاسْمٍ مَضَى مَا لَهُ مِثْلُ

فهو يثبت الألوهية لله وحده، وينفيها عن كل ما سواه، ويثبت نصرة الله لنبيهﷺ، وللإسلام، وإكرامه بهداية من اهتدى إلى الإسلام، **وأكد على قيمة التوحيد** في قصيدة مدح للنبيﷺ بقوله:(١٨)

وأَنْتَ إِلَهَ الْخَلْقِ رَبِّي وَخَالِقِي	*	بِذَلِكَ مَا عَمَّرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قولِ مَنْ دَعَا	*	سِوَاكَ إِلَهًا، أَنْتَ أَعْلَى وَأَمْجَدُ
لَكَ الْخَلْقُ والنُّعْمَاءُ، والأَمْرُ كُلُّهُ	*	فَإِيَّاكَ نَسْتَهْدِي، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ

فهو يقر بربوبية الله له،وللخَلْق وإلوهيته لهم، فهو رب الناس، له الخلق والنعماء، والأمر كله، ويتضح أثر القرآن الكريم في ألفاظه، ومعانيه؛ فقوله:(رَبَّ النَّاسِ) من قوله تعالى:﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ**﴾**[الناس:١]**،وقوله:(لَكَ... الأَمرُ كله) من قوله تعالى:﴿**لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ**﴾**[الروم:٤]**، وقوله: (فَإِيَّاكَ نَسْتَهْدِي، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ) من

(١) أبو العينين، علي خليل، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة الحلبي- المدينة المنورة، ط(١٩٨٨م)، ٣٤.

(٢) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق:عبد الله سنده، دار المعرفة- بيروت،ط١(١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م) ،٢٠٥.

(٣) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٥٤، ٥٥.

قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ... ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ **[الفاتحة:٥، ٦]**، فنحن نخصك يا الله وحدك بطلب الهداية، ونخصك وحدك بالعبادة، فلا رب غيرك، ولا إله سواك.

- وأكد قيمة توحيد الله، ونهي الناس عن أن يجعلوا لله نِدًّا وهو الخالق، قال حسان﵁:(١٩)

فَلَا تَجْعَلُوا للهِ نِدًّا، وَأَسْلِمُوا	*	وَلَا تَلْبِسُوا زِيًّا كَزِيِّ الْأَعَاجِمِ

فنهيه لهم عن أن يجعلوا لله ندا، أي: شريكا مأخوذ من قوله تعالى:﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ **[البقرة:٢٢]**، وأردفه بدعوتهم إلى دين الإسلام بقوله:(وَأَسْلِمُوا)، ونهيهم عن لِبْسِ زي الأعاجم؛ لنهي النبيﷺ عن التشبه بهم بقوله: "مَنْ تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم"(٢٠).

- وأكد قيمة الإيمان بصدق وعد الله ﷻ رسولهﷺ فتح مكة، قال حسان﵁ قبل فتح مكة:(٢١)

فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا	*	وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِجِلَادِ يَوْمٍ	*	يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وقد تحقق فتْحُ مكة في شهر رمضان سنة ثمان للهجرة، وقوله:(يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ) مقتبس من قوله تعالى:﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ **[آل عمران: ٢٦]**

- ويتبع قيمة الإيمان بوحدانية الله الحلف باللهﷻ قال حسان﵁ يهجو هُذَيْلًا:(٢٢)

فَلا واللهِ مَا تَدْرِي هُذَيْلٌ	*	أَمَحْضٌ مَاءُ زَمْزَمَ أَمْ مَشُوبُ

أقسم الشاعر بالله في ذَمِّهِ هُذَيْلا، وهم حَيٌّ من مُضَر؛ لأن ماءها(الرجيع) حصل عنده الغدر بالمؤمنين. **- وأكد على قيمة الحلف بالله في التمسك بأمر رسول اللهﷺ حتى الميعاد بقوله:**(٢٣)

واللهِ ربِّي لا نُفَارِقُ أَمْـــرَهُ	*	مَا كَانَ عَيْشٌ يُرْتَجَى لِمَعَادِ
لَا نَبْتَغِي رَبًّا سِـــواهُ ناصرًا	*	حتى نُوَافِي ضَـحْوَةَ الْمِيعَادِ

- وقيمة الإيمان بصفات الله وأسمائه، ومنها أنه رب العُلَى القادر على حفْظ رسوله ونصرته قال﵁:(٢٤)

مُتَكَرِّمًا يَدْعُو إِلَى رَبِّ الْعُلَى	*	بَذْلَ النَّصِيحَةِ رَافِعَ الأَعْمَادِ

---

(١) ديوان حسان،تحقيق: سنده، ٢٤٨.
(٢) رواه أبو داود(٤٠٣١)، وأحمد(٥١١٤).
(٣) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٥.
(٤) المرجع السابق، ٢٢.
(٥) نفسه، ٥٦.
(٦) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٥٦.

فالرسول ﷺ كريمٌ في نُصحه، شريف في أصله يدعو إلى عبادة الله(رَبِّ الْعُلَى) اقتبس المعنى من قوله تعالى:﴿...خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه:٤]، فخالق السماوات العُلَى هو ربها.

- وقال مثبتًا لله صفة القدرة:(٢٥)

إِنْ تترُكُوهُ فَإِنَّ رَبِّي قَادِرٌ	*	أَمْسَى يَعُودُ بِفَضْلِهِ الْعُوَّادِ

فإنْ تتخلوا عن رسول اللهﷺ فإن ربي قادر على حفظه، ورجع بخيرِ كلُّ مَنْ لقي رسول اللهﷺ.

- وأنه لا رب سواه وأنه الناصر قال:(٢٦)

لا نبتغي رَبًّا سِوَاهُ نَاصِرًا	*	حتى نُوافِي ضَحْوَةَ الْمِيعَادِ

- والإيمان بأسماء الله وصفاته، ومنها اسمه(الرحمن)، قال:(٢٧)

يدلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ	*	ويُنْقَذْ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشَدُ

- والإيمان باسم الله(الجليل) قال مبلغا أبا مخزوم الحارث بن هشام المخزومي أنه لو انتظر وأقام قليلا لألحقوه بالجليل وهو الله سبحانه وتعالى، أي: لو أقمت قليلا لقتلناك، قال:(٢٨)

أَمَا وَأَبِيكَ لَوْ لَبِثْتَ شيئًا	*	لأَلْحَقَكَ الْفَوَارِسُ بِالْجَلِيلِ

- والإيمان بأن(الله)(الرحمن)(رب المشارق)، قال:(٢٩)

إِذَا اللهُ حَيَّا مَعْشَرًا بِفِعَالِهِمْ	*	وَنَصْرِهِمِ الرَّحْمَنَ رَبَّ الْمَشَارِقِ

فكل مَنْ نصروا رسول الله ﷺ بفعالهم حيَّاهم الله، ونصرهم بالرحمن المالك والمتصرف في جميع المشارق، واقتبس قوله:(رَبَّ الْمَشَارِقِ) من قوله تعالى:﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ...﴾ [المعارج:٤٠].

- ودعا الله سبحانه باسمه(العزيز) في قوله:(٣٠)

مُحَمَّدٌ وَالْعَزِيزُ اللهُ يُخْبِرُهُ	*	بِمَا تُكِنُّ سَرِيرَاتُ الْأَقَاوِيلُ

- ومناداته الله سبحانه (يا ذا الجلال) داعيا له أنْ يجمعنا مع نبينا في جنة الفردوس التي تَثْنِي، أي: ترد وتدفع عيون الحاسدين في قوله:(٣١)

---

(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٥٦.
(٢) المرجع السابق،٥٧.
(٣) نفسه،٦٢.
(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٩٩.
(٥) المرجع السابق،١٨٢.
(٦) نفسه،٢٠٠.
(٧) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٦٦.

يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا ونَبِيَّنَـــــا	*	فِي جَنَّةٍ تَثْنِي عُيُونَ الحُسَّـــــدِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوسِ وَاكْتُبْهَا لَنَا	*	يَا ذَا الْجَلَالِ وذا الْعُلَا والسُّؤدَدِ

- والإيمان بأن الله رب غفور إله الخلق ذو العرش، قال ﷺ في رثاء حمزة بن عبد المطلب ﷺ حين قَدِمَت ابنتُه أُمَامَةُ المدينةَ المنورةَ تَسْأَلُ عن قبر أبيها ومصرعه:(٣٢)

فَقُلْتُ لَهَـــا إِنَّ الشَّـــهَادَةَ رَاحَـــــةٌ	*	وَرِضْوَانُ رَبٍّ، يَا أَمَامَ، غَفُورِ
فَإِنَّ أَبَاكِ الْخَيْـــرَ حَمْـــزَةَ، فَاعْلَمِي	*	وَزِيرُ رَسُـولِ اللهِ خَيْـــرُ وَزِيرِ
دَعَاهُ إِلَهُ الْخَلْقِ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً	*	إِلَى جَنَّةٍ يَرْضَـــى بِهَا وسُرُورِ

- قيمة الإيمان بأن الله يعلم ما يُظهره وما يُخفيه مقتبسا من قول تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩]، قال ﷺ:(٣٣)

اللهُ يَعْلَمُ مَا أَسْعَى لِجُلَّهِمِ	*	ومَا يَغِيبُ بِهِ صَدْرِي وأَضْلاعِي

فهو يؤمن أن الله يعلم سعيه الظاهر لرِفْعَةِ القوم، ويعلم مكنون نفْسه مخفيها.

- ويتبعه الإيمان بأن الله(رب الناس)، قال ﷺ في قصة الهجرة:(٣٤)

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	*	رَفِيقَيْنِ قَالَا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ

فهو يدعو الله رب الناس أن يجازي خير الجزاء الرفيقين في الهجرة رسول الله ﷺ وأبا بكر الصديق ﷺ اللذين استراحا في وقت القيلولة في خيمتي أم معبد بنت كعب الخزاعية(٣٥).

- الإيمان بقيمة تقوى الله ﷻ: قال يذكر رسول الله ﷺ وأصحابه يوم بدر: (٣٦)

أَعْنِي الرَّسُولَ، فَإِنَّ اللهَ فَضَّلَهُ	*	عَلَى الْبَرِيَّةِ بِالتَّقْوَى، وَبِالْجُودِ

فإن الله فَضَّلَ محمدًا ﷺ بأن جعله أتقاكم لله، باجتناب محارمه، وامتثال أوامره على أكمل وجه.

- وقال مادحا أصحاب التقوى:(٣٧)

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِـــــنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ	*	قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّـــــــــاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ	*	تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا

(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١١٥.
(٢) المرجع السابق، ١٦٠.
(٣) نفسه،٥٧.
(٤) ينظر، البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، المطبعة الرحمانية- مصر، ط (١٣٤٧هـ- ١٩٢٩م)، ٨٦.
(٥) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٥٥.
(٦) المرجع السابق، ١٥٥.

فكل من أَسَرَّ تقوى الإله يرضى بسُنَّةِ المهاجرين والأنصار التي بيَّنوها للناس، وبالأمر الذي شرعوه لهم؛ لأنهم مقتدون برسول الله ﷺ فيها، وليسوا بمبتدعين.

- الإيمان بقيمة التوكل على الله في دفع المضار واستجلاب المنافع قال ﷺ:(٣٨)

وَقَدْ وَرَدْنَا وَلَمْ نَسْـــــمَعْ لِقَوْلِكُمُ	*	حَتَّى شَـــــرِبْنَا رَوَاءً، غَيْرَ تَصْرِيدِ
مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمٍ	*	مُسْتَحْكِمٍ مِنْ حِبَـــــــالِ اللهِ مَمْدُودِ
فِينَا الرَّسُولُ وَفِينَا الْحَقُّ نَتْبَعُهُ	*	حَتَّى الْمَمَاتِ، وَنَصْرٌ غَيْرُ مَحْدُودِ

استمساك الصحابة بحبل الله المتين واتباعهم رسول الحق، جعلهم على ثقة في نصر الله ﷻ لهم في بدر.

- قيمة الإيمان بملائكة الله ﷻ متمثلة في الإيمان بجبريل عليه السلام رسول الله روح القدس، والإيمان برسل الله متمثلا في الإيمان بمحمد ﷺ عبد الله ورسوله الصادق:(٣٩)

وَجِبْرِيـــلُ رَسُـــــــولُ اللهِ فِينَا	*	وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْـدًا	*	يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَـــلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَـدِّقُوهُ	*	فَقُلْتُـــمْ لَا نَقُـــومُ وَلَا نَشَـــاءُ

فهو يقر بأن جبريل عليه السلام رسول الوحي من عند الله ﷻ، وأنه روح طاهرة ليس له نظير.

- وأكد على نزول جبريل ملَك الوحي بقوله:(٤٠)

بِرِجَالٍ لَسْتُمُ أَمْثَالَهُمْ	*	أَيِّدُوا جِبْرِيلَ نَصْرًا، فَنُزِّلْ

فالصحابة الكرام رجال ليس لهم أمثال ، أيَّدَهم الله بنزول بجبريل عليه السلام نصرًا لهم كما حَدَثَ في بدر.

- وهؤلاء الملائكة أبرار قال في رثاء خُبَيْب بن عدي ﷺ:(٤١)

مَاذَا تَقُولُونَ، إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ	*	حِيـــــنَ الْمَلَائِكَةُ الْأَبْـــرَارُ فِي الْأُفُقِ
فِيمَا قَتَلْتُمْ شَهِيدَ اللهِ فِي رَجُـــــلٍ	*	طَاغٍ قَدْ أَوْعَثَ فِي الْبُلْدَانِ وَالطُّرُقِ؟

قوله:(حِيـــــنَ الْمَلَائِكَةُ الْأَبْـــرَارُ فِي الْأُفُقِ)، أي: يوم القيامة، من قوله تعالى:﴿**وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا**﴾ **[الحاقة:١٧]** فهو يتعجب من قتلهم خبيب شهيد الله؛ لقتله طاغيهم الحارث بن عامر بن نفيل في غزوة بدر فكيف يُقتل شهيد الله بمن أفسد في البلدان والطرق؟!

---

(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٥٥، ٥٦.
(٢) المرجع السابق، ٦.
(٣) نفسه، ١٩١.
(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ١٨١.

- وأكد على إمداد الله بالملائكة في بدر، وخص منهم بالذكر ميكال وجبريل عليهما السلام، فقال:[٤٢]

وَيَوْمَ بَدْرٍ، لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ	*	فَيَرْفَعُ النَّصْرَ مِيكَالٌ وَجِبْرِيلُ

فهو يفتخر بأن مدد الله لهم عون ملائكي كما ثبت في القرآن الكريم حتى تحقق النصر.

- وأكد أنه لا يدافع عن رسول الله ؛ طلبا لعرض دنيوي، وأجر مادي، وإنما طمعا في ثواب الله ورضاه فقال:[٤٣]

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ	*	وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

- وأكد وصف محمدﷺ بالرسالة فقال:[٤٤]

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ	*	وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

فإضافة(رسول) إلى(الله) أكسبته التشريف والتعظيم، ومدحه اللهﷻ بقوله:﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ **[القلم:٤]**، ونصره الله حين لا ناصر بقوله:﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ**﴾**[التوبة:٤٠]**، وبقوله: ﴿**وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا**﴾ **[الفتح :٣]**، ومن كان هذا حاله فلا ينتقص منه هجاء من هجاه بالباطل، ولا يزيد في منزلته من مدحه ونصره بالحق.

فهو يصدق بأن محمدا رسول اللهﷺ ويقول عنه وهو ينادي قتلى المشركين بعد غزوة بدر بقوله:[٤٥]

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللهِ لَمَّا	*	قَذَفْنَاهُمْ كَبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ

وكانوا كباكب جماعة تُقَدَّرُ بسبعين مشركًا قتلوا وألقوا بأمر رسول اللهﷺ في قليب " بئر بدر"، ثم قام الرسولﷺ على القليب[٤٦] ينادي المشركين بأسمائهم وأسماءآبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان: أيسركم أنكم كنتم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا. فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها! فقال: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، وبيت حسانﷺ يشير إلى هذه الحادثة.. فهل إثبات سماعهم لقول رسول اللهﷺ يتعارض مع قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ**﴾ **[فاطر:٢٢]**؟ فالآية تثبت أنه لا يسمعهم سماعا يستجيبون له، وينفعهم تصديقه؛ لأنهم ماتوا على الشرك، والبيت والأحاديث تثبت أن الأموات يستمعون قرْع نِعَال المشيعين، ومن السنة السلام عليهم بصيغة الخطاب السلام

---

(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٢٢٠.
(٢) المرجع السابق، ١٦.
(٣) نفسه، ١٦.
(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٢١.
(٥) ينظر، البرقوقي، شرح ديوان حسان، ٥٣.

عليكم أهل الديار من المسلمين والمؤمنين أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون، فلا تعارض بين فِعْل رسول اللهﷺ والآية.

- كما أكد وصف محمدﷺ بالنبوة مادحا له فقال(٤٧)

وَضَمَّ الْإِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ	*	إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ

فهو يمدح رسول الله برفع ذكره حيث ضَمَّ الْإِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ في شهادة المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله التي تتردد خمس مرات على الأقل يوميًّا.

- وأكد على نبوته وامتداحه بالهداية عند اعتذاره لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد نزول براءتها من حديث الإفك معتذرا بقوله:(٤٨)

حَلِيلَةَ خَيْرِ النَّاسِ دِينًا وَمَنْصِبًا	*	نَبِيِّ الْهُدَى، وَالْمَكْرُمَاتِ الْفَوَاضِلِ

فهي ليست كأحد من النساء فهي زوج خير الناس، نبي الهدى، الداعي إلى المكرمات السامية.

- وأكد على قيمة وصف النبيﷺ بخاتم النبيين بقوله:(٤٩)

أَغَرُّ عليهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ	*	مِنَ اللهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ ويَشْهَدُ

فمحمدﷺ أغر، أبيض الوجه، بهي الطلعة، كريم الفعال بين كتفيه خاتم النبوة مثل زر الحجلة، رآه سلمان الفارسيرضي الله عنه فأكب وقبله، وأسلم، وقصة إسلامه مشهورة(٥٠).

- وأكد على صدق رسول اللهﷺ فيما يخبر به من المغيبات فقال:(٥١)

وإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ	*	فَتَصْدِيقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ

- كما أكد على تصديقهم بما جاءه من الوحي، ومحبته لرسول اللهﷺ:(٥٢)

أَمِيرٌ عَلَيْنَا، رَسُولُ الْمَلِيكِ	*	أَحْبِبْ بِذَاكَ إِلَيْنَا أَمِيرَا
رَسُولٌ نُصَدِّقُ مَا جَاءَهُ	*	مِنَ الْوَحْيِ، كَانَ سَرَاجًا مُنِيرَا

ويمدح الرسولﷺ بقوله:(سَرَاجًا مُنِيرًا) من قوله تعالى: ﴿**وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾ **[الأحزاب: ٤٦]**

---

(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ١٠١.
(٢) المرجع السابق، ٢٠٢.
(٣) نفسه، ٥٤.
(٤) ينظر، البرقوقي، شرح ديوان حسان،٧٨.
(٥) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٥٩.
(١) المرجع السابق، ١٣٤.

- وأكد على قيمة محبة النبيﷺ وفدائه بالنفس والوالد والجد:[٥٣]

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي	*	لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

فإنه يؤكد على محبته لرسول اللهﷺ وفدائه له بأبيه وجده ونفْسه وقاية لرسول اللهﷺ ممن يتعرض له بالقول والفعل، ويروى أنه لما بَلَغَ حسانﷺ هذا البيت قال له رسول اللهﷺ:"وقاك الله يا حسان شر النار"[٥٤].

- وقيمة الإيمان بالجنة والنار، والإيمان بالإسلام فقال في مدح النبيﷺ:[٥٥]

وَأَنْذَرَنَا نارًا، وَبَشَّرَ جَنَّةً	*	وَعَلَّمَنَا الإِسْلامَ، فاللهَ نَحْمَدُ

فهو يضمن بيته معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦]،(وَأَنْذَرَنَا نارًا) فالرسولﷺ أعلمنا مخوفا ومحذرا من نار،(وَبَشَّرَ جَنَّةً) وفرحنا بجنة، وعلمنا شرائع الإسلام،(فاللهَ نَحْمَدُ) نخص الله بالحمد على هذا.

- وقيمة سؤال الله الفردوس الأعلى من الجنة بقوله:[٥٦]

يَا رَبّ! فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَـــــا	*	فِي جَنَّةٍ تَثْنِي عُيُـــونَ الْحُسَّدِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَاكْتُبْهَا لَنَا	*	يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّؤْدَدِ

فهو يسأل الله جنة الفردوس والجمع فيها مع النبي الكريم الذي علمهم سؤال الفردوس بقولهﷺ:" فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ" [٥٧].

- وأكد على صلاة الله والملائكة والطيبون من الخلق على رسول اللهﷺ، بقوله:[٥٨]

صَلَّى الإِلَهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ	*	والطَّيِّبونَ عَلَى المُبَارَكِ أَحْمَدِ

وهو من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ... ﴾ [الأحزاب:٥٦].

- ودعا لأسد الله حمزةﷺ بعد استشهاده بقوله:[٥٩]

صَلَّى عَلَيكَ اللهُ فِي جَنَّةٍ	*	عَالِيَةٍ، مُكرمةِ الدَّاخِلِ

---

(٢) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٦.
(٣) البرقوقي: شرح ديوان حسان،٩.
(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٥٤.
(٥) المرجع السابق، ٦٦.
(٦) البخاري،الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ): صحيح البخاري المسمى بـ «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، اعتنى به أبو صهيب الكرمي،= = =بيت الأفكار الدولية، الرياض- السعودية،ط (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)،كتاب التوحيد: باب: وكان عرشه على الماء: حديث(٧٤٢٣)، ١٤١٤.
(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٦٦.
(٢) المرجع السابق، ٢٠٨.

- وقيمة الإيمان بالرب سبحانه وبالنبيﷺ والإمداد بنزول الملائكة تأييدًا للنبي ونصرة له، وبوحدانية الله الموجبة دخول جنان الفردوس للموحدين، وخلودهم فيها، وهو يهجو أبا جهل بعد غزوة بدر:(٦٠)

فَأَنْزَلَ رَبِّي لِلنبيِّ جُنودَهُ	*	وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْـــرِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وَإِنَّ ثَـوَابَ اللهِ كُلَّ مُوَحِّدٍ	*	جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ فِيها يُخَلَّدُ

- وأكد على قيمة الإيمان بالكتب السماوية متمثلة في الإيمان بالقرآن الكريم في رثائه عمر بن الخطابﷺ:(٦١)

وَفَجَّعَنَا فَيْرُوزُ لا دَرَّ دَرُّهُ	*	بِأَبْيَضَ يَتْلُو المُحْكَمَاتِ مُنِيبِ

فمن محاسن عمرﷺ أنه يتلو آيات القرآن التي أُحكمت وتلك من شيم الصحابة رضوان الله عليهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿**الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ **[هود:١]**

- وأكد على اعتصامه والصحابة الكرام بآيات القرآن الكريم ومعانيه وألفاظه بقوله:(٦٢)

مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمٍ	*	مُسْتَحْكَمٍ مِنْ حِبَالِ اللهِ مَمْدُودِ

فهو متأثر بقوله تعالى:﴿**وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ**﴾**[آل عمران:١٠٣]** . فهم مستمسكون بحبل الله؛ ليمتنعوا به عما يضرهم، وهو حبل غير منقطع قوي؛ لأنه موصول بالمدد الإلهي(٦٣).

- وقيمة الإيمان بالنبيين والرسل السابقين صلوات ربي عليهم وسلامه بقوله:(٦٤)

شَهِـــــدْتُ بِـــإِذْنِ اللهِ أَنَّ مُحَـــمَّدًا	*	رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مِنْ عَـــلُ
وَأَنَّ أَبَـــا يَحْـــيَى وَيَحْـــيَى كِلَيْهِمَا	*	لَـــهُ عَـــمَـــــلٌ فِـــي دِينِـــهِ مُتَقَبَّـــــــلُ
وَأَنَّ الَّتِي بِالْجِزْعِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ	*	وَمَـــنْ دَانَهَا فِلٌ مِنَ الْخَيْرِ مَعْـــــــزِلُ
وَأَنَّ الَّـذِي عَـادَ الْيَهُـودُ ابـــنَ مَرْيَمٍ	*	رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُرْسَلُ

(٣) نفسه، ٩٢.
(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٣١.
(٥) المرجع السابق، ٥٥.
(٦) ينظر،البرقوقي، شرح ديوان حسان، ٨٠.
(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٢٠١.

وَأَنَّ أَخَـــــا الْأَحْـــــقَافِ إِذْ يَعْدُلُونَـــهُ	*	يَقُـــــــــومُ بِدِيـــــــــــنِ اللهِ فِـــيهِمْ، فَيَعْـــــدِلُ

فالله أذن له فشهد أنَّ محمدًا رسولُ الله، وأنَّ زكريا عليه السلام، وابنه يحيى عليه السلام نبيان دعا كل منهما إلى دين الله الواحد، وكل منهما عمله مقبول عند الله، مأجور عليه، وأن عيسى بن مريم عليه السلام رسول من الله، وأن أخا الأحقاف هود عليه السلام نبي دعا إلى الله وتوحيده، ولما سمع النبي ﷺ هذه الأبيات قال ﷺ: أنا أشهد معك[٦٥].

- **والإيمان بالتوراة قبل تحريفها:**[٦٦]

هُمُ أوتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ	*	فَهُمْ عُمْيٌ، مِنَ التَّوْرَاةِ، بُورُ
كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ، وَقَدْ أَتَيْتُمْ	*	بِتَصْدِيقِ الَّذِي قَالَ النَّذِيـــــرُ

فاليهود أوتوا التوراة، ولكنهم عمي، وهلكى عن تصديق ما بها من بشارة بمحمد ﷺ، وبما جاء به.

- **والإيمان بقضاء الله وقدره، قال في يوم بدر:**[٦٧]

وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ	*	وَأَنَّ قَضَاءَ اللهِ لابُدَّ وَاقِعُ

الصحابة الكرام لا يهابون الموت؛ ليقينهم أن لكل أجل كتابا، وأنه لا راد لقضاء الله عز وجل.

- **وقيمة الإيمان بالبعث بعد الموت، قال في هجاء عتبة بن أبي العاص:**[٦٨]

فَهَلَّا خَشِيتَ اللهَ وَالمنزِلَ الَّذِي	*	تَصِيرُ إِلَيْهِ بَعْدَ إِحْـــــدَى الصَّفَائِـــــقِ
لقد كان خزيا في الحياة لقومه	*	وفي البعث بعد الموتِ إحدَى العَوَالِقِ

يحث الشاعر مهجوه عتبة على خشية الله، والخوف من النار بعد صفائقه، أي: مذاهبه التي أبعد فيها عن الحق، وكانت فعاله سبب خزي لقومه في الدنيا، وفي البعث بعد موته سيجد جزاء ما علقه من الشر[٦٩].

ثانيا: القيم الإسلامية الخُلقية:

إن الشاعر يحب ما كان من الأخلاق أجمل بصفة عامة حتى إذا ما خصص قيما خلقية في مواضع من شعره فليس معناه أنه ما يحب بقية الأخلاق، وضح ذلك بقوله:[٧٠]

لَكِ الْخَيْرُ غَضِّي اللَّوْمَ عَنِّي فَإِنَّنِي	*	أُحِبُّ مِنَ الْأَخْلَاقِ مَا كَانَ أَجْمَلَا

(٢) ينظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٥١٩.
(٣) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ١٢١.
(٤) المرجع السابق، ١٥٩.
(٥) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ١٨٢.
(١) ينظر، البرقوقي، شرح ديوان حسان، ٢٩٢.
(٢) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٢٢٢.

فهو يطلب من مخاطبته ترك اللوم؛ لأنه يحب من الأخلاق أجملها اقتداء بقول رسول اللهﷺ: "إنما بُعِثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق"(٧١) ، ثم يذكر قيمًا خلقية محددة، منها ما يكون من باب التخلية عن الخُلُقِ السلبية بتركها كالكذب والخيانة وقول ما لا يفعل، ومنها ما يكون من باب التحلية كالصبر والكرم والشجاعة والإقدام ومن القيم الخلقية في ديوانه:الصبر وترك الجزع والوهن والخوف عند المصيبة، البر والرحمة والحنيفية والأمانة، والوفاء، والصدق، التفاؤل، العزة والإباء، والتسابق في فعل الخيرات، والكرم، والقناعة، والحِلم والأناة، والإكرام، وقِرى الأضياف في الجدب والشدة وذم البخل وذي الوجهين، ترْك الكذب، وترْك الخيانة، وترْك النفاق، وترْك الغيبة والنميمة، وترْك الوقوع في أعراض المؤمنات الغافلات، والعفة، والرزانة والوقار، ولم يغفل الصفات الخلقية في المرأة عند الاعتذار لأم المؤمنين عائشةﷺ ومدحها بعد تبرئة الله لها من حديث الإفك، ومنها أن تكون محصنة رزان وقور عفيفة لا تغتاب المؤمنات الغافلات، فاضلة شريفة كريمة مهذبة حُرَّة مطهرة من كل سوء وباطل، ولم يغفل القيم الخُلقية في المرأة عند رثائه ابنته، والتوازن في ردة الفعل عند النيل من الأعداء، وعند المصيبة.

- **قيمة الصبر وترك الجزع**، وهما من خُلُقِ الصحابة الكرام، قال حسانﷺ:(٧٢)

فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا	*	وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِجِلَادِ يَوْمٍ	*	يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

فهو يهدد إما يتركوا المسلمين لأداء العمرة، وفتح مكة، أو الصبر في القتال.

- **وقال في ترك الصحابة للضعف والخوف والجزع عند المصيبة**:(٧٣)

لَا فخر إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمِ	*	وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورٌ ولا جُزُعُ

- **قيمة الدفاع عن الإسلام بالرد على من هجا المسلمين والقتال لمن قاتلهم قال:**(٧٤)

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ	*	سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا	*	وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ

- **قيمة هجاء من هجا رسول الله ﷺ:**

قال يمدح المصطفى ﷺ، قبل فتح مكة، ويهجو أبا سفيانﷺ، وكان هجا رسول اللهﷺ قبل إسلامه:(٧٥)

---

(٣) البيهقي، السنن الكبرى، ١٠/ ١٩١.
(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٥.
(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٥٧.
(٢) المرجع السابق، ١٥.
(٣) نفسه، ١٥.

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي	*	فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَـــوَاءُ
بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْدًا	*	وَعَبْدَ الدَّارِ سَادَتُهَا الْإِمَاءُ

فأنت مجوف، أي: جبان لا قلب له كأنه خالي الجوف من الفؤاد، ومثله النخب، ومثله الهواء، وهو من قوله تعالى: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم:٤٣] ،أي: نزعت أفئدتهم من أجوافهم خوفًا(٧٦)، وأخبِرْ أبا سفيان بأن سيوفنا تركتك عبدا يريد ذليلا، وعبد الدار بطن من قريش كان لهم ولا يزال اللواء والسقاية والحجابة والرفادة وفي غزوة أُحُد قال لهم أبو سفيان:" إنكم ضيعتم اللواء بيوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم فادفعوا اللواء إلينا فنحن نكفيكموه، فغضبوا له وإنما أراد أبو سفيان حضهم على الصبر والثبات فكانوا كلما أخذ اللواء منهم رجل قتله صحابي جليل إلى أن أخذت اللواء امرأة منهم فلاذوا به واجتمعوا حواليها فلعل حسان يشير بقوله:" وعبد الدار سادتها الإماء" إلى هذا.

ليس هذا الرد على أبي سفيانﷺ انتقاصا منه، وقد أسلم يوم الفتح، والإسلام يَجُبُّ ما قبله، وهو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله، وأخوه من الرضاعة، ويقال: إنه لم يرفع رأسه إلى المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه حياء منه، وشهد مع الرسولﷺ غزوة حنين، وكان الرسولﷺ يحبه، وكان يشبه النبيﷺ ، ويروى أنه لما حضرته الوفاة قال: لا تبكوا عليَّ فإني لم أنتطف بخطيئة منذ أسلمْتُ، أي: لم يتلطخ بخطيئةﷺ منذ أسلم وحتى وفاته(٧٧).

ـ قيمة مدح رسول اللهﷺ بمكارم الأخلاق:

فهل مدح رسول الله بغير قولنا عبد الله ورسوله ممنوع؟؛ لقولهﷺ:"لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"(٧٨) قال ابن حجر: الْإِطْرَاء الْمَدْح بِالْبَاطِلِ، تَقُول: أَطْرَيْت فُلَانًا، مَدَحْته فَأَفْرَطْت فِي مَدْحه. اهـ.

فالنهي عن المدح بالباطل بدليل قول حسانﷺ:(٧٩)

أَتَهْجُوهُ وَلَسْـــــتَ لَهُ بِكُفْءٍ؟	*	فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
هَجَـــــــوْتَ مُبَارَكًـــا بَـــرًّا حَنِيفًا	*	أَمِينَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ	*	وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَـوَاءُ

(٤) ينظر، البرقوقي، شرح ديوان حسان،٧.

(٥) ينظر، المرجع السابق، ١.

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم(٣٤٤٥) في باب قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾،٦٦٤.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار الريان للتراث،القاهرة،ط١(١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م)،٥٦٥/٦.

يستفهم حسانﷺ منكرا على من يهجو رسول اللهﷺ: أتهجوه؟ ما كان ينبغي أن تهجوه، ولست من أكفائه ونظرائه، " فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ" متأثرًا بقوله تعالى:﴿**وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]** ثقة في الدلالة الواضحة في خيرية رسول اللهﷺ."وقيل: وهذا أَنْصَفُ بيتٍ قالتهُ العربُ"(٨٠)، فرسول اللهﷺ مباركًا أينما كان، برًّا يتحنف عن الباطل، أي: يميل إلى الحق، ويدين به، أمين الله على رسالته، وشيمته التي لا تنفك عنه الوفاء، وما دام ذلك كذلك فلا يضره هجاؤكم، ولا ينفعه مدحكم ونصركم له؛ لأنكم من الهوان بحيث لا يؤبه بكم، وهو من العزة والوجاهة بحيث لا يُنَالُ منه.

وتوافق الباحثة رأي من يرى أن مَدْحَ النبي جائز شرعا ما لم يشتمل على غلو، وإطراء كإطراء النصارى المسيح بوصف رسول الله ﷺ بصفات الألوهية أو الربوبية، ولذلك قالﷺ في حديث البخاري: " فإنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله". وليس هذا تقليل من شأن رسول اللهﷺ أو منْع مدحه من باب التعظيم والتوقير والاحترام، فوصفه بالعبودية هو أعلى درجات المدح، ولا يمنع ذلك من مدحه بكل وصْف جميل فقد كان خُلُقُهُ القرآن، وقد وصف بالسراج المنير، وبالبدر، وسيد ولد آدم، وهو أحسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا، ومدحه كعب ببردته، ويؤيد ما ذهبت إليه ما يأتي من مدائح حسانﷺ للنبيﷺ:

ومما جاء في قيمة مدح رسول اللهﷺ باجتماع مكارم الأخلاق في حضرتهﷺ: قول حسانﷺ :(٨١)

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي	*	وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّءًا مِـــــنْ كُلِّ عَيْبٍ	*	كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

- قيمة الصدق في الحديث، قال حسانﷺ:(٨٢)

وَخَبِّرْ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ	*	بِصِدْقٍ غَيْرِ إِخْبَارِ الْكَذُوبِ

- ويؤكد على قيمة صدق حديث رسول اللهﷺ في مناداته أهل القليب بعد غزوة بدر بقوله:(٨٣)

يُنَادِيهِمْ رَسُـــــــــولُ اللهِ لَمَّا	*	قَذَفْنَـــاهُمْ كَبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ
أَلَمْ تَجِـــدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا	*	وَأَمْـرُ اللهِ يَأْخُـــــــذُ بِالْقُلُوبِ
فَمَا نَطَقُوا، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا	*	صَدَقْتَ وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبِ

فالصادق الأمينﷺ كان حديثه حقا، وصدقا، وكان رأيه مصيبًا؛ لأنه لا ينطق عن الهوى.

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٥٣/١.
(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٧.
(٢) المرجع السابق، ٢٠.
(٣) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٢٠.

- ومن القيمة الخلقية لصحابة رسول اللهﷺ التسابق في فعل الخيرات، والكرم، والقناعة، والحلم والأناة، والعفة والإكرام، قالﷺ:(٨٤)

قَوْمٌ إِذَا حارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ	*	**أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا**
إِنْ كَانَ فِي النّاسِ سَبَّاقونَ بَعْدَهُمُ	*	**فَكُلُّ سَبْقٍ لأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ**
ولا يَضِنّونَ عَنْ مولًى بِفَضْلِهِمِ	*	**ولا يُصِيبُهُمُ في مَطْمَعٍ طَبَعُ**
لا يَجْهَلُونَ، وإِنْ حَاوَلْتَ جَهْلَهُمُ	*	**فِي فَضْلِ أَحْلامِهِمْ عَنْ ذَاكَ مُتَّسَعُ**
أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ	*	**لا يَطْمَعُونَ، ولا يُرْدِيهِمُ الطَّمَعُ**
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لَهُمْ نَالُوا كَرَامَتَهُ	*	**وَمِنْ عَدُوٍّ عَلَيهِمْ جَاهِدٍ جَدَعُوا**

فالمهاجرون والأنصار سبَّاقون في الخير، لا يدانيهم أحد، فهم أئمة والناس تابعون لهم، لا يبخلون، وليست في طباعهم خصلة الطمع، فكم أكرموا من أصدقائهم، وقطعوا عدوهم الجاهد في عداوته لهم.

- ومن القيم الخلقية الاعتذار وذكر محاسن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها العفيفة الوقور الفاضلة الشريفة الكريمة المهذبة المجيدة الحُرَّة التي لا تغتب أحدا، قال حسان ﷺ بعد أن ظهرت براءتها من فوق سبع سموات يعتذر لها:(٨٥)

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ	*	**وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ**
حَلِيلَةُ خَيْرِ النّاسِ دِينًا وَمَنْصِبًا	*	نَبِيِّ الْهُدَى، وَالْمَكْرُماتِ الْفَوَاضِلِ

هي محصنة عفيفة ما تتهم، لا تغتاب الغافلات بشتم أو قذف كمن يأكل لحم ميت، هي زوج خير الخلق، نبي الهدىﷺ، ونبي المكرمات السامية، وفي الصحيح: " عَن مَسْرُوق قَالَ دَخَلْنَا على عَائِشَة رَضِي الله عَنْهَا وَعِنْدهَا حسان بن ثَابت ينشدها شعرًا يشبب بِأَبْيَات لَهُ .وَقَالَ:(حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ* وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ)، فَقَالَت لَهُ عَائِشَة: لكنك لست كَذَلِك قَالَ مَسْرُوقٌ: فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَأْذَنِينَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿**وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [النور: ١١] فَقَالَتْ: وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَى، قَالَتْ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ أَوْ يُهَاجِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ "(٨٦).

- ويستمر بذكر محاسنها رضي الله عنها بقوله:(٨٧)

---

(٤) المرجع السابق، ١٥٥، ١٥٦.

(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٢٠٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي: باب حديث الإفك حديث رقم(٤١٤٦)،٧٨٩ .

(٣) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٢٠٣.

عَقِيلَةَ حَيٍّ مِنْ لُؤيّ بْنِ غَالِبِ	*	كِرَامِ الْمَسَاعِي، مَجْدُهَا غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةً قَدْ طَيَّبَ اللهُ خِيمَهَا	*	وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قُلْتُ الذي قَدْ زَعَمْتُمُ	*	فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي
وَإِنَّ الذي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلائِطٍ	*	بِهَا الدَّهْرِ بَلْ قَوْلُ امْرِيءٍ بِيَ مَاحِلِ
فَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيِيتُ وَنُصْرَتِي	*	لآلِ نَبِيِّ اللهِ زَيْنِ الْمَحَافِلِ
لَهُ رُتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ	*	تَقَاصَرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ
رَأَيْتُكِ، وَلْيَغْفِرْ لَكِ اللهُ، حُرَّةً	*	مِنَ الْمُحْصَنَاتِ غَيْرَ ذَاتِ غَوَائِلِ

فهي سيدة كريمة، مجدها ممتد إلى يوم القيامة؛ لتبرئة الله لها في القرآن الكريم، فهي صافية نقية مخلصة الطبع، وهي حرة محصنة لا تفسد ولا تتهم.

- ويؤكد على الصفات الخلقية للمؤمنات ومنها العفة والوقار وترك الغيبة في رثائه لابنته بقوله:(٨٨)

عَلِمْتُكِ، وَاللهُ الْحَسِيبُ، عَفِيفَةً	*	مِنَ المؤمناتِ غَيْرَ ذَاتِ غَوَائِلِ
حَصَانًا رَزَانَ الرِّجْلِ يَشْبَعُ جَارُهَا	*	وتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوافِلِ

فمن محاسنها أنها كانت عفيفة، من المؤمنات، لا تفسد، ومحصنة لا تتهم، ولا تغتاب الغافلات العفيفات، ويلحظ في هذه المكارم الخلقية أنها بعض مما امتدح به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما اعتذر إليها، وهذه الصفات تدل على مكانة المرأة في الإسلام.

- قيمة الكرم وذم البخل وذي الوجهين، قال ﷺ:(٨٩)

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي أَرَى الْبُخْلَ سُبَّةً	*	وَأَبْغَضُ ذَا اللَّوْنَيْنِ وَالْمُتَنَقِّلَا

فهو متأثر بقول رسول الله ﷺ :" تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ"(٩٠) ، ويرى البخل عارًا، ويبغض ذا الوجهين، والذي يتنقل بالنميمة.

---

(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٢١٤.
(٢) المرجع السابق، ٢٢٣.
(٣) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب خيار الناس، حديث رقم(٢٥٢٦)، ١١٧٥/٢.

- **قيمة خلق العزة والإباء: قال:**(٩١)

إذا انصرفت نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ مَرَّةً	*	فَلَسْتُ إِلَيْهِ آخِرَ الدَّهْرِ مُقْبِلَا

- **قيمة تْرك الكذب وترك الخيانة وترك النفاق، قال:**(٩٢)

فَمَهْمَا يَكُنْ مِنِّي، فَلَسْـــتُ بكاذبٍ	*	وَلَسْتُ بِخَوَّانِ الأَمِينِ الْمُجَامِلِ
وَإِنِّـي إِذا مَـــــا قُلْـتُ قَـــــــولًا فَعَلْتُهُ	*	وَأعْرِضُ عَمَّا لَيْسَ قَلْبِي بِفَاعِلِ
وَمَنْ مُكْرِهِي إِنْ شِئْتُ أَنْ لا أَقُولَهُ	*	وَفَجْعُ الأَمِينِ شِيمَةٌ غَيْرُ طَائِلِ

فهو ليس بكاذب، وليس بخوان للأمين المحابي، وصادق يفعل ما يقول، ولا يقول ما لا يرتاح لقوله، فهو يحرص ألا يقع تحت قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ**﴾[**الصف: ٢**]، ولا أحد يُكرهني على قول ما لا أريد، ولا نفع في أن أحدًا يحرمني من حقي عند نزول الدواهي عليَّ؛ فإني أمين.

ثالثا: القيم الإسلامية الوجدانية:

- تهتم القيم الوجدانية بتربية النفس وتهذيبها، لتحقيق التوازن النفسي، والتوافق الاجتماعي وتساعد الإنسان علي التخلص من الانفعالات المتطرفة، والانحرافات والمشاكل العاطفية من خوف وغضب وحزن ويأس خارج عن الحد المعقول، ومنها: عفة النفس وعزتها والقناعة وترك الطمع، والشجو من أخي ثقة، والغضب لله، والمحبة، والتندم على ما فات، وتتابع الهموم وانهمار الدموع، والصبابة وشدة الوجد لذكرى الأحبة، والخوف والرهبة والرجاء، والحزن والبكاء، وترويض النفس، والاتعاظ من تجارب السابقين.

- **قيمة عفة النفس وعزتها وترك الطمع، قال:**(٩٣)

أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُـــــمْ	*	لا يَطْمَعُـــــونَ، ولا يُرْدِيهِمُ الطَّمَعُ

- **قيمة الشجو من أخي ثقة قال:**(٩٤)

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْـــوًا مِـــنْ أَخِي ثِقَةٍ	*	فَاذْكُرْ أَخَـــاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلا

إذا تذكرت ما يحزنك من أخي ثقة، فاذكر ما فعله أبو بكر فلن تجد فيه ما يحزنك.

- **قيمة الغضب لله لا للنفس في قتالهم قال:**(٩٥)

لُيُوثٌ إِذَا غَضِبُوا فِي الْحُرُو	*	بِ، لا يَنْكِلُونَ، ولَكِنْ قَدُمْ

---

(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٣٢٢.
(٥) المرجع السابق، ٢٢٧.
(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٥٦.
(٢) المرجع السابق، ١٨٨.
(٣) نفسه، ٢٤١.

- **قيمة المحبة، ومنها محبة النبيﷺ للصديقﷺ قال:**(٩٦)

وَكَانَ حِبَّ رَسُـــــولِ اللهِ قَدْ عَلِمُـــوا	*	مِنَ الْبَـــرِيَّةِ لمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلَا

وكان الصّدِّيقُﷺأحب الرجال إلى رسول اللهﷺ.

- **قيمة التندم على ما فات من طيب العيش، وتتابع الهموم وانهمار الدموع قال في يوم بدر:** (٩٧)

ألا يَـــــا لَقَوْمِ! هَلْ لِمَا حُمَّ دَافِعُ؟	*	وهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ الْعَيْشِ رَاجِعُ؟
تَذَكَّرْتُ عَصْرًا قَدْ مَضَى فَتَهَافَتتْ	*	بَنَاتُ الْحَشَـــا، وانْهَـــلَّ مِنِّي الْمَدَامِعُ

فهو يتندم لنزول البلاء، ويتمنى رجوع العيشة الطيبة، فعندما تذكّر عصر النبوة الذي مضى غلبته الهموم، وتتابعت عليه، فامتلأت عيونه بالدموع.

- **قيمة الصبابة وشدة الوجد لذكرى الأحبة من شهداء بدر،** قال:(٩٨)

صَبَابَةَ وَجْـــــــــــــدٍ ذَكَّرَتْنِي أَحِبَّةً	*	وقَتْلَى مَضَوْا فيهِمْ نُفَيْعٌ ورَافِعُ
وسَعْدٌ فَأَضْحَوْا فِي الْجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ	*	مَنَازِلُهُمْ والأَرْضُ مِنْهُمْ بَـــلاقِعُ

شوق شدة الوجد ذكرني أحبة كثيرين، وشهداء بدر كنفيع ورافع بن المعلى وسعد هم في الجنان، ودورهم مقفرة موحشة؛ لخلوها منهم.

- **قيمة الحزن والبكاء قال:**(٩٩)

فَابْكِ مَا شِئْتَ عَلَى مَا انْقَضَى	*	كُلُّ وَصْلٍ مُنْقَـــضٍ ذَاهِبُ
لَوْ يَـــرُدُّ الدَّمْـــعُ شَـــــيْئًا لَقَدْ	*	رَدَّ شَيْئًا دَمْعُكَ السَّـــاكِبُ
لَمْ تَكُنْ سُـــــــعْدَى لِتُنْصِفَنِي	*	قَلَّمَا يُنْصِفُنِي الصَّـــاحِبُ

البكاء على ما انقضى كالمحبوب الذاهب لا يرده، فأنا أبكي كثيرًا بلا فائدة في إرجاع ما أحب، فإذا كان الصاحب قلما ينصفني، ويعطيني حقي؛ فإن سُعْدَى لم تكن لتنصفني.

ويدخل في قيمة الحزن والبكاء قول حسانﷺ يرثي خُبَيب بن عديﷺ:(١٠٠)

يَا عَيْنِي جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكِ مُنْسَكِبِ	*	وَابْكِي خُبَيْبًا مَعَ الْغَادِينَ لَمْ يَؤُبِ

يحث عينيه على سكب الدموع بكثرة على شهيد الرجيع خبيب بن عدي الأنصاري، والشهداء الخمسة الآخرين الذين غدر بهم، فقد أُسِرَ خُبيب وانطلق المشركون به إلى مكة؛ فاشتراه بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قد قتل أبوهم الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرًا وأجمعوا أن يقتلوه، واستعار موسى من إحدى بنات الحارث؛

---

(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده ،١٨٨.
(٥) المرجع السابق، ١٥٨.
(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٥٩.
(٢) المرجع السابق، ٣٠.
(٣) نفسه، ٣٥.

ليستحد بها فأعارته قالت: فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه، قالت: فأخذه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعًا عرفه فيّ والموسى في يده. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل إن شاء الله، فكانت تقول ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ من ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقًا آتاه الله إياه، فخرجوا به من الحرم إلى التنعيم؛ ليقتلوه، فقال دعوني أصلي ركعتين، ثم قال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سن صلاة ركعتين عند القتل(١٠١).

- قيمة الحزن والبكاء لموت رسول الله ﷺ وانقطاع الوحي بقوله:(١٠٢)

وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ	*	وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورٌ، وَأَعْضُدُ
يُبَكَّونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَاوَاتُ يَوْمَهُ	*	وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيّةَ هَالِكٍ	*	رَزِيّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ

رجع الصحابة بحزن؛ لموت النبي ﷺ ، وقد ضعفوا، وخارت قواهم، فالناس أشد حزنًا يبكون من بكت عليه السماوات والأرض التي لا تبكي إلا لموت المؤمن؛ من قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماوات والأرض﴾**[الدخان: ٢٩]**، ولا تعدل مصيبة مصيبة موت محمد ﷺ(١٠٣).

- ويدخل في قيمة الحزن والبكاء والجزع قول حسان ﷺ يرثي جعفر بن أبي طالب ﷺ شهيد مؤتة:(١٠٤)

وَلَقَدْ بَكَيْتُ، وَعَزَّ مَهْلِكُ جَعْفَرِ	*	حِبَّ النَّبِيِّ، عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
وَلَقَدْ جَزِعْتُ، وَقُلْتُ حِينَ نُعِيتَ لِي	*	مَنْ لِلْجِلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظِلِّهَا

بكى الشاعر؛ لموت عم النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب، الذي أحبه النبي، وقال له: أشبهت خَلْقِي وخُلُقِي، وخِفْتُ من خبر نعيك، فقد كنتَ أحد من أمر النبي ﷺ بأن يحمل رايته المسماه"العُقَاب" يوم مؤتة(١٠٥).

- ويدخل في قيمة الحزن والبكاء قول حسان ﷺ يمدح مطعم بن عدي القرشي ﷺ:(١٠٦)

أَعَيْنُ أَلا ابْكِي سَيِّدَ النَّاسِ واسْفَحِي	*	بِدَمْعٍ فَإِنْ أَنْزَفْتِهِ فَاسْكُبِي الدَّمَا

(٤) ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤٤٠/٢.
(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٦٢.
(٢) المرجع السابق، ٢٥٩.
(٣) نفسه، ٢١٢.
(٤) ينظر، البرقوقي، شرح ديوان حسان،٣٣٦.
(٥) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٢٥٩.

وَبَكِّي عَظِيـــــمَ الْمَشْـــــعَرَيْنِ وَرَبِّهَا	*	عَلَى النّاس، مَعْرُوفٌ لَهُ مَا تَكَلّمَا

أعينُ: اهمري الدمع سَحًّا وتسْكَابًا، فإنْ نزف وانقطع، فليكن الدم بعده؛ فالمطعم بن عديﷺ عظيم المشعرين في مكة، وسيدها الذي أجار رسول اللهﷺ ؛ ليدخل مكة عند رجوعه من الطائف(١٠٧).

رابعا: القيم الإسلامية الاجتماعية:

منها: الإعطاء بكثرة، وحمل ديات القتيل ، إكرام الضيف، والوفاء بالعهد وصدق القول، قيمة مواساة غنيهم عند فقد ماله، وحماية الجار من الظلم، قيمة الشجاعة والإقدام في النزال، وإكرام الصديق، واستئصال العدو، قرى الضيف والنجدة وإغاثة الملهوف،الخلة الصادقة بأن يسد الخليل حاجة خليله، وخلل صاحبه، صفات اجتماعية فيمن يسود في قومه ومن لا يسود.

- قيمة الإعطاء بكثرة، وحمل ديات القتيل، امتدح بذلك سادة الأنصار قال:(١٠٨)

كَمْ فِيهِمُ مِنْ مَاجِدٍ ذِي سَوْرَةٍ	*	بَطَلٍ بِمَكْرَهَةِ الْمَكَانِ الْمُخْرَجِ
وَمُسَوَّدٍ يُعْطِي الْجَزِيـــلَ بِكَفِّهِ	*	حَمَّالِ أَثْقَالِ الدِّيَـــــاتِ، مُتَوَّجِ

كثير من الأنصار سادةٌ كرماء يعطون بكثرة، ويتحملون تبعات الديات حق القتيل، فهم سادة متوجون بالعمائم، فالعمائم تيجان العرب.

- قيمة إكرام الضيف، والوفاء بالعهد، وصدق القول، قال في الفخر بنسبه:(١٠٩)

نَفَى الذَّمَّ عَنّا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَـــــةٍ	*	طِعَانٌ كَتَصْـــــــرِيمِ الأباءِ الْمُحَرَّقِ
وَإِكْرَامُنَـــــا أَضْيَافَنَـــــــــــا، وَوَفَاؤُنَـــــا	*	بِمَا كَانَ مِـــــنْ إِلٍّ عَلَيْنَا وَمَوْثِـــــقِ
فَنَحْنُ وُلَاةُ النّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ	*	مَتَى مَا نَقُلْ فِي النّاسِ قَوْلًا نُصَدَّقِ

لا يذم الأنصار في كل حرب؛ لأنهم شجعان يطعنون بشدة وسرعة كشدة اشتعال النار في القصب المحرق، وقد أعطوا عهدهم وموثقهم بإكرامهم الأضياف، وبوفائهم، ونحن سادة في كل موطن، لأن ما نقله صادق نصدق فيه.

- وأكد على قيمة إكرام قومه من الأنصار الضيفَ فقال:(١١٠)

أولَئِكَ قَوْمِي، فَإِنْ تَسْأَلِي	*	كِرَامٌ، إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمّ

فقومي كرامٌ إذا نزل بهم يوما الضيف طالبًا القرى.

- ويؤكد على سعة كرمهم، بقوله:(١١١)

---

(٦) ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ٢٣٣.
(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٤٩.
(٢) المرجع السابق، ١٨١.
(٣) نفسه، ٢٣٩.

عِظَامُ الْقُدُورِ لأَيْسَارِهِمْ * يَكُبُّونَ فِيهَا الْمُسِنَّ، السَّنِمْ

قومي قدورهم كبيرة؛ لسعة رزقهم، يلقون فيها الجزور الكبير الوافر اللحم، العظيم السنام.

- وقيمة مواساة غنيهم عند فقد ماله، وحماية الجار من الظلم بقوله:(١١٢)

يُواسُونَ مَولاهُمُ فِي الْغِنَى * وَيَحْمُونَ جَارَهُمُ إِنْ ظُلِمْ

فهم يعاونون ويؤثرون سيدهم الذي فقد غناه، كما يمنعون جارهم إن ظلم حتى يردون عليه حقه.

- وقيمة الشجاعة والإقدام في النزال، بقوله:(١١٣)

لُيُوثٌ إِذَا غَضِبُوا فِي الْحُرُو * بِ، لا يَنْكِلُونَ، ولَكِنْ قَدُمْ

فهم أسود غاضبة في القتال، لا يتراجعون، ولا يجبنون، ولكنهم متقدمون بجرأة وشجاعة.

- وقيمة قِرى الضيف، فقال:(١١٤)

وَإِنّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ، إِنْ جَاءَ طَارِقًا * مِنَ الشَّحْمِ مَا أمسى صَحيحًا مُسَلَّمَا

فهم يكرمون الضيف إن حلَّ؛ بذبح الإبل السليمة المكتنزة اللحم.

- ويؤكد على قِرَى الضيوف بقوله:(١١٥)

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى * وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

فنحن مشهورون بأوانٍ لإطعام الضيوف، بيضاء؛ لكثرة الشحم فيها، وهو دليل كرم وجود، وأسيافنا يسيل منها الدم من نصرة ومعونة المستغيث، وروي أن النابغة الذبياني بسوق عكاظ، قال لحسان لما سمع شعره إنك شاعر(١١٦)، ولكنك أقللت جفانك، وأسيافك؛ لأنه قال: الجفنات، وأسياف، وكل منها جمع لأدنى العدد، وجمع الكثرة كان أولى في مقام الكرم والشجاعة، أي: الجفان والسيوف(١١٧).

- وقيمة إجارة المستجير والنجدة وإغاثة الملهوف، قال:(١١٨)

---

(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٢٤٠.
(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٢٤٠.
(٢) المرجع السابق، ٢٤١.
(٣) نفسه، ٢٣٩.
(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٢٣٩.
(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ٣٥١.
(٦) ينظر، البرقوقي، شرح ديوان حسان، ٣٧٢.
(٧) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٢٢٦.

نُجِيرُ فَلا يَخْشَى الْبَوَادِرَ جَارُنا	*	وَلاقَى الْغِنَى فِي دُورِنَا فَتَمَوَّلا

من نجيره فلا يخاف من الحوادث، ويجد في دورنا الغنى؛ فيأخذ ما يشاء.

- قيمة الخلة الصادقة أن يسد الخليل حاجة خليله، وخلل صاحبه، قال:(١١٩)

أَخِلَّاءُ الرَّخَاءِ هُمُ كثيرٌ	*	وَلَكِنْ فِي الْبَلَاءِ هُمُ قَلِيلُ
فَلَا يَغْرُرْكَ خُلَّةَ مَنْ تُوَاخِي	*	فَمَا لَكَ عِنْدَ نَائِبَةٍ خَلِيلُ
وَكُلُّ أَخٍ يَقُولُ: أَنَا وَفِيٌّ	*	وَلَكِنْ لَيْسَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ
سِوَى خِلٍّ لَهُ حَسَبٌ وَدِينٌ	*	فَذَاكَ لِمَا يَقُولُ هو الْفَعُولُ

أصدقاء الرخاء كثير، فلا يغررك كثرتهم، وادعاؤهم الوفاء بالقول، فالخلة الصداقة؛ لأن كل واحد من الخليلين يسد خلل صاحبه في المودة والحاجة إليه، ولا يكون ذلك إلا في البلاء والشدة، فيجب أن يكون الخليل ذا حسب ودين يوافق فعله قوله.

- صفات اجتماعية فيمن يسود في قومه ومن لا يسود، قال:(١٢٠)

وَإِنَّا لَقَومٌ مَا نُسَوِّدُ غَادِرًا	*	وَلا نَاكِلًا عِنْدَ الْحَمَالَةِ زُمَّلَا
وَلا مَانِعًا لِلْمَالِ فِيمَا يَنُوبُهُ	*	ولا عَاجِزًا فِي الحَرْبِ جِبسًا مغفَّلَا

ذكر ممن لا يسوَّد الغادر، ومن يمتنع عن دفع الدية لمن عليه دية من قومه، ومن لا يتعاون مع قومه، والمختبيء بثيابه، والجبان المتثاقل عن الخير، والبليد.

- وذكر ممن يسود في قومه:(١٢١)

نُسَوِّدُ مِنَّا كُلَّ أَشْيَبَ بَارِعٍ	*	أَغَرَّ، تَرَاهُ، بِالْجَلَالِ مُكَلَّلَا
إِذَا مَا انْتَدَى أَجْنَى النَّدَى، وابْتَنَى العُلَا	*	وَأَلْفَى ذَا طَوْلٍ عَلَى مَنْ تَطَوَّلَا

فهم يجعلون سيدا لهم صاحب الشيب الذي فاق أصحابه في السؤدد، والخبرة والحنكة والحكمة، الذي إذا جلس في النادي أعطاء بكثرة كرما منه، وتجده صاحب قدرة وتفوق في التصدق.

خامسا: القيم الإسلامية الثقافية:

منها: الاعتزاز بالدين الإسلامي ، الاعتزاز بنبي الدعوة الإسلامية محمد عليه الصلاة والسلام، الاعتزاز بنصرة النبيﷺ، وشد أزره يوم حنين، الاعتزاز بالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، الاعتزاز بالصحابة الأخيار المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم، الاعتزاز بحواري رسول اللهﷺ الزبير بن العوامﷺ والاعتزاز بنصرته الإسلام

(٨) المرجع السابق، ٢١٤.
(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٢٢٣.
(٣) المرجع السابق، ٢٢٤.

ونصرته النبيﷺ ، الاعتزاز بأن الأنصار نصروا النبيﷺ وآووه ووقروا القرآن الكريم، الاعتزاز بنزول يهود بني قريظة على حُكم سعد بن معاذ سيد الأنصار بعد نقضهم العهد، تقدير الذات باعتزاز الشاعر بملكته الشعرية.

- قيمة الاعتزاز بالدين الإسلامي:(١٢٢)

وَأَنْذَرَنَا نَارًا، وَبَشَّرَ جَنَّةً	*	وَعَلَّمَنَا الإِسْلامَ، فَاللهَ نَحْمَدُ

فليس من نعمة أعظم من أن أرسل الله رسوله محمدﷺ مبشرًا، ونذيرًا، ومعلما لنا الإسلام، ونخصك يا الله بالحمد على هذه النعمة.

- الاعتزاز بنبي الدعوة الإسلامية محمد ﷺ قال:(١٢٣)

أَغَرُّ، عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ	*	مِنَ اللهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ الإِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلى اسْمِهِ	*	إِذا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِن اسْمِهِ؛ لِيُجِلَّهُ	*	فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ، وَهَذا مُحَمَّدُ
نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ	*	مِنَ الرُّسْلِ، وَالْأَوْثَانُ فِي الأرضِ تُعْبَدُ
فَأَمْسَى سِرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا	*	يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهَنَّدُ

فهو يعتز ببياض جبين النبي، وأنه خاتم النبيين، وأن الله رفع ذِكْرَهُ في الأذان بضم اسمه في الشهادة لاسم الله الواحد(أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله)، وشق له من اسمه إجلالا له، فالله حميد محمود والنبي محمد، فهو كالسراج لكنه منيرٌ وليس وهاجًا، يهتدى به في الظلم يظهر لوجهه بريق يتلألأ يلمع كلمعان السيف الصقيلﷺ.

- الاعتزاز بنصرة النبيﷺ، وشد أزره يوم حنين، قال:(١٢٤)

نَصَرُوا نَبِيَّهُمُ، وَشَدُّوا أَزْرَهُ	*	بِحُنَيْنٍ، يَوْمَ تَوَاكُلِ الْأَبْطَالِ

فعندما تخاذلَ الأبطالُ في حنين، وضاقت الأرض بما رحبت يوم تواكل الأبطال اعتمادًا على كثرتهم، هم الذين نصروا رسول الله، وقوا النبيﷺ بنصرتهم له، عندما أمر عمه العباس وكان جهوري الصوت أن ينادي الناس فنادى يا معشر الأنصار يا أصحاب بيعة الرضوان فأسمع من في الوادي، وقالوا لبيك لبيك يؤمون الصوت، واجتمعوا حول رسول اللهﷺ ، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها من الملائكة، فكرَّ المسلمون على عدوهم، وأعملوا فيهم القتل، وفروا على وجوههم متفرقين

(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده، ٥٤.
(٢) المرجع السابق، ٥٤.
(٣) نفسه، ٢١٠.

لا يلون على أحد وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، وتحقق لهم النصر، فذلك قول حسانﷺ نصروا نبيهم، فكانوا أبطالا يوم تواكل الأبطال، أي: وضعفهم، واتكالهم على غيرهم(١٢٥).

- قيمة الاعتزاز بالصحابة الأخيار المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم، ومن قوله ردا على شاعر وفد بني تميم: (١٢٦)

إِنَّ الذَوَائِبَ مِـــــنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ	*	قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّـــــــــاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ	*	تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا

يشير بالذوائب إلى السادة الأعالي من المهاجرين الذين يرجع أصلهم إلى فهر بن غالب بن النضر بن كنانة وهو أصل قريش كلهم ينسبون إليه وإخوتهم الأنصار.

- ويؤكد على اعتزازه بطاعة الصحابة رسول اللهﷺ ونصرته بقوله:(١٢٧)

أَعْطَوا نَبِيَّ الْهُـــدَى وَالْبِرِّ طَاعَتَهُمْ	*	فَمَا وَنَى نَصْرُهُمْ عَنْهُ وَمَا نَـــــزَعُوا
إِنْ قَالَ سِيرُوا أَجَدُّوا السَّيْرَ جُهْدَهُمُ	*	أَوْ قَالَ عَوِّجُوا عَلَيْنَا سَاعَةً، رَبَعُوا

فهم أعطوا طاعتهم لنبي الهدى والخير، وما ضعفوا عن نصرهم له، وطاعته في كل الأمور.

- ويؤكد على اعتزازه بأن الصحابة أفضل الأحياء، وبوجود رسول الله ناصرًا لهم بقوله:(١٢٨)

أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللهِ شِيعَتُهُمْ	*	إِذَا تَفَرَّقَـــــــــتِ الْأَهْـــــــــوَاءُ وَالشِّـــــــــيَعُ
أَهْدَى لَهُمْ مِدَحِي قَلْبٌ يُؤَازِرُهُ	*	فِيمَا يُحِبُّ لِسَانٌ حَـــائِكٌ صَـــــــــنَعُ
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَـــــاءِ كُلِّهِمِ	*	إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا

فهم أفضل الأحياء في حالة الجد، وأفضل الأحياء في حالة الهزل والمزاح.

- قيمة الاعتزاز بالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، من ذلك اعتزازه بالصديقﷺ دفاعا عنه عندما نال منه أقوام بألسنتهم، فقال:(١٢٩)

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْـــــوًا مِـــــنْ أَخِي ثِقَةٍ	*	فَاذْكُرْ أَخَـــاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلا
التَّالِيَ الثَّانِيَ الْمَحْمُـــــودَ مَشْـــــهَدُهُ	*	وَأَوَّلَ النَّاسِ طُرًّا صَدَّقَ الرُّسُلَا

(١) ينظر، البرقوقي، شرح ديوان حسان،٣٣٤.
(٢) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٥٥.
(٣) المرجع السابق، ١٥٦.
(٤) نفسه، ١٥٧.
(٥) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٨٨.

وَالثَّانِيَ اثْنينِ فِي الْغَارِ الْمُنِيفِ، وَقَدْ	*	طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَّدَ الْجَبَلَا
وَكَانَ حِبَّ رَسُـــــــولِ اللهِ قَدْ عَلِمُـــــوا	*	مِنَ الْبَـــــرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلَا

إذا تذكرت ما يحزنك من أخي ثقة، فاذكر ما فعله أبو بكر فلن تجد فيه ما يحزنك، فقد كان ثاني اثنين مع الرسولﷺ في الغار، وأول من أسلم من الرجال، وكان أحب الرجال إلى رسول اللهﷺ.

- ويستمر في الدفاع عن الصِّدِّيقﷺ قائلا:(١٣٠)

خَيْـــــرُ الْبَـــــــــــرِيَّةِ أَبْقَاهَا وَأَرْأَفُهَا	*	بَعْدَ النَّبِيِّ، وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا
عَاشَ حَمِيدًا، لِأَمْرِ اللهِ مُتَّبِعًا بِهَدْيِ	*	صَاحِبِهِ الْمَاضِي، وَمَا انْتَقَلَا

فالصديق خير البرية بعد النبيﷺ رأفة ووفاءً بما يتحمل، كوفائه بتحمل الديات، عاش محمودًا؛ لاتباعه لهدي النبيﷺ، وتمسكه به، وما تبدل وما انتقل عن هدي النبيﷺ.

- الاعتزاز بحواري رسول اللهﷺ الزبير بن العوام ونصرته النبيﷺ ومما قال حسانﷺ:(١٣١)

أَقَامَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَهَدْيِهِ	*	حَوَارِيُّهُ وَالْقَولُ بِالْفِعْلِ يُعْـــــــدَلُ
أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقِهِ	*	يُوَالِي وَلِيَّ الْحَقِّ، وَالْحَقَّ أَعْدَلُ

يعتز الشاعر بالزبير بن العوامﷺ بن خويلد القرشي المبالغ في نصرة رسول اللهﷺ حتى قال عنه: " إن لكل نبي حواريين، وإن حواريي الزبير بن العوام"، أُمُّهُ عمّة سيدنا رسول الله صفية بنت عبد المطلب بن هاشم، أسلمﷺ وهو ابن ست عشرة سنة، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول اللهﷺ قوله يطابق فعله، ثبت على سنة النبيﷺ ولم يغير، يناصر المؤمن ويؤيده، أحد العشرة المبشرين بالجنة(١٣٢)، وكان الزبير تاجرًا له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فما يدخل بيته درهمًا واحدًا يتصدق بذلك كله، وشهد الزبير موقعة الجمل، وقتله ابن جرموز بموضع يعرف بوادي السباع.

- ويعتز بالسيدة صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها أم الزبير، وعمة رسول اللهﷺ فقال:(١٣٣)

وَإِنَّ امْرَأً كَانَتْ صَفِيَّةُ أُمَّهُ	*	وَمِنْ أَسَدٌ في بيتها لمُرَفَّلُ

فالزبير أمه صفية عمة رسول اللهﷺ، وهو من بيت بني أسد، ولذا فهو معظم وموقر.

- ومما قاله في اعتزازه بنصرة الزبير بن العوام الإسلام ونصرته النبيﷺ قوله:(١٣٤)

---

(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٨٩.
(٢) المرجع السابق، ٢١٣.
(٣) ينظر، البرقوقي، شرح ديوان حسان،٣٣٨.
(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٢١٣.
(٥) المرجع السابق، ٢١٣.

لَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ قُرْبَى قَرِيبَةٌ	*	وَمِنْ نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ مَجْـــــــــدٌ مُؤَثَّلُ
فَكَمْ كُرْبَةٍ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بِسَـــيْفِهِ	*	عَنِ الْمُصْطَفَى، وَاللهُ يُعْطِي فَيُجْزِلُ

فقرابته من رسول الله ونصرته الإسلام جعلتا له مجد معظم مشهور، فقد دافع عن رسول الله بسيفه في شدائد كثيرة.

- **وقيمة الاعتزاز بالأنصار فقال:**(١٣٥)

اللهُ أَكْرَمَنَا بِنَصْرِ نَبِيِّهِ	*	وَبِنَا أَقَامَ دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ
وبنا أعز نبيه وكتابه	*	وأعزنا بالضرب والإقدامِ

فالأنصار نصروا نبي الله ﷺ، وأقاموا دعائم الإسلام، وأعز الله بهم نبيه وكتابه الكريم، وأعزهم بالجهاد في سبيل الله.

- **قيمة تقدير الذات باعتزاز الشاعر بملكته الشعرية من ذلك قول حسان رضي الله عنه:**(١٣٦)

لِسَانِي صَارِمٌ لا عَيْبَ فيهِ	*	وَبَحْرِي لا تُكَدِّرُهُ الدِّلاءُ

لساني يقطع ألسنة الأعداء كالسيف القاطع، كما أن شعري لا يضعف بالرد عليهم فهو قوي كالبحر الصافي لا تكدره الدلاء، أي: لا يقلل منه نقد ناقد، ولا طعن معاند.

- **اعتزازه بعطائه وكرمه في العسر واليسر قال:**(١٣٧)

وبذلت ذا رَحْلِي، وَكُنْتُ بِهِ	*	سَمْحًا لَهُمْ فِي الْعُسْرِ والْيُسْرِ

فهو يبذل ذا رحله يعني زاده بكرم لهم في الرخاء والشدة.

- **وقيمة اعتزازه بالأمانة الشعرية وترك انتحال شعر غيره، قال:**(١٣٨)

لَا أَسْرِقُ الشُّعَرَاءَ مَا نَطَقُوا	*	بَلْ لَا يُوافِقُ شِعْرَهُمْ شِعْرِي

- **واعتزازه أن أشعر بيت شعر ليس أكذبه وإنما أصدقه، قال:**(١٣٩)

وَإِنَّمَا الشِّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ	*	عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَيسًا وَإِنْ حُمُقا
وَإِنَّ أَشْعَـــــــرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ	*	بَيْتٌ يُقَالُ، إِذا أَنْشَدْتَهُ، صَـــــــــدَقا

فالشعر يعبر عن عقل المرء سواء أكان حسنًا ظريفًا أم جهلا، وإن أحسن الشعر ما كان صادقًا.

---

(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٢٥٣.
(٢) المرجع السابق، ١٦.
(٣) نفسه، ١٠٦.
(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٠٦.
(٥) المرجع السابق، ١٨٣.

-ويؤكد على اعتزازه بقبيلته بني النجار التي استأثرت بالشعر متمثلا في شاعريته وشاعرية ابنه عبد الرحمن واستأثرت بعلم القرآن متمثلا في زيد بن ثابت﵁ الأنصاري النجاري بقوله:(١٤٠)

فَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ حَسَّانَ وابْنِهِ	*	وَمَنْ لِلْمَثَانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ

- قيمة اعتزاز الشاعر بإكرام الضيف، والجود ببذل الموجود قال:(١٤١)

أَكْثَرُ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمُ	*	وَأَطْوِي عَلَى المَاءِ الْقَرَاحِ الْمُبَرَّدِ
وَإِنِّي لَمُعْطٍ مَا وَجَدْتُ، وَقَائِلٌ	*	لَمُوقِدِ نَـــــارِي لَيْلَةَ الرِّيحِ: أَوْقِدِ

فأنا أكثر أهلي بالضيوف، كرمًا وعطفًا، وأبيت جائعًا متعمدًا، إيثارًا لغيري على نفسي، وأطلب من خادمي أن يوقد نار القرى في الليلة الباردة.

- قيمة اعتزاز الشاعر بترك معصية الرسولﷺ إلى الممات قال:(١٤٢)

لَوْلا الرَّسُولُ، فَإِنِّي لَسْتُ عَاصِيَهُ	*	حَتَّى يُغَيِّبَنِي فِي الرَّمْسِ مَلْحُودي

فهو يعتز بطاعته لرسول اللهﷺ بترك القذف والشتم حتى الممات.

- قيمة اعتزاز الشاعر بنسبه قال:(١٤٣)

أَلَمْ تَرَنَا أَوْلادَ عَمْرو بنِ عامرٍ	*	لَنَا شَرَفٌ يَعْلُو عَلَى كُلِّ مُرْتَقَى

فهو يعتز بأنهم من نسل عمرو بن عامر، ابن حارثة الغطريف، من التبابعة، فشرفهم راق.

- قيمة اعتزاز الشاعر بشجاعة الصحابة من المهاجرين والأنصار في غزوة بدر:(١٤٤)

فَوَافَيْنَاهُمُ مِنَّا بِجَمْعٍ	*	كَأُسْدِ الْغَابِ: مُرْدَانٍ وَشِيبِ

فجيش المسلمين كلهم ببدر كأسد الغاب شجاعة وإقدامًا الشباب والشيبة.

فالصحابة على العموم هم أسد الغابة شجاعة وإقداما، ويخص الأوس بالسادة وبني النجار الذين ينتسب إليهم بمتانة دينهم فيقول:(١٤٥)

بَنُوا الْأَوسِ الْغَطَارِفُ آزَرَتْهَا	*	بَنُو النَّجَّارِ فِي الدِّينِ الصَّلِيبِ

- كما خص اعتزازه بشجاعة الأنصار في غزوة بدر بقوله:(١٤٦)

وَقَالَ اللهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا	*	هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ

---

(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٤٧.
(٢) المرجع السابق، ٨١.
(٣) نفسه، ٨٤.
(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٧٩.
(٥) المرجع السابق، ٢٠.
(٧) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٢١.
(١) ديوان حسان، تحقيق: سنده،١٥.

فهو يعتز بجنود الأنصار في بدر وقوتهم على قتال الأعداء عند التقاء الجيشين فهم قروم صناديد.

- اعتزازه بجميل صفات الصحابة متمثلة في عمر بن الخطابﷺ بعد استشهاده:(١٤٧)

وَفَجَـــعَـــنَا فَيْـــــــــــــــــرُوزُ لا دَرَّ دَرُّهُ	*	**بِأَبْيَضَ يَتْلُو المُحْكَمَاتِ مُنِيـبِ**
رَءُوفٍ عَلَى الأَدْنى، غليظٍ عَلَى الْعِدَا	*	**أخي ثِقَةٍ في النّائبَات، نَجِيـبِ**
مَتَى مَا يَقُلْ لا يَكْـــــــذِبُ الْقَـوْلَ فِعْلُهُ	*	**سَرِيعٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرِ قَطُوبِ**

فعمرﷺ أبيض ليس من بياض اللون ، ولكنه كريم نقي العرض من العيوب صاحب قلب طاهر، وعمل مبرور، يتلو آيات القرآن الكريم، رحيم على المؤمنين، شديد على الكافرين من قوله تعالى: ﴿**أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ**﴾ **[الفتح:٢٩]** ، مؤتمن في النائبات، كريم حسيب، صادق، سابق بالخيرات، بشوش غير عابس بين العينين، أصابنا العلج الرومي غلام المغيرة بن شعبة بمصيبة عظيمة بطعنه أمير المؤمنين عمر وهو يصلي، ثم نحر نفسه(١٤٨) .

- اعتزازه بقومه الأنصار ومآثرهم قبل الإسلام وبعد إسلامهم، قال:(١٤٩)

وَكُنّا مُلُوكَ النّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ	*	**فَلَمَّا أَتَى الإِسْلامُ، كَانَ لَنَا الْفَضْلُ**

فالأوس والخزرج كانوا ملوك العرب في الجاهلية، ولهم الفضل في السبق في دخول الإسلام، وفي نصرة الله ورسولﷺ، وهجرته إليهم، ومقامه بينهم، ومدحهم الله بقوله:﴿**وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾**[الأنفال:٧٤]**، وفي فضلهم قال رسول اللهﷺ:" لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلكت الأنصارُ شِعْبًا، وسَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأنصارِ"(١٥٠)، وقد رضي الله عنهم، وعن فعلهم، وهذا فضل لا فضل بعده.

- واعتزازه بنصر الله لدينه ونبيه محمدﷺ وتسميتهم الأنصار، وثبوت الخيرية لقومه، فقال:(١٥١)

وَأَكْرَمَنَـا اللهُ الذي لَيْسَ غَيْرُهُ	*	**إِلَهٌ، بِأَيَّامٍ مَضَتْ مَا لَهَا شَـكْلُ**
بِنَصْرِ الإِلَهِ للنَّـــــــــبِيِّ وَدِينِهِ	*	**وَأَكْرَمَنا باسمٍ مَضَى مَا لَهُ مِثْلُ**
أُولَئِكَ قَوْمِي خَيْرُ قَومٍ بِأَسْرِهِمْ	*	**وَلَيْسَ عَلَى مَعْرُوفِهِمْ أَبَدًا قَفْلُ**

(٢) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٣١.
(٣) ينظر، البرقوقي، شرح ديوان حسان،٣٩.
(٤) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٢٠٥.
(٥) رواه البخاري، باب لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، حديث رقم(٣٧٧٩)، ٧١٩/٢.
(٦) ديوان حسان، تحقيق: سنده،٢٠٥.

فالله أكرمهم بأيام ما لها مثل؛ فقد جعلهم أنصار الله ورسوله ولدينه، وقومي الأنصار خير قوم، لا حاجز يمنع وصول معروفهم للعامة والخاصة.

المبحث الثالث: الأساليب التربوية المقترحة؛ لتنمية القيم الإسلامية في شعر حسان ﷺ لدى المتعلمين.

إن إصلاح واقع التعليم المدرسي يأتي من خلال غرس القيم الإسلامية الصحيحة التي استقاها حسان ﷺ من الكتاب والسنة وخبراته الحياتية، والحروب الأحداث التي عاشها بكافة أنواعها غرسها في نفس المتعلم، وإعادة تربية المتعلم وفق التصور الإسلامي للحياة بأساليب تربوية مقترحة تقدمها الباحثة؛ للاستفادة من تلك القيم في إصلاح واقع التعليم، ورأب صدعه، منها:

أولا: غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الأجيال المسلمة الصاعدة؛ حتى لا يقعوا في براثن التطرف، والإرهاب، والغزو الفكري الثقافي.

ثانيًا: تصحيح المفاهيم الخاطئة والصور المشوهة التي تتبناها دول ومؤسسات تغريبية في حربها على الإسلام في مجالات العقيدة والأسرة والشخصية العربية والتاريخ العربي والإسلامي.

ثالثًا: الانطلاق في التعليم من مبدأ طلب العلْم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وجعْل التعليم لدى المعلم والمتعلم، وفي المناهج المُقَدَّمَة من منطلق تعبدي لله ﷻ لا من أجل وجاهة اجتماعية، أو وظيفة حكومية.

رابعًا: تنويع الأساليب التربوية بين التربية بالقدوة الحسنة والتربية بالقصة، والتربية بالوعظ والإرشاد، والتربية بالحوار، والتربية بالمثل والتربية من خلال المسجد والأسرة ووسائل الإعلام المختلفة من مجلات وجرائد وتلفاز وحاسوب ووسائل تقنية حديثة بحيث يحدث تناغم بينها في بث ونشر القيم الإسلامية الموحدة التي تحافظ على هوية المجتمعات العربية الإسلامية دون تناقض أو صراع أو تنازع فيما بينها.

خامسًا: مشاركة المتعلم في عمل أبحاث وتقارير ومقالات وأشعار تتناول القيم السلبية، والقيم الإيجابية من منظور إسلامي وفق قيمه الصحيحة.

الخاتمة:

نتائج الدراسة: لقد بذلت الجهد وأخلصت القصد، من خلال تناولي للقيم الإسلامية التربوية في ديوان حسان بن ثابت ﷺ، ذلك الجهد الذي تمخض عن النتائج الآتية:

١- إن للمجتمع الإسلامي خصوصياته القيمية والسلوكية مما يجعل استنباطها، وتنميتها لدى المتعلم من أهم الضرورات والحاجات التربوية.

٢- للقيم الإسلامية دور بارز في تحقيق التجانس بين المتعلمين مع مراعاة الفروق الفردية فيما بينهم.

٣- تأكدَ من خلال هذا البحث أن أجمل الشعر ليس أكذبه، وإنما أصدقه الذي يحمل رسالة سامية.

٤- القيم الإسلامية هذَّبَتْ شِعْرَ حسان بعد إسلامه، وأعلت منزلته، وزادت من قيمته التربوية.
٥- لشعر حسانﷺ دور تربوي في تنمية القيم الإسلامية لدي المتعلم، والإسهام في تعديل سلوكياته.
٦- تفرد شعر شاعر الرسول حسانﷺ عن كل من سبقه، وعن كل من لحقه بأنه مؤيد بروح القدس.

التوصيات:

يعد الشعر في صدر الإسلام مجالا خصبا للدراسات التطبيقية المتضمنة للقيم الإسلامية؛ لذا فعلى الدارسين والباحثين في مجال التربية الإسلامية القيام بدراسة تحليلية للقيم التربوية الإسلامية المتضمنة في الكتاب والسنة، وتراث هذه الأمة، ولاسيما شعر شعراء الإسلام العظماء، وتقديمها للمتعلم بأساليب متنوعة ، ومن جانب آخر القيام بدراسة تقدم تصورًا مقترحًا؛ للاستفادة من القيم الإسلامية التربوية المتضمنة في مجال المناهج التعليمية الإسلامية التربوية، وإبراز دورها في تعديل سلوك المتعلم، وإن القيم الإسلامية في التربية تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث المستقصي لما لها من علاقة بنهضة التعليم، وسلوك المتعلمين، ورقي المجتمعات، والحفاظ على الذات، فمجالها واسع وما زال مفتوحا أمام الباحثين.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

- القرآن الكريم.
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق: دعبد الله سنده، دار المعرفة- بيروت،ط١(١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م).

ثانيا: المراجع:

- **ابن الأثير**، أبو الحسن علي بن محمد بن الجذري(ت:٦٣٠هـ)، **أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة**، دار ابن حزم، بيروت، ط١(١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م).
- **البخاري**، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ): **صحيح البخاري المسمى بـ «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»**، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).
- **البرقوقي**، عبد الرحمن: **شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**، المطبعة الرحمانية- مصر، ط(١٣٤٧هـ- ١٩٢٩م).

- **البيهقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت٤٥٨هـ)، **السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي**، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد- الهند، ط١(١٣٤٤ ه).
-**الترمذي**، الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذِيّ(ت٢٧٩هـ): **سُنَنُ الترمذي (الجامع الكبير)**، تحقيق: د. بشار عَوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١(١٩٩٦م).
- **الجوهري**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٨هـ): **الصحاح تَاجُ اللغةِ وصِحَاحُ العربيةِ مُرَتَّبٌ تَرْتيبًا ألفبائيًا وِفْقَ أوائلِ الحروفِ**، تحقيق، د. محمد محمد تامر، دار الحديث- القاهرة، ط(١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
- **الحاكم**، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ): **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق، مقبل الوادعي، دار الحرمين،القاهرة، ط١(١٤٢٧هـ- ١٩٩٧م).
- **الذهبي**، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهَبيّ(ت٧٤٨هـ)، **سيَر أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١(١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- **ابن عبد البر**،أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر(ت٤٦٣هـ)،**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل،بيروت، ط١(١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).
- **العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر بن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١(١٤٠٧هـ ١٩٨٦م).**
- **ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد** ابن العماد **العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، حققه محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط الناشر، دار ابن كثير، دمشق- بيروت (ط١)، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م).
- **أبو العينين**، علي خليل، **القيم الإسلامية والتربية**، مكتبة الحلبي- المدينة المنورة، ط (١٤٠٨- ١٩٨٨م).
- **الفيروزآبادي**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزَآبادي(ت٨١٧هـ): **القاموسُ المُحِيطُ مُرَتَّبٌ تَرْتِيبًا أَلِفْبَائِيًّا وِفْقَ أَوَائِلِ الحروفِ**، نسخة منقحة وعليها تعليقات الشيخ أبو الوفا نصر الهُوريني المصري الشافعي(ت١٢٩١هـ)، راجعه أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث- القاهرة، سنة الطبع(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).
- **القرشي**، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت في بداية القرن الرابع الهجري): **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر، ط(١٩٨١م).
- **مسلم**، الإمام الحافظ أبو الحسين مُسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ): **صحيح مسلم المسمَّى المسند الصحيح المختصر من السُّنن بِنَقْل العَدْلِ عن العَدْلِ إلى**

رسولِ الله ﷺ، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة للنشر، الرياض، ط١(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
- **مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤**(١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
- **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية**، دار الصفوة للطباعة، الكويت، ط١ (١٤١٦هـ-١٩٩٥م).

دور الخطاب الديني للمساجد في التقليل من ظاهرة العنف الأسري

إعداد

د/ فتيحة طويل

أستاذ محاضرصنف "أ" قسم العلوم الاجتماعية – جامعة محمد خيضر

تم استلام البحث في ٢٠١٨/٤/١٤ تم الموافقة على النشر في ٢٠١٨/٦/١٨

الملخص:

تسعى هذه الدراسة لتسليط الضوء على دور الخطاب الديني للمساجد، كأحد أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية، التي يتم من خلالها تشكيل السلوك وتعديل وظائفه، لتكامل أجزاء النسق ألقيمي والأخلاقي في العلاقات الاجتماعية، وإحدى الاستراتجيات الاجتماعية لمواجهة العنف الأسري على اختلاف صوره المتعددة، من ضرب وتعذيب وحرق وقتل وشتم وارتكاب الفواحش بين ذوي القربى... وغيرها من أشكال العنف الأسري التي تحدث تناقضات صارخة في العلاقات الاجتماعية، وتضرب البناء الاجتماعي في العمق.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني-الخطاب- العنف - العنف الأسري

تمهيد:

لقد باتت الأسرة الجزائرية تعيش الآن في عالم متغير سريع الإيقاع، وفي زمن الانفتاح الاستهلاكي لا الإنتاجي، سادت مشاعر المادية والأنانية وحب الذات وعدم التواصل والتراحم بين الأسرة، مع ظهور كافة الاعتداءات من ضرب وتعذيب وحرق وشتم وارتكاب الفواحش بين ذوي القربى، وإجبار بعضهم البعض على التسول والسرقة وممارسة الرذيلة، مع انتشار مسلسل التخطيط لتدمير حياة العجزة وكبار السن، والتفريق في المعاملة بين الإناث والذكور في جميع احتياجاتهم... وغيرها من مظاهر العنف الأسري، التي تحدث تناقضات صارخة في العلاقات الاجتماعية الأسرية، وتضرب البناء الاجتماعي في العمق.

الأمر الذي يستدعي البحث عن حلول قابلة للتطبيق على هذه الظاهرة، من خلال دراسة دور الخطاب الديني للمساجد كأحد مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وإحدى القوى الثقافية والاجتماعية التي يتم من خلالها تشكيل السلوك وتعديل وظائفه، لتكامل أجزاء النسق القيمي والأخلاقي في العلاقات الأسرية، بمختلف الاستراتيجيات والمعارف.. التي تقلل من ظاهرة العنف الأسري.

فهل تمكن الخطاب الديني من التقليل من ظاهرة العنف الأسري أم زاد من انتشارها؟.

أولا: العنف الأسري:

لقد شغل موضوع العنف الأسري اهتمام الباحثين والمتخصصين في العلوم الإنسانية المختلفة، كون الأسرة هي ركيزة المجتمع وأهم بنية فيه، ولأن العنف داخلها يعتبر كمحتوى خطير ينشأ في جميع الحالات نتيجة إنكار للغيرية وعلاقة النفوذ والتأثير والاستيلاء على الآخر.

فهو ذلك العنف الممارس على الأفراد في إطار العائلة أو الأسرة ومن أوجه ذلك: العنف الممارس من طرف الآباء على الأبناء أو عكسه، والعنف الممارس من طرف الأزواج على الزوجات وعكسه، فهو بذلك قد يدل على أي عنف يمكن أن يوجد داخل الأسرة، ويشير بوجه عام لسوء معاملة شخص لشخص آخر تربطه به علاقة وثيقة مثل العلاقة بين الزوجين، بين الآباء والأبناء وبين الإخوة **(دشاش نادية، ١٥٧).**

كما يعرف بأنه سلوك عدائي يؤدي إلى إيذاء فرد لفرد آخر داخل الأسرة، وقد يكون هذا تعبير بالكلام الجارح و التهديد، وقد يكون فعليا كالضرب والاغتصاب و الحرق والقتل، وقد يجمع بين الاثنين، بين الإيذاء الجسدي والنفسي الناتج عن إصابة أو معاناة، تم استرجاعه من:

www.annabaa.org/nbamews/70/113.htm.

ومنهم من يؤكد على أنه نمط من أنماط السلوك العدواني، والذي يظهر منه القوي في الأسرة سلطته و قوته على فرد أو مجموعة من أفراد الأسرة، لتسخيره في تحقيق أهدافه و أغراضه الخاصة ، مستخدما بذلك كل وسائل العنف سواء كان جسديا أو لفظيا أو معنويا، تم استرجاعه من:

.www.saaid.mzt/book/9/2799.doc

وفئة ثالثة تركز على العنف الأسري بممارسة القوى البدنية لإنزال الأذى، كما أنه الفعل و المعاملة التي تحدث ضررا جسميا أو التدخل في الحرية الشخصية لواحد من أفراد الأسرة **(محمود سعيد الخولي، ٢٠٠٦، ٤٧).**

وقد يكون هذا السلوك أو الاعتداء بقصد أو غير قصد، لأجل أسباب أو لغير وجودها، كالغضب والفشل والإحباط أو التأديب أو لدفاع عن الذات أو القهر والإجبار علي تلبية رغبات معينة، أو الإجبار على المنع من القيام بمهام، مما ينتج عنه ضرر بدني أو نفسي أو لكليهما معا، وغيرها من الأسباب التي تتعدد وتتنوع و تنقسم إلى :

- أسباب ذاتية تنتج من ذات الإنسان، التي تكونت في نفسه نتيجة ظروف قاسية من قبل الإهمال أو سوء المعاملة، والعنف الذي تعرض له الإنسان منذ طفولته، ومع تراكمها تولد له عقد نفسية، يتم تفريغها باللجوء إلى العنف داخل الأسرة، إلى جانب أسباب وراثية قد ينتقل العنف منها عبر الأجيال المتتابعة وتتزايد من جيل لآخر.

- أسباب اقتصادية كتدني المستوى الاقتصادي للأسرة، والأحداث الضاغطة كالفقر والبطالة... التي ينتج عنها سوء المعاملة إزاء أفراد الأسرة، لعدم تمكن رب الأسرة من تلبية حاجات الأسرة الأساسية، الأمر الذي ينعكس على سلوكه النفسي والاجتماعي.
- إلى جانب الأسباب الاجتماعية التي تتمثل في العادات والتقاليد التي اعتادها مجتمع ما، والتي تتطلب من الرجل أن يسيطر على أفراد الأسرة بالقوة والعنف، تم استرجاعه من:
www.saaid.mzt/book/9/2799.doc. إلى جانب سوء معاملة الآباء لتربية أبنائهم وتفريغ ضغوطهم الخارجية على أفراد أسرهم، وخضوع أحد الزوجين للنقد المستمر الجارح للطرف الآخر، وتدخل أحد الأقارب في مشاكل الأزواج، ومع تفشي الأمية وتدني مستوى التعليم وضعف الوعي الديني والثقافي وتعاطي المخدرات والخمور، **(محمود سعيد الخولي، ٢٠٠٦، ٩٣)**، و غيرها من مظاهر العنف الأسري، التي نعيشها ونسمع عنها يوميا، وتتعدد وتتنوع على أثرها الأسباب والدواعي، في صور ومظاهر مختلفة أهمها:

- عدم تحمل الزوج المسؤولية اتجاه زوجته وإهماله لها عند مرضها أو سلبها ممتلكاتها، بحجة الإنفاق عليها أو تطليقها والاستغناء عنها، في صورة الأب الذي يجبر أولاده على العمل بالسرقة أو الترويج للمخدرات، أو يتعدى جنسيا على بنات زوجته، الأم المتسولة التي تضرب الأولاد وتجبرهم على التواجد بجوارها على الرصيف، وفي عز البرد وسقوط المطر... هؤلاء هم أطفال شوارع اليوم ومجرمي الغد.
- استخدام كافة أنواع التعذيب للأبناء من قبل الآباء والأمهات، بالشتم والطرد والحبس والضرب والكي بالنار والكهرباء، ومختلف أشكال العقاب التي تقلل معها مشاعر الصدق والرحمة و المحبة ... لأنهم لم يتعلموا طيلة حياتهم أي دروس في التربية الأسرية وأبعادها، ولم يمارسوها في أسرهم، وطبيعي أن ينتقل العنف الذي عاشوه لأبنائهم الذين سينقلونه للأجيال المستقبلية.
- و مع سوء المعاملة وسوء التربية في الصغر والتدليل وتلبية رغبات وهوى الأبناء، وقصور التوعية الدينية بالتراحم والتواصل للأجيال المتعاقبة، وصعوبة الحياة المتغيرة والطمع والأنانية، الأمر الذي يجعل الأبناء يطردون آباءهم ويرمونهم في دار العجزة، بعدما ضاق بهم المكان مع أزواجهم وأولادهم.
- الابن والأخ المنحرف البطال، الذي يأخذ المصروف بالقوة والابتزاز والتهديد والسرقة والقتل أحيانا.
- الانحلال الأخلاقي لبعض الأمهات خصوصا عند سفر الآباء أو نتيجة لضعف الأب وعدم سيطرته وانسياقه وخضوعه للزوجة، ومحاولة هذه الأم دفع بناتها للسير في طريقها.

- إعطاء الحرية في بعض الأسر، بدون رقيب لمشاهد الأفلام والأغاني المثيرة للغرائز الجنسية، لدى الأطفال والشباب من الجنسين، للإعلاء قيم الإباحية عن قيم العفة والطهارة، وما يتركه من جرائم زنا المحارم ومختلف أشكال العنف، وبعد هذا يحاول هؤلاء الآباء فرض السيطرة والرقابة فجأة ؟! عند ارتكاب الأبناء مشاكل تعرضهم للمساءلة القانونية.
- توفر الثروة في يد الأبناء والقدرة على ممارسة مختلف المظاهر الحياتية الأخرى، مما يسهل وقوع الأبناء ضحايا للفراغ الاجتماعي والعاطفي واللامبالاة، لعدم وجود مشاعر التواصل والتراحم والإحساس بالكيان لغياب الآباء.
- التفرقة في المعاملة بين الذكور والإناث في جميع احتياجاتهم، والسماح للذكر ما لا يسمح للأنثى، وإعطائه مكانة عالية لأنه ذكر. مما يولد مشاعر البغض والكراهية والحقد بين الإخوة ذكورا وإناثا، في مراحل حياتهم المختلفة، وقد يسلبها حقها في الميراث لأنها امرأة، كما هو الحال عندنا في كثير من المجتمعات.
- إلى جانب العنف ضد النساء، فحسب ما ورد في تقرير البرنامج الإنساني للأمم المتحدة الصادر سنة ٢٠٠٨ ، أن وزارة الأسرة وقضايا المرأة بالجزائر بينت في دراسة قامت بها أن ما يقارب ٥٤% من النساء تعرضن للعنف اللفظي، و٢٢% للعنف المعنوي و٦% للعنف الجسدي، وفي دراسة أخرى لسنة ٢٠٠٦ بأن امرأة واحدة من بين ١٠ نساء جزائريات تتعرض للعنف الجسدي، يمارس غالبا من طرف أفراد الأسرة وخاصة الزوج، و١٦% من النساء المطلقات والأرامل يتعرضن إلى الإهانة في أسرهن، وأن ٢٨٣ امرأة كانت ضحية اعتداء جنسي ارتكب من قبل ٣٥٥ رجلا سنة ٢٠٠٠ ، تم إسترجاعه من: www.ehcconline.org/information_centre/wunview.php?artld=1 9747.، وهذا العنف يعتبر عنف متوسط مقارنة مع بعض الدول، وهذا المصرح به وما خفي كان أعظم.
- ومن بين ضحايا العنف الأسري، نجد كذلك المعوقين وكبار السن الذين يعانون من عنف معنوي، نتيجة عدم الاهتمام واللامبالاة بهم وتحقيرهم وتهميشهم من قبل أسرهم وطاقم المؤسسة القائمين على رغباتهم.
- ومن ضحايا العنف الأسري أيضا عنف الزوجة ضد الزوج، كظاهرة أصبحت ملفتة للانتباه وخطيرة داخل مجتمع تسوده القيم الدينية، خاصة وأن مفهوم العنف ظل ولفترات طويلة مرتبطة بالرجل وسيطرة الذكورة، كما أكد (دانييل ولزير لونج daniel.wegzerlong ١٩٨٩). وما من أحد ظن أن هذه الخاصية ستتحول للنساء لتمارسها ضد الرجال في يوم من الأيام، فالظاهرة غير قابلة للإثبات رغم وجودها على الصحف اليومية، فالموضوع حساس ويمس كرامة الرجل ورجولته،

فلا الزوج يستطيع أن يصرح بأنه ضحية عنف زوجته خوفا من العار والفضيحة، ولا الزوجة هي بدورها تستطيع أن تتباهى بتفوقها هذا لأنه يدخل ضمن الممنوعات **(دشاش نادية، ، ١٦١).**

هذا هو العنف الأسري الذي يهدد خلية العلاقات الإنسانية بين الزوج والزوجة، والأولياء والأبناء، أو الأبناء والأولياء، وحتى العلاقة بين الأبناء فيما بينهم، وبالتالي تتهدد العلاقات الاجتماعية وسط المجتمع، هذه العلاقات التي ضبطها الدين الإسلامي وحدد أبعادها لكي تبقى منسجمة ومتكاملة وسط الأسرة والمجتمع بعيدا عن العنف الأسري.

و بهذا تخلق فجوة في قيم التواصل والتراحم الإنساني، ووجود هوة بين الأفراد بعضهم البعض، وعدم فهم كل منهما للآخر، وعدم تقبل النصح والإرشاد من جانب جيل الصغار للكبار، واتهام الأجيال الصغرى بالسلبية والأنانية واللامبالاة وعدم المسؤولية، بعد انتشار تعليم الذكور والإناث وخروج الفتاة إلى ميدان العمل، واتصالها بالآخرين من مختلف الأنماط المجتمعية المحلية، الأمر الذي أدى إلى تقويض سلطة الكبار وغياب الدور الإرشادي والرقابي، نتيجة اعتماد الأبناء على أنفسهم في تدبير أمورهم **(يسرى دعبس، ٢٠٠٥، ١٣٦- ١٤٨)**، وغيرها من مظاهر العنف داخل الأسر الجزائرية التي تؤدي في النهاية إلى:

- انتهاك حقوق الإنسان، كالحق في الكرامة والحق في الحياة والحق في الحماية وفي سلامة الجسد، والمساواة داخل الأسرة وفي المجتمع، والحق في الصحة الجسدية وفي المعاملة العادلة.
- وجود العقد النفسية التي قد تنمو مع نمو الجسم، لتصبح سلوكيات عدائية وربما إجرامية.
- العنف يفكك أواصر الأسرة ويشرد الأبناء، مما يصعد موجة العنف في المجتمع.
- يفقد العنف الإنسان الثقة بالنفس وعدم الإحساس بالطمأنينة والأمان.
- وأبشع ما في العنف الأسري أثره السيئ على الأطفال، فيكثر عندهم اضطراب النوم والأحلام المفزعة والتصرف العدواني والألعاب العنيفة، وربما التبول اللاإرادي، وتقلب المزاج وتعنيف الحيوانات وتدمير الذات والفشل الدراسي والكذب، وقد يصل إلى حالة الاكتئاب.

ثانيا: الخطاب الديني:

شاع مصطلح الخطاب الديني في السنوات الأخيرة، نتيجة شيوع مصطلح الخطاب في الاستخدامات اللغوية المعاصرة بوجه عام.. فالخطاب في اللغة من فعال مصدر من خاطبة خطابا ومخاطبة، وهو يعني كلاما موجها إلى طرف واحد، أو الكلام المقصود به إفهام من هو متهيئ للفهم، تم استرجاعه من .www.binbyyah.net/pages/research/progects/alkhetabaleslami.dec.:

كما تعني كلمة خطاب في أصلها الأجنبي كلمة مقال، كما أدرك محمود الحضري ذلك عندما ترجم كتاب الفيلسوف الفرنسي "ديكارت" (١٥٩٦-١٦٥٠) خطاب في المنهج بعنوان "مقال في المنهج".

وفي علم اللغة يحمل معاني ثلاث، أولها يشير إلى الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاما متتابعا يسهم به في نسق كلي متغاير متحد الخواص، لتشكل نصا منفردا، أو هي الطريقة التي بها يتألف ليشكل خطابا يحتوي على أكثر من نص مفرد، وبهذا يكون نوع الخطاب نص مكتوب، وعندما يدل على أنه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي، فهو ببساطة كلام ملفوظ، وعندما يكون مساق من العلاقات المتبعة التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة، فهو يشير إلى رؤية أو أيديولوجية ما **(أحمد زايد، ١٩٩٢، 20).**

فهو إذن عملية تفاعلية بين طرفين إحداهما منتج الخطاب والآخر العقل الذي تفاعل مع هذا الخطاب، وترتب على تفاعله رد الفعل سواء أكان سلبا أم إيجابا، ورد الفعل هذا يمثل تغذية استرجاعية لمفهوم ذلك الخطاب، فالخطاب هو نوع من الاتصال ما بين طرفين يسير في اتجاهين وبصورة دائمة مستمرة لا تنقطع، وإلا بانتهاء سريانها ينتهي مفهوم الخطاب **(كمال عبد اللطيف ونصر محمد عارف، ٢٠٠١، ١٠٩).**

وهو بهذا فعل اتصالي يسعى ضمن أبعاده ودلالاته الأيديولوجية ليبلغ رسالة ما**(أحمد حمدي،٢٠٠١، ٤)**، وموضوع معين إلى الجمهور بطريقة شفوية، كما هو الحال في الاتصال الحادث بين شخصين اثنين أو أكثر، أو بين شخص واحد ومجموعة، أو بين الإذاعة والمستمعين، أو بين المرسل التلفزيون والمستقبل المشاهد، أو يتخذ الصيغة التحريرية، كما هو الأمر في الكتاب والصحيفة، كما قد يعتمد بالدرجة الأساسية على الصورة أو الإيماءة أو الإشارة أو الحركة.

وبهذا فإن الخطاب يشير إلى لغة تصدر من المرسل إلى المستقبل، أو إيماءة أو حركة أو صوت يهدف من ورائها المرسل إخبار أو تبليغ المستقبل شيء ما أو بحدث ما أو خبر ما، وبذلك إقناعه بوجهة نظر معينة **(محمود شمال حسن، ٢٠٠٦، ٧).**

حيث عمل "فوكو" على تقسيم الخطاب إلى خطاب ثابت وهو خطاب يتردد في حياة الناس ولا ينقضي كالخطاب الوارد من الكتب المقدسة، وخطاب متغير هو خطاب الناس اليومي المعتاد الذي يفنى وينقضي بانقضاء زمنه، إذ لا تخرج هذه الأنواع عن سياق الوجود التاريخي كما يرى "فوكو"، لأن جميع المنطوقات statemnts التي تشكل وحدات الخطاب تتكون من علامات أو إشارات لها دلالات مختلفة، وهي تسرد وفق قواعد معينة، كما أن صياغتها على نحو معين يحمل في طياته فعلا معينا**(أحمد زايد، ١٩٩٢، ٢١).**

وبهذا يعتبر الكثير عن مستويات الخطاب، بأنها ترجع إلى موضوعاته ومصادره وفحواه ومحتواه، منه الخطاب التربوي والخطاب الفلسفي والخطاب السياسي والخطاب الديني إلى غير ذلك من أنواع الخطاب.

والخطاب الديني بالنظر لشموله، يحتوي كل هذه المناحي باعتبار عموم مفهوم الدين و كونيته الواسعة الفسيحة التي تجعل كل نشاط إنساني وجداني أو عقلي أو سلوكي بمختلف تغيراته الناقصة موزونا بميزان القيم ومصالح العباد من الدين، تم إسترجاعه من:

www.binbyyah.net/pages/research/progects/alkhetabaleslami.dec،

و حيث أن البحث يتعلق بالخطاب الديني، لابد من التمييز بين الخطاب الإلهي من نصوص الدين المقدسة، والبشري من النصوص التي تدور حول الدين.

وهذا المصطلح الأخير الذي يستخدم مع تقلب دلالته المعاصرة في هذا البحث، حيث يشير في كل الأحوال إلى الآراء والأفكار والاجتهادات والتفسيرات أو التأويلات التي يصوغها البشر حول دينهم، ونتيجة اتفاقهم أو اختلافاتهم في كيفية فهمهم نصوصه المقدسة، ومن ثم استنباطهم من الآراء أو الأحكام ما يستتب إلى عقولهم القابلة للإصابة أو الخطأ، كمال الشيء أو النقصان الذي يدفع إلى معاودة الاجتهاد والاستنباط.

فهو الجهد الفكري الإنساني للبشر الذين لا يفارق دائما خطابهم الديني أوضاعهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك من حيث الكيفية التي يتأثر بها فهم النصوص الدينية بسبب العوامل والشروط التي تدفع بالفرد أو الجماعة الفكرية، أو التيار المذهبي إلى هذا التفسير دون غيره، أو ذلك التأويل دون سواه، تم استرجاعه من:

http://www.alsharq.com/DisplayArticle.aspx?xf=2009,March,article20090325 2&id=columnist&sid=profmoheeldinabdalhaleem.

ضمن فعاليات اتصالية إسلامية من وسائل وأساليب ومناهج ومواقف المنجدة، والتي تستخدم في العمليات التغيرية المخططة أو العفوية الرسمية أو الشعبية، الفردية أو الجماعية هادفة إلى نصرة الإسلام كمنهج وتاريخ وحضارة ومستقبل، والتمكن له على العالم الإسلامي والعالم الإنساني، ويظهر هذا الخطاب الديني على شكل مقروء كالكتاب والمجلة أو مسموع كالخطبة أو الدرس...**(الطيب برغوث ،١٩٩٦، ١١)**، فهو كل فهم للإسلام أو عمل من أجله، فالخطبة الدينية أو الدرس ألمسجدي والمجلة الإسلامية والرسم الكاريكاتوري والمعرض خطاب ديني إسلامي، إذ كان يحمل مضمونا دينيا ، فالخطاب الديني الشامل للزمان والمكان كشمول الشريعة التي يرتكز عليها **(عاشور بوقلقولة ،٢٠٠٧ ، ٦٠)**.

فهو نفس منهج الدعوة الإسلامية في مكوناته وأبعاده **(محمد منير حجاب،٢٠٠٦، ٢٥)** ، وخصائصه مع مراعاة أحوال الجمهور الواقعية للخطاب و صدقيته ومرونته وفعاليته ومشروعيته ودقته ، بهدف المحافظة على الدين وإبراز مقاييس الحلال والحرام، الخير والشر، لسعادة الإنسان وإلزامه بأخلاق العمل الدعوي في ضوء معاني التقوى والمسؤولية أمام الله، وتنمية الشعور بالحرية وعدم العبودية لغير الله ورسوله، مع التركيز على وحدة الفكر والمجتمع، ونبذ القضايا الخلافية التي تشق صف الجماعة

وتثير الفتن، وضرورة استخدام الحكمة عند الاختلاف ومراعاة المستوى الثقافي للناس واتجاهاتهم وعاداتهم وقيمهم، والتركيز على الأولويات والقضايا الأكثر أهمية فأقل أهمية، وأن ترتبط المعلومات المقدمة باحتياجات الناس وأن تتضمن الفوائد والمكاسب التي تعود عليهم، مع الحرص على تنويع الوسائل المستخدمة للتأثير في الجمهور، مع اقتناء الوقت المناسب والوقائع المختلفة التي يكون الجمهور متلهف لاستقبالها والاستجابة لها.

وتبرز هذه الأهداف أكثر ضمن مختلف القضايا والمجالات التي يطرحها الخطاب الديني، كمناقشة واقع المسلمين بصفة موضوعية، وتحليل مختلف التحديات التي تواجه هذا الواقع، وعرض أسباب فشله وصلاحه ضمن نظرة الدين إلى الإنسان والحياة، وأنظمة الحكم وقضايا الاقتصاد والقضاء والتكامل السياسي والاجتماعي، وطريقة بناء الأسرة والآداب المتصلة بها، وإبراز القيم الدينية بالحرية والمساواة والأخلاق، وتحديد أصول العلاقات بين المسلمين وغيرهم من الشعوب، ومناقشة رؤى الإسلام بقضايا المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وكذا الحضارية ودوره في التنمية الشاملة في المجتمعات، مع استقراء وتحليل وشرح الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية، وتقديم القصص والنماذج الإسلامية في الحياة الإسلامية، بغية الفهم والمساهمة للحاق في مسيرة الحضارة الإنسانية (**محمد منير حجاب، ٢٠٠٦**، ٢٩٥-٢٩٧).

ثالثا: دور الخطاب الديني في التقليل من ظاهرة العنف الأسري:

لم تعد الأسرة الجزائرية في أغلب مظاهرها، كما كنا نعرفها ونألفها أو نتخيلها ونريدها، وإنما هي في تغيير متسارع على ضوء ما حدث من التحولات السياسية والاقتصادية والمجتمعية، فضلا عن الانفجار التقني والحضاري الذي تمثل في ثورات المعلومات والاتصالات، هذه المتغيرات تشكل تحديات كبيرة أمام الأسر المعاصر، بقدر ما تجعلها تنخرط في واقع كوني جديد يتغير معه نظام الأسرة وخريطة علاقتها الاجتماعية، لتتبدد مبادئ القيم وعلاقات الفرد بمختلف مفردات وجوده بالزمن والمكان داخل الأسرة.

وتطفو على سطحها مظاهر الاعتداءات من ضرب وتعذيب وحرق وقتل، وشتم وارتكاب الفواحش بين ذوي القربى، وإجبار بعضهم البعض على التسول والسرقة وممارسة الرذيلة، مع انفجار مسلسل التخطيط، لتدمير حياة العجزة وكبار السن، والتفريق بين الإناث والذكور في جميع احتياجاتهم، وسادت مشاعر المادية والأنانية وحب الذات، وعدم التواصل والتراحم بين أفراد الأسرة... وغيرها من أشكال العنف الأسري التي تحدث تناقضات صارخة في العلاقات الاجتماعية الأسرية، وتضرب البناء الاجتماعي في العمق.

الأمر الذي يتطلب قراءة حية لواقع الأسر المتغيرة، والوقوف على مختلف المعطيات والتحولات التي هزت القيم الراسخة والأنظمة السائدة، التي كونت الأسرة

الجزائرية، لأن ما يحدث على مسرح هذه الأسر في هذا العصر يحمل من يفكر ويتأمل، على المراجعة وإعادة النظر بصورة جذرية، ويضعه موضع المساءلة حول تفسير هذه المشاهد من العنف الأسري، مادامت مبادئنا مثلى وقيمنا سامية وسط بيانات ومؤثرات تنعقد حول حقوق الإنسان والمحافظة عليها، وكيف تحصل مثل هذه السلوكيات العدوانية داخل الأسرة الخلية الأساسية لبناء المجتمع، مادمنا نقيم وسط هذا الحشد من المرشدين العقائديين، ومادام يعيش بيننا أناس هم دعاة الدين ونخبه والناطقون باسمه؟!

باعتبار أن الدين هو المكون الأساسي لشخصية المسلم الدينية، التي تتميز بعمق التكوين وامتداده، فالدين الإسلامي يخاطب المسلم برؤية تتناول الجوانب الأساسية للحياة وعالم الغيب والآداب والعبادات، ولا يعرف فقط باعتبار المفاهيم والمبادئ العقائدية، بل أيضا بالسلوك الفردي والاجتماعي لأنه البناء والنظام والعلاقات الاجتماعية، وهو الحالة الفكرية التي تعطي الطريقة والمضمون لنظام الأسرة والمجتمع في جميع مرافقه، فهو العقيدة وهو المبادئ وهو الروح الاجتماعية التي بفضلها ينهض المسلمون حملة الرسالة في بناء دولة وحضارة.

وكانت الأفكار والمبادئ التي جاء بها القرآن تخلق التطورات الاجتماعية، وتحدث التغيرات النوعية الجديدة في المجتمع في مستوى الفكر والواقع، على ضوء مفاهيم وقوانين موضوعية واعية تلامس مظاهر الطبيعة وتشكيلات الكون والوجود، وتعالج مشاكل الإنسان وما يتعلق بها من نتائج وأحداث تنعكس على مجمل الحياة الاجتماعية والبناء الحضاري للإنسان **(حسن سلمان، ٢٠٠٢، ١١-٢٢).**

فلماذا إذن هذا البعد الشاسع بين سمو تعاليم الدين، وسوء أحوال المسلمين وكثرة مشاكلهم وتنوع سلوكياتهم العدوانية داخل أسرهم؟. وللإجابة على هذا التساؤل ينبغي إذن مراجعة الخطاب الديني السائد وسط المجتمع عبر المنابر الدينية، سواء فتوى أو تصريحا أو محاضرة أو درسا دينيا أو خطبة جمعة، كآداة اتصالية جماهيرية بلغة اليوم، وليس شرطا حصرها في السياق الفقهي، وإنما يمكن تناولها في سياق الاتصال والإعلام أيضا.

إذ يقول احد الإعلاميين أن المسلمين يمتلكون أهم وسائل الإعلام والاتصال المؤثرة أكثر من غيرها، وهي خطبة الجمعة التي طالب بها أحد علماء الدين، وحث الحكومة على السيطرة على الإذاعة والتلفزيون ووسائل الإعلام، وترك لهم خطبة الجمعة لما لها من أهمية ودور كبير في إيصال الرسالة للمستمعين (المصلين)، باعتبارها إلزامية وركن من أركان صلاة الجمعة التي لا تصح إلا بها، وبالتالي يصل تأثيرها غالبا إلى كل بيت ولتنوع جمهورها. حيث يحضرها الكبير والصغير، المثقف والجاهل، العامل والبطال، الرجل والمرأة، وغير ذلك، لذا يكون تأثيرها واسع ولابد من أن تكون متوازنة وتراعي مختلف المستويات، لأنها ليست درسا نظريا بقدر ما هي حقيقة تشرح

وتعرض، فهل أدرك الخطاب الديني هذه الحقيقة ؟، تم إسترجاعه من: http://www.bassia.org/meetings/2004/Aziz-kayed-2004.htm.

الواقع الميداني الذي تمت دراسته حول الخطاب الديني لمساجد مدينة القنطرة ولاية بسكرة، من خلال إجراء مقابلة مع أئمة هذه المساجد وبعض المصلين، إلى جانب تحليل بعض الخطب للبحث في دور الخطاب الديني كأحد أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية وهي المساجد، في الحد من ظاهرة العنف الأسري، لما لهذا الخطاب من قوة في تشكيل المحتوى الداخلي للإنسان الذي يتجسد من ناحية جانبا فكريا، وهو الجانب الذي يحتوي على تصورات معينة نحو الغاية والهدف، ومن ناحية أخرى يمثل الطاقة أو الإرادة التي تحفز الإنسان نحو هذا الهدف وتنشطه للتحرك باتجاهه،(**حسن سلمان، ٢٠٠٢، ١١-٢٢).**

وعندما يتم المزج بين الفكر أو الإرادة تتحقق فاعلية المستقبل، ويتحرك الفعل الإنساني نحو سلوكيات غير عدائية تؤدي إلى تكوين علاقات أسرية طيبة، تمكن كل فرد من أداء وظيفته ودوره على أكمل وجه، بفضل الهدف والغاية التي شكلتها القيم الدينية من خلال الخطاب الديني، وهذا لتحقيق تكامل وانسجام وتوافق الأسرة كنظام اجتماعي بفضل تكامل المستوى الداخلي والخارجي لوحدات الأسرة.

وإذ ما حدث هناك خلل في هذا البناء كصور العنف التي تعاني منها الأسرة المعاصرة، لابد أن نرجع هذا الخلل إلى الخطاب الديني باعتباره قوة تشكل أفعال وسلوكيات الإنسان داخل الأسرة، وتحدد علاقاتها لتظهر بمظهر البناء المتكامل أو البناء الذي يعاني من مظاهر ومشاكل العنف الأسري.

حيث بينت الدراسة الميدانية أن ما حسبناه هو الحل الذي يمكن أن يشكل حقيقة سلوك الإنسان ويرشده إلى الاستقامة، ويحدث توافق بين أفراد أسرته وفق عملية التغيير والبناء لصناعة الإنسان،على ضوء الخطاب الديني، أضحى هو المشكلة لانفكاكه عن دوره ووظيفته الحقيقية الواقعية، وبقيت بصورة بلاغية وقصص أسطورية ورموز غنية مشفرة، ارتبطت بعامل الزمان والمكان الذي نشأت فيه، وإن تحركت وسط مكانها كان بفضل نسبية المعطيات المعرفية والثقافية للخطيب الذي يتكلم معطيات الماضي البعيد واجتهادات السلف الصالح، التي لا تخرج عن سرد الأحاديث النبوية والآيات الكريمة للاستدلال بها وفهمها، لكي تقوى سلطان النص على القلوب وإن تم تطبيقها على أرض الواقع، فهي لا تخرج عن دعوة الناس للتأسي بصاحبها عليه الصلاة والسلام، كما أجاب أحد الخطباء، وبينته محتويات الخطب التي حصلنا عليها ضمن موضوع العنف الأسري، التي تطرقت لبعض ظواهر الأسر وأهملت معظمها.

إذ ركزت على طرح العلاقة التي من المفروض أن تكون بين الزوجة وزوجها، بين الأبناء وأوليائهم مهملة بذلك باقي العلاقات التي تشكل كيان الأسرة، والتي قد تحدث

مظاهر العنف كعدم التطرق لعنف الزوجة ضد زوجها، عنف الآباء ضد أولادهم، كظواهر فرضت نفسها في هذا العصر.

لينفصل بهذا الخطاب الديني عن واقع الحياة واهتمامات الناس ومعاناتهم، والتركيز على أمور الآخرة وإغفال اعمار الدنيا، بتجاهل عناصر أثر الزمان والمكان والأحوال في الفتوى، ليفقد القدرة على التناسق بين البنية الاجتماعية التي تعيشها الأسرة المعاصرة، وبين البنية الثقافية التي يتشكل الخطاب الديني أحد أبرز مقومات نظام الأسرة.

لأنه عندما لا تعود قيم المجتمع تتناسب مع إمكانيات نشاطه كما يقول عالم الاجتماع الأمريكي "ميرتون"، ينشأ الاختلال وتدب الفوضى في تركيب بناء الأسرة، وتتجلى بذلك مظاهر العنف والانحراف كمبدأ أساسي للخلل الوظيفي واللانظامية في الأسرة والمجتمع (**حسن سلمان، ٢٠٠٢، ١٢٦.**).

وهذه نتيجة طبيعية لركود الخطاب الديني ووقوفه على ظاهرة النصوص وحروفها مع الغفلة عن مقاصد الشريعة وكيفية تطبيقها في الواقع، بإهمال العلم في بناء التصور الإسلامي والعقل، في استنباط الأحكام الفعلية ليتحول الخطاب الديني إلى أبنية معيقة وممارسات تقليدية.

لأن معظم مواضيع الخطب تكون مسطرة كعناوين كبرى من قبل توجيهات الوزارة أو المديرية، ووفق المناسبات السنوية، كالحج، عيد المرأة، عيد الأم، الإسراء والمعراج... غير أن المحتوى يتحكم فيه الإمام، إذ بينت المقابلة أن معظم عناوين المواضيع التي تتكلم عن الأسرة لا تخرج عن مواضيع السلف الصالح، كالزواج والأسرة في الإسلام وتربية الأبناء، حق الزوج والزوجة، بر الوالدين، معوقات الزواج، تربية النشء في الإسلام، كيفية تعامل النبي مع أزواجه، شرح حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "استوصوا بالنساء خيرا" وغيرها من العناوين التي تم تحليل محتواها، وجدناها عبارة عن مواضيع نظرية لا تلمس الواقع المعاش في أغلبها، لأن معظم هذه المواضيع يستقيها الخطيب جاهزة من مواقع الانترنت، والبعض الآخر يكتب رؤوس أقلام في ورقة يذكر فيها محاور الخطبة، ويكتفي بما يجيد به ذهنه، فيحدث في بعض الأحيان خلل في توازن الأفكار حسب رأي بعض المصلين، حيث يشبع الخطيب فكرة ويطيل فيها على حساب باقي الأفكار التي إذا تطرق لها يذكرها بلا استشهاد ولا إقناع رغم أهميتها، وإن شعر بملل المصلين من خطبته لا مانع أن يقلص هذه الأفكار كما أقر أحد الخطباء.

عكس البقية التي تحاول الاجتهاد والاعتماد على مجموعة من الكتب والمراجع لتكون خطبهم مميزة ومفيدة نوعا ما، كما أقر بذلك بعض المصلين، لكنها لا تتعدى وقر القلب الذي لا يصدقه العمل، لأن أغلب تلك الخطب هي سرد حقائق الماضي والمستقبل بعيدا نوعا ما عن الحاضر، وإن تطرقوا له فهو لا يخرج عن المناسبات والأعياد.

أما الواقع الاجتماعي والمعاناة اليومية للأسرة الجزائرية من مظاهر العدوان والعنف الأسري، يذكر كجرة قلم دون تحليل وتفسير الأسباب والعوامل الحقيقية التي أظهرت هذه السلوكيات داخل الأسرة الجزائرية، التي لم يعد يكفيها الوعظ والإرشاد الذي أصبح كمسكن يذهب مفعوله بمجرد الخروج من المسجد، لاعتقاد بعض الخطباء أن الرادع القانوني صار أقوى من الوازع الديني. كلام خطير يطرح سؤال على قائله: أين دوره؟

هذا الدور الذي يصطدم بواقع مفارقة بين مثالية ما يطرحه الخطيب في كلامه المفترض، وبين واقع تعيشه الأسرة ضمن ظروف اجتماعية واقتصادية محددة في المجتمع.

إذ أصبح ذلك الخطاب في نظر المصلين مجرد تنظير يحمل الآيات والأحاديث، ويخرجنا في رحلة مع الماضي البعيد كيف كان السلف الصالح، دون أن يلخصوا في أغلب الأحيان واجب كل مسلم اتجاه الموضوع الذي ألقي سواء على وجه الإجمال أو بشيء من التفصيل والبيان، إلا فيما يخص العودة إلى طاعة الله والعمل للآخرة بالوعد والوعيد الذي أعده له للغافلين، كما أكد ذلك أحد الخطباء عندما سألناه حول نوع التغير الملموس عند الناس بعد سماع خطبهم حول مواضيع الأسرة ومشاكلها.

عاجزين بذلك ضمن خطابهم الديني على التأسيس لواقع متطور متقدم، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في انطلاقته بالرسالة السماوية من العشيرة الأقربين إلى الوسط الاجتماعي الواسع.

وهذا ليس بجديد بالنسبة لقصور الخطاب الديني وعجزه عن ترجمة الجانب النظري إلى واقع حضاري، إذ ترنح أمام تحديات اجتماعية وسياسية كبرى توالت عليه منذ أواسط الخلافة الراشدة، عندما اختلطت الثقافات الفارسية والرومانية بعد الفتوحات الإسلامية، ودخلت على المجتمع العربي أنماط حياة وفكر لم تكن معهودة في عصر النبوة المؤيد بالوحي مباشرة...

ومنذ ذلك الحين والهوة بين النظرية والممارسة في الخطاب الديني تزداد حتى بلغت أوجها في نهاية العصر العباسي، عندما انقسم قادة المجتمع إلى عدة فئات أولها فئة المترفين الباذخين من الأمراء وأعوانهم، تليها فئة المنعزلين المنغلقين على أنفسهم، المتمسكين بالنص بعيدا عن صخب الحياة، ثم فئة الصوفيين الذين وجدوا في الروحانيات والخيال والخرافة والرهبانية، ما يروي وهمهم شيء من الحق، وفئة الخوارج التي عبأت الإنسان نحو الحركة الثورية العارمة.

وقد يكون الخلل أقل من ذلك كتغليب ظاهر النص على معناه ومقاصده، كما تحث الظاهرية، وقد يبالغ في تغليب المعاني حتى تتناقض مع صحيح النصوص، كما يرى التفسير التأويلي للدين، الذي ذهب إليه طوائف من السلوكيين والفلاسفة، من:

httpM//www.stamonline.net/arabic/contemporarg/2004/3/artede02 .(a.shlml.

لتتفجر أزمة الخطاب الديني مؤخرا وتفرض نفسها على منابر الفكر وقنوات الاتصال، بعد الانهيار الاقتصادي والتدهور الاجتماعي في المجتمعات المعاصرة، وعجز ربط الدين بالواقع كأهم عقبة تواجه الخطاب الديني، كما يقول أحد الخطباء بغياب المؤهلات المادية والعلمية للخطيب، إلى جانب ما فرضه خطاب العولمة على الناس. لما له من تأثير على تسطيح الوعي وتغيير المبادئ والقيم، وتشكيلها من جديد على ضوء ما تريده وتسعى إليه العولمة بفضل شبكات الاتصال والإعلام.

وهكذا يكاد يفقد أو بالفعل فقد الخطاب الديني مصداقيته، واختلت وظيفته وانهار دوره، لكي ينضم مع باقي الخطابات والأيديولوجيات العربية، من حيث العجز والإفلاس لمواجهة تحديات ومتغيرات الأسرة المعاصرة. بل ليشكل أحد عوامل وأسباب انتشار العنف الأسري وسط المجتمع.

وفي الختام ولكي يعود للخطاب دوره في التقليل من ظاهرة العنف الأسري، لابد من تجديد الخطاب الديني ليواكب التطورات والأحداث، ويتماشى مع العصر ومشاكل ومعاناة الأسر المعاصرة، ومراعاة الصحة النفسية للأفراد والجماعات داخل أسرهم، وإحياء الأمل في نفسهم وحمايتهم من العنف والإحباط واليأس، ليتمكن الإنسان من القيام بدوره وسط أسرته، وبالتالي مجتمعه من منطلق أن الشريعة الإسلامية لم تترك أي قضية إلا وتناولتها.

بداية بالبحث عن الثقافة الاجتماعية وعن نوع الروابط بين الجماعات الأسرية، وبين الروح الفردية الإنسانية، وما يحركها نحو الخير والشر، والبحث في العوامل الجامعة لوجود الأسرة وعلاقاتها المختلفة، بالاجتهاد والعمل على استنطاق القرآن مع حركة الزمن والإنسان والأسرة في كافة المشاكل خاصة العنف الأسري، وكشف حلوله وآرائه في مجالاتها المختلفة بقراءة الفيلسوف والاقتصادي والاجتماعي، وثقافة المربي للروح والنفس من أجل الحد من ظاهرة العنف الأسري .

المراجع:

أحمد حمدي: جذور الخطاب الأيديولوجي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠١.

أحمد زايد: خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري، ط١، القراءة للجمع النشر والتوزيع، دبي الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٢.

حسن سلمان: دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ط١، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠٢.

دشاش نادية: العنف الزوجي، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة ٢٠ أوت ٥٥ سكيكدة، (عدد٠١ سبتمبر)، (٢)-

الطيب برغوث: الخطاب الإسلامي المعاصر وموقف المسلمين منه، ط١، دار الامتياز، الجزائر،١٩٩٦.

عاشور بوقلقولة: الخطاب الديني وأبعاده المقاصدية، مجلة رسالة المسجد،تصدر عن وزارة الشؤون الدينية للأوقاف ،الجزائر، (العدد٢٠٠٧،٠١).

عبد الله بن الشيخ المحفوظ: الخطاب الاسلامي بين القواطع والاجتهاد، ورقة مقدمة لمؤتمر العالم الاسلامي، الخطاب الإسلامي وإشكالية العصر، مكة المكرمة، ٥-١٤٢٨/١٢/٧ هـ،

www.binbyyah.net/pages/research/progects/alkhetabaleslami.doc.

كمال عبد اللطيف ونصر محمد عارف: إشكاليات الخطاب الغربي المعاصر، سلسلة حوارات القرن الجديد، دار الفكر، دمشق سوريا، ط١، ٢٠٠١.

محمد منير حجاب: : تجديد الخطاب الديني في ظل الواقع المعاصر، دار الفجر، القاهرة،ط١، ٢٠٠٦

محمود سعيد الخولي: العنف في مواقف الحياة اليومية، دار الإسراء للطباعة والنشر، ٢٠٠٦.

محمود شمال حسن: خطاب الأزمة ومحنة الآخر، سلسلة دراسات في علم النفس الاجتماعي، ج١، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠

يسرى دعبس: المحميات الاجتماعية والتنية المتواصلة- رؤية وخبرات ميدانية في الانثربولوجيا الايكولوجية- سلسلة التنمية والبيئة، ج١٣، ط١، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص١٣٦- ١٤٨.

http://www.bassia.org/meetings/2004/Aziz-kayed-2004.htm.

http://www.alsharq.com/DisplayArticle.aspx?xf=2009,March,article

200903252&id=columnist&sid=profmoheeldinabdalhaleem. ٢٠١٦/٠٢/٢٣،
httpM//www.stamonline.net/arabic/contemporarg/2004/3/artede02a.shlml.
www.annabaa.org/nbamews/70/113.htm٢٠١٦/٠٤/١١،
www.ehcconline.org/information_centre/wunview.php?artld=19747.٢٠١٧/٠٢/١٢ ،
www.saaid.mzt/book/9/2799.doc.٢٠١٦/١١/١٧ ،
www.saaid.mzt/book/9/2799.doc. ٢٠١٦/١٢/١٣،

المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات

إعداد

عواطف قاعد العتيبي د/ لينا سليمان الخليوي

تم استلام البحث في ٢٠١٨/٤/٢٢ تم الموافقة على النشر في ٢٠١٨/٧/٨

مقدمة

تتعرض المنظمات باختلاف أنواعها ومستوياتها في أي بقعة من العالم لمشاكل وأخطار يصعب معها اتخاذ القرار السليم. والأزمة حدث متوقع، وتعتبر عقبة في طريق تطوير المنظمات وتنميتها.

ومع التعرض للأزمة تظهر حنكة القادة في القدرة على مواجهتها، وإدارتها، والتغلب عليها، والخروج بأقل الخسائر، وهناك من يرى أن الأزمة محنة تحمل في طياتها منحة قد تعود بالنفع على المنظمة.

وأدى تسارع ظهور الأزمات وتعددها إلى اهتمام علماء الإدارة بموضوع إدارة الأزمات، حتى أصبحت فرعًا خاصًا من فروع علم الإدارة، تزايد معها النظر لإدارة الأزمات كرؤية متفاعلة ومتكاملة مع متطلبات الحياة المعاصرة. وتعد إدارة الأزمات نظامًا يستخدم للتعامل مع الحالات الطارئة عند حدوثها، بغرض التحكم في نتائجها، ومع هذا التسارع برزت الحاجة الملحة لإدارة الأزمات في المنظمات (الخضيري،٢٠٠٣؛ الهلباوي، ٢٠٠٦).

إن امتلاك القدرة على إدارة الأزمة ضروري لبقاء المؤسسات في مواجهة الفتن التي تموج كموج البحر، كما أن مواجهة الإدارة للأزمة هو الاختبار الحقيقي لكفاءة الإدارة. وهذا الفن مرتبط بفقه السياسة الشرعية ووضع التدابير لمواجهة المستجدات والأزمات. والأزمة أحد التحديات المصيرية التي تواجه الإدارة، فهي تضع المؤسسة أمام مفرق طرق، ولعل في قول الرسول ﷺ وهو يدعو الله في بدر: " اللهم إن تُهْلِكْ هذه الْعِصَابَةَ من أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ في الأرض فما زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حتى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ " (صحيح مسلم) ما يدل بوضوح عن طبيعة الخطر الذي تحمله الأزمة فهي تشكل تهديداً خطيراً لوجود الدعوة وتضعها أمام احتمالين: إما الانطلاق بحيث لا تتوقف حركة الفتح حتى تصل إلى مكة ثم تنطلق خارج الجزيرة إلى ما شاء الله، وإما الانكسار حتى لا يعبد الله تعالى في الأرض! (الكيلاني،٢٠٠٨).

إن استشعار التحدي، الذي تمثله الأزمة، والتحرك في ضوء ذلك، هو نقطة الانطلاق للبدء في تحليل الأزمة وتفكيكها، وإرجاعها إلى أسبابها وعواملها، ومكوناتها الأولى، ومن ثم وضع الخطط، حيث لا يمكن التعامل مع الأزمة في إطار من العشوائية الارتجالية أو سياسة الفعل ورد الفعل، بل يجب أن يخضع التعامل مع الأزمة للمنهج

الإداري السليم لتأكيد عوامل النجاح، وحماية الكيان الإداري من أي تطورات غير محسوبة قد يصعب عليه احتمال ضغطها (الكيلاني، ٢٠٠٦؛ السكارنه،٢٠١٥، ١٠٦).

وبالرغم من أن فن إدارة الأزمات علم حديث نسبيًا، إلا أن مفاهيم هذا العلم متأصلة في الفكر الإداري الإسلامي منذ عصر صدر الإسلام، والشواهد على ذلك كثيرة ووفيرة، ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات، واستنباط ذلك من خلال استعراض بعضًا من مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مواجهة المشكلات والأخطار التي تعرض لها المسلمون وكيفية التغلب عليها.

مشكلة البحث

لقد أثبتت الإدارة التربوية الإسلامية في عصر صدر الإسلام نجاحها في تكوين وإدارة جيل قرآني فريد، وأسعدت البشرية بإنشاء حضارة إنسانية عالمية متميزة، والمسلمون اليوم بحاجة إلى تكرارها في مثل هذه الظروف الصعبة التي تعيشها الأمة الإسلامية (الحلواني،١٤٢٩، ٥-٦).

وقد سبق الإسلام الفكر الإداري الحديث في فن التعامل مع الأزمات بمختلف أنواعها ومستوياتها، كما يتضح ذلك جليًا في القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته وسيرة أصحابه من بعده.

من هذا المنطلق تتلخص مشكلة البحث في بيان المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات باعتباره منهجًا فريدًا يجمع بين العلم والعمل، العقيدة والعبادة، والنظرية والتطبيق.

أهداف البحث

هدف البحث إلى:

١- التعرف على المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات.
٢- استعراض لبعض المواقف من القرآن والسنة وسيرة الصحابة في فن التعامل مع الأزمات وإدارتها.
٣- الخروج بتوصيات في إدارة الأزمات وفق المنهج الإسلامي.

أهمية البحث

- تعود أهمية البحث إلى أهمية الموضوع الذي يبحث فيه، وهو إدارة الأزمة وفق المنهج الإسلامي.
- يعد البحث في موضوع المنهج الإسلامي في إدارة الأزمة محدود والدراسات فيه قليلة.

- قد يسهم البحث في وضع إطار أو نموذج لإدارة الأزمات المعاصرة وفق المنهج الإسلامي.

أسئلة البحث

١- ما هو المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات؟

٢- ما هي المواقف من القرآن والسنة والسيرة التي تدل على فن التعامل مع الأزمات وإدارتها؟

٣- ما أبرز التوصيات لإدارة الأزمات وفق المنهج الإسلامي؟

مصطلحات البحث

المنهج في اللغة: الشيء الواضح الذي يسير المرء على وفقه، كالطريق وما في معناه.

- قال تعالى-:(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) {المائدة: ٤٨}.

المنهج اصطلاحًا: هو الطريق الذي يبين به أحكام الله في العبادات العلمية والعملية وفي المعاملة بين الناس.www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=26482

الأزمة:

لغة: يعرفها قاموس مختار الصحاح بأنها الشدة والقحط و (أزم) عن الشيء أمسك عنه.

اصطلاحًا: تعددت تعريفات الأزمة، اخترنا منها تعريف شامل: " اللحظة الحرجة ونقطة التحول التي تتعلق بالمصير الإداري للمنظمة وتهدد بقاءها وغالبًا ما تتزامن الأزمة مع عنصر المفاجأة مما يتطلب مهارة عالية لإدارتها والتصدي لها" (السكارنه، ٢٠١٣، ١١).

إدارة الأزمات: هي أسلوب يبنى على التنبؤ الجيد وتحديد الأدوار والمهام والتحرك السريع الذي يصاحب مراحل حدوث الأزمة ويختص بمعالجة هذا الظرف الطارئ الذي يتسم بالضغوط وسرعة الحركة وتوالي الأحداث وتداعي الخسائر وانهيار النظام وتهديد أهدافه الأصيلة التي وجد من أجل تحقيقها (كورتيل وكحيلة، ٢٠١٦، ٣٨-٣٩).

المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات إجرائيًا: الأسلوب والطريقة التي يتم بها السيطرة على الأحداث والمتغيرات المفاجئة التي تشكل خطرًا على المنظمة والأفراد والجماعات في ضوء الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح.

منهجية البحث

تم استخدام البحث المنهج التاريخي "وهو عبارة عن إعادة للماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثم تمحيصها وأخيرًا تأليفها ليتم عرض الحقائق عرضًا صحيحًا في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذ إلى استنتاج مجموعة من

النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة" (إيراك ومايكل المذكور في العساف،٢٠١٦)، لمناسبته لطبيعة البحث والتي تقوم على استقراء المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات من خلال تحليل بعض الأحداث والأزمات التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية بالرجوع إلى الوثائق والمصادر التاريخية القديمة والدراسات السابقة الحديثة في هذا الموضوع.

الإطار النظري

المبحث الأول: إدارة الأزمات

يعد التعامل مع الأزمات أحد محاور الاهتمام في الإدارة الحديثة، حيث أنه يقتضي وجود نوع خاص من المديرين الذين يتسمون بالعديد من المهارات منها الشجاعة والثبات والاتزان الانفعالي، والقدرة على التفكير الإبداعي والقدرة على الاتصال والحوار وصياغة ورسم التكتيكات اللازمة للتعامل مع الأزمة (أحمد، ٢٠٠٢، ٣٥).

وقد برزت إدارة الأزمات كحقل أكاديمي من خلال عدة جذور اقتصادية واجتماعية وسياسية. ونتيجة لذلك فإن تعريف هذا المصطلح يختلف باختلاف الإطار الأكاديمي الذي يتم التعريف من خلاله، ومن هذه التعريفات: " هي عملية إدارية خاصة من شأنها إنتاج استجابة استراتيجية لمواقف الأزمات من خلال مجموعة من الإداريين المنتقين مسبقًا والمدربين تدريبًا خاصًا والذين يستخدمون مهاراتهم بالإضافة إلى إجراءات خاصة من أجل تقليل الخسائر إلى الحد الأدنى" (Lenda,2008).

مراحل إدارة الأزمات

تمر معظم الأزمات بخمس مراحل:

١- اكتشاف إشارات الإنذار المبكر (المرحلة التحذيرية)
عادة ما ترسل الأزمة قبل وقوعها سلسلة من إشارات الإنذار المبكر، أو الأعراض التي تنبئ
باحتمال وقوع الأزمة (الحملاوي،١٩٩٥، ٦٢).

٢- الاستعداد والوقاية (مرحلة نشوء الأزمة)
في هذه المرحلة يتعاظم الإحساس بالأزمة زلا يمكن انكارها أو تجاهلها (مرجع سابق).

٣- احتواء الأضرار والحد منها (مرحلة انفجار الأزمة)
تتلخص هذه المرحلة في إعداد وسائل للحد من الأضرار ومنع انتشارها (الحملاوي،١٩٩٥، ٦٣-٦٤).

٤- استعادة النشاط (مرحلة انحسار الأزمة)
تبدأ الأزمة بالانحسار والتقلص بعد المواجهة ومعرفة الخسائر وبذل الجهود للقضاء على الأزمة والحد من تأثيرها (هشام،٢٠٠٧).

٥- التعلم (التعويض)
وهي المرحلة التي تتم فيها عملية التقويم وتلافي الآثار. (عز الدين،١٩٩٠)

التعامل مع الأزمات

يتم التعامل مع الأزمات من عدة أوجه وفق سياسة متعددة الاتجاهات في ثلاثة محاور: (Carla,2008)

المحور الأول: ما قبل الأزمة

ويقع على كاهل المعنيين وضع سياسة التعامل مع الأزمة قبل وقوعها وهو ما يتمثل في وضع تصورات واحتمالات وقوع الأزمات وفق منظور علمي والاستفادة من تجارب الأخرين وذلك برسم خطط عملية متفقة مع السياسة العامة للبلاد ومعطيات الوضع العام.

المحور الثاني: أثناء وقوع الأزمة

وهذا يعني وقوع الخطر سواء كان متوقعًا ام غير متوقع، وفي هذه الحالة يأتي دور المعنيين محوريًا للقيام بعمليات المواجهة وعمليات التدخل المباشرة في الأحداث التي عادة ما تكون كبيرة الحجم وحادة التأثير، هنا يقع على عاتق المعنيين تقدير حجم الأزمة ومن ثم تقييم الموقف ثم تحديد عناصر المواجهة من قوى بشرية أو آلية أو أجهزة أ ومعدات والتي تتناسب مع حجم ونوع الأزمة.

المحور الثالث: ما بعد الأزمة

وهي المرحلة التي بدأت تستقر فيها الأوضاع بشكلها المائل، وتوقف عمليات التدخل لتبدأ عملية أخرى هي عمليات إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه، أو عمليات إعادة البناء وإصلاح الأعطال، والبدء فيها بأولويات ملحة يحتاجها الناس، وتتوقف عليها حياتهم. وتمثل هذه المرحلة هموم على درجة كبيرة من الأهمية وتحتاج إلى عمل متواصل لإنجازها.

أهداف إدارة الأزمات

تهدف إدارة الأزمات إلى توجيه وتوظف الطاقات البشرية، والموارد المتاحة في معالجة الحالات الطارئة أو التخفيف من النتائج المترتبة عليها، وذلك من خلال: (الزعبي، ٢٠١٤)

١- محاصرة الأزمة، والحيلولة دون عدم انتشارها، كي لا تتفاقم الأزمة وتتشعب آثارها؛ مما يؤدي إلى تعقيدها واستحالة التغلب عليها.
٢- وضع الحلول المناسبة للسيطرة على الأزمة، والتقليل من خطرها.
٣- الشفافية في التعامل مع جمهور الأزمة بشقيه، الفئة الواقعة بالأزمة، وكذلك الفئة الثانية: المجتمع الأزموي المراقب للأزمة.
٤- معالجة الأزمة ومسح آثارها قدر الإمكان.
٥- استثمار الأزمة والاستفادة من الأخطاء التي حصلت قبل وأثناء حدوثها.

٦- التخطيط السليم وتطوير البرامج المستقبلية للإصلاح والتطوير والحيلولة دون حدوث الأزمة مرة أخرى.

المبحث الثاني: المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات

عبّر القرآن الكريم عن الأزمة بلفظ الفتنة، وللفتنة بعض خصائص الأزمة. فهي تعصف بالمؤسسة وتهدد القيم كما قوله تعالى:" وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" سورة الأنفال. نستدل من هذه الآية بعض خصائص الأزمة بأنها تصيب الجميع وتهدد أمن المجتمع والمنظمة وهذا يتفق مع علم الإدارة الحديث الذي يرى بأن الأزمة حالة حرجة تهدد أمن المنظمات واستقرارها.

ويرى الكيلاني (٢٠٠٦) أن الأزمة وردت في القرآن الكريم أيضًا بلفظ "المصيبة" فمن ذلك قوله تعالى: "أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" سورة آل عمران. فالهزيمة في المعركة هي أزمة تحتاج إلى إدارة لتجاوز آثارها، وأول خطوات المعالجة الصحيحة الاعتراف بالخطأ وعدم إلقاء اللوم على الآخرين، وهذا ما توجه إليه الآية الكريمة. ومن استعمالات القرآن الكريمة للفظ المصيبة بمعنى مرادف للأزمة اصطلاحاً قوله تعالى: وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" سورة البقرة، وهو توجيه مهم لمواجهة الأزمة أثناء حدوثها لنتمكن من الخروج منها واحتواء الضرر، والسيطرة على آثار الأزمة بعد حدوثها واستعادة النشاط والفاعلية. سنعرض في هذا البحث بعضًا من نماذج إدارة الأزمة في القرآن والسنة النبوية ونتناولها بالتحليل لاستنباط المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات.

نماذج من إدارة الأزمات

من أبرز الأمثلة على إدارة الأزمات الاقتصادية، الأزمة التي حدثت في عهد يوسف عليه السلام في مصر

الإنذار

بدأ التنبؤ بالأزمة عندما عبر رؤيا الملك: ﴿قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) ﴾ .سورة يوسف. فسرها يوسف عليه السلام بسنوات رخاء وسنوات جدب، ووضع لهم العلاج بأن يخزنوا المحصولات في سنوات الرخاء وهي السبع سنوات الأول ليمكنهم توزيعها في سنوات الجدب التالية. ثم نبأهم بأن السنة الخامسة عشر ستكون رخاء وهذا لم يأتي في رؤيا الملك. فلما فسّر يوسف عليه السلام الرؤيا طلبه الملك و ولاه على خزائن الأرض ليعالج الأزمة بما لديه من علم في إدارة الأزمات واحتوائها ومعالجتها والخروج منها دون مجاعة، أو خسائر مادية أو بشرية (الشيخ،٢٠٠٣، ٢٣٧-٢٣٨) (أبو قحف،١٩٩٩).

الاستعداد: أمرهم يوسف عليه السلام بأن
١- يقوموا بإقامة السدود والقناطر لحجز الماء والاستفادة منه فيما بعد.
٢- زيادة الإنتاجية، والعمل الدؤوب في استصلاح الأرض للزراعة وزيادة رقعة الأراضي الزراعية لتوافر العوامل المناخية والبيئية والبشرية في مصر، يقول د. أحمد نوفل: "تأمل كيف زاد يوسف عليه السلام نسبة التشغيل والفاعلية حتى استغرقت الطاقة كل قادر على بذل أي جهد تمثل ذلك في قوله تعالى: (تزرعون) ثم كيف زاد الإنتاج الكلي لمصر أضعافًا وهذا هو سبيل التنمية، فالخطة اليوسفية قد راعت هذا كله، فزادت الإنتاج إلى ما نستطيع تقديره بنسبة400% وأولت اهتمامًا ولا شك كبيرًا للعوامل البشرية".
٣- كما أمر يوسف ببناء المخازن الكبيرة حتى يمكن حفظ كمية كبيرة من سنابل القمح والشعير فيها، فعندما أجدبت الأرض ذهب المصريون إلى المخازن ليشتروا القمح الذي خُزِّن بقيادة يوسف عليه السلام. وكذلك طريقة تخزين القمح تدل على التخطيط الجيد إذ طلب إليهم يوسف أن يتركوه في سنبله كي لا يسّوس أو يتعفن.

التحديد الكمي: فكان كل فرد له نصيب محدد، كان ملك مصر يأخذ عشر ناتج ما يفضل من النفقات والمؤن لنوائب الدهر وهو أول من وضع مقياسًا للنيل (المقريزي، الخطط).

الاحتواء: لما أجدبت الأرض في السنوات العجاف التالية، ذهب المصريون إلى المخازن واشتروا القمح الذي خُزِّن بتخطيط يوسف عليه السلام في السنوات الماطرة، فكان لكل فرد نصيب محدد حتى يكفي أهل مصر ومن جاورها من البلدان، ويدل شراء إخوة يوسف عليه السلام للقمح على انتفاع جيران مصر بالمخزون (السكارنه،٢٠١٥، ٤١٠).

استعادة النشاط: ففي العام الخامس عشر نزل المطر كما نبأهم يوسف: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْد ذَلِكَ عَام فِيهِ يُغَاث النَّاس وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} سورة يوسف،٤٩. وعاد المصريون إلى الزراعة وجني المحاصيل والقيام ببعض الصناعات كعصر زيت الزيتون والعنب والزهور بعد أن كانت الصناعات قد توقفت أثناء الأزمة.

وقد دلت هذه الآيات على حسن التنظيم وأسلوب التخطيط الاستراتيجي لدى يوسف عليه السلام لتجاوز الأزمة بنجاح (السكارنه،٢٠١٥).

التعلم: بنهاية الأزمة: **(الشيخ، ٢٠٠٣)، (اليازجي،٢٠١١) (السكارنه،٢٠١٥)**

- أدرك المصريون أهمية التوحيد والإيمان بالرسل.
- تكونت لديهم خبرة في معالجة الأزمات.
- حددوا الأهداف قبل القيام بأي عمل.

- لاحظوا ودرسوا الظواهر الكونية التي تؤثر في منسوب مياه النيل ووضعوا مقياسًا لذلك ليعلموا سنوات الفيضان.
- تعلموا أن للدورة الزراعية وجهان رواج وجدب.
- أدركوا أن قيادة الأزمة تحتاج إلى قائد له صفات محددة كالعلم والحفظ والأمانة والصدق.

كما إن تفسير سيدنا يوسف عليه السلام لرؤيا الملك وإدارته للأزمة تبنت مدخل التخطيط الاستراتيجي والذي كان ناجحًا بالدرجة الأولى.

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حافلة بالأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقد أظهر فيها صلى الله عليه وسلم قدرات إدارية عالية مكنته من تسيير هذه الأزمات وتسخيرها لخدمة دعوته، وستستعرض بعضًا من هذه الأزمات.

في بداية الدعوة تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم مع المسلمين الأوائل ومع عشيرته بني طالب لحصار الشعب الذي فرضته قريش على بني هاشم وبني عبد المطلب.

تحليل الأزمة في حصار الشعب

الإنذار: قال ابن القيم في كتابه زاد المعاد: " لما رأت قريش أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلو والأمور تتزايد، أجمعوا أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب وبني عبد مناف ألا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة.. فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم، إلا أبا لهب فإنه ظاهر قريشاً على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبني هاشم وبني المطلب، وحبس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن معه في شِعْب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة، وبقوا محصورين مضيقاً عليهم جداً، مقطوعاً عنهم الميرة والمادة نحو ثلاث سنين حتى بلغ بهم الجَهْد، وسُمِعَ أصوات صِبيانِهم بالبكاء من وراء الشِّعب ".

الاستعداد: لقد دخل المسلمين الشعب بمحض إرادتهم لحماية الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك بنو هاشم وبنو عبد المطلب مسلمهم وكافرهم، كما كان أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويحميه من كفار قريش (الذهبي، ١٩٧١).

وقد حوت صحيفة المقاطعة عدة مؤشرات عن الأزمة التي يواجهها المسلمون:

- لا مجالسة: تعني إقصاء بني هاشم وبني عبد المطلب عن المجتمع المكي وعدم القبول بهم والرغبة فيهم.

- لا مخالطة: أي لا مصاهرة مع بني هاشم وبني عبد المطلب ولا نسب حتى لا يكون هناك مجال للعاطفة أو اللحمة مستقبلًا.
- لا بيع ولا شراء: وتعني الحجر الاقتصادي، وإغلاق الأسواق دونهم على التبادل التجاري بكافة أنواعه.
- لا دخول لبيوت المسلمين: وتعني الحجر الاجتماعي، وفي ذلك دلالة على تأكيد القطيعة الاجتماعية، وقطيعة الرحم وسد أي طريق يؤدي إلى المودة والتراحم.

يتضح من المؤشرات أعلاه أن المقاطعة تمثل أزمة اقتصادية (غذائية) واجتماعية وأسبابها سياسية بالدرجة الأولى.

الاحتواء: وقد برز دور الرسول صلى الله عليه وسلم القيادي في إدارة هذه الأزمة ومواجهتها بثباته هو وأصحابه على الحق وتبليغ الرسالة بالرغم مما يقاسونه من أذى ومشقة. إذ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدرك نوايا قريش ويعي هدفها الرامي لضرب هذا الدين، خاصة بعدما بدأت قاعدته في الرسوخ ونجح في جذب العناصر القوية، كما كان صلى الله عليه مدركًا أن الله متم نوره ولو كره الكافرون (حياتي، ودفع الله، ٢٠١٥، بتصرف).

وفي أثناء الحصار في شعب أبي طالب بذل الرسول صلى الله عليه وسلم ونفر من صحابته أموالهم في سبيل تأمين الغذاء للمسلمين المعدمين والفقراء وتشير كتب السيرة إلى ذلك (فأقاموا في الشعب حتى أنفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله وأنفق أبو طالب ماله وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها ..) وهذا يدل على التضحية وبذل المال والصبر والثبات أثناء الأزمة.

وقد تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من استغلال الأشهر الحرم في نشر الدعوة بين القبائل العربية، وفي تأمين الغذاء وتخزينه (المباركفوري،٢٠٠١)، ويعتبر تخزين الغذاء واستخدامه عند الحاجة من أساسيات درء المخاطر الغذائية، وذلك لإسهامه في تقليل الفجوة الغذائية المحتمل حدوثها وتقليله من الطلب الزائد على السلعة في وقت الشدة (Shahidur, and Solmon,2012)

وكذلك قبول المساعدات من مشركي مكة حيث وقف بعض كفار قريش من عشيرة الرسول صلى الله عليه وسلم موقفًا حسنًا أثناء المقاطعة؛ إذ لعب بعض كفار قريش دورًا هامًا في تزويد المسلمين بالمؤن الغذائية من قمح وشعير ونحوهما، ومثال ذلك ما قام حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد من تزويد عمته خديجة بنت خويلد بالطعام وما قام به كل من العاص بن الربيع وهشام بن عمرو في إمداد الشعب بالغذاء، هذا إلى جانب مساعدة أخرى قام بها كل من هشام بن عمرو وزهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي والبختري بن هشام في نقض صحيفة المقاطعة (حياتي، دفع الله، ٢٠١٥، ٣٢-٣٣).

استعادة النشاط: وذلك بعد نقض صحيفة المقاطعة، حيث اجتمع هشام بن عمرو وزهير بن أبي أمية بن المغيرة والمطعم بن عدي والبختري بن هشام وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب في خطم الحجون ليلًا بأعلى مكة وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام بنقض الصحيفة؛ لأنهم لم يرضوا أن يأكلوا الطعام ويلبسوا الثياب وينكحوا النساء وبنو هاشم وبنو عبد المطلب لا يباعون ولا يباع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، ولم يرضوا أن يهلك بطنان من بني عبد مناف (ابن كثير، ٧٧٤،٢٨٠).

فلما ذهبوا إلى الكعبة وعزموا على نقض الصحيفة وجدوا الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم. وتشير المصادر التاريخية إلى أن نقض الصحيفة تم في السنة العاشرة من البعثة، وبعد خروج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من الشعب بثبات وإيمان راسخ لم يتزعزع بالرغم من الأزمة التي مروا بها.

ويذكر النجار (المذكور في حياتي ودفع الله،٢٠١٤) أن المقاطعة وإن كانت شرًا في الظاهر، فقد جعل الله منها نصرًا وفتحًا جديدًا للدعوة. لأنه بعد خروج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من شعب أبي طالب نعموا ولشهور عديدة بالراحة والطمأنينة والاستقرار حتى عام الحزن، وواصل الرسول صلى الله عليه وسلم بعدها الدعوة بكل عزيمة وإصرار. انتشر الإسلام حتى خارج مكة وكثر دخول الوفود من القبائل في الإسلام.

التعلم

-لقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من هذه الأزمة وهم أكثر ثباتًا على الدعوة ويقينًا بنصر الله وتأييده.

- الصبر كان من أعظم الدروس التي تعلمها الصحابة، فقد تجرع الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم- مرارة هذا الحصار الشديد، فكانوا يأكلون ورق الشجر وما يجدونه، وكان هذا دأبهم في الدعوة إلى الله حتى أظهر الله هذا الدين للعالم أجمع.

- ومن دروس هذه المقاطعة رد الجميل لأصحابه، ومكافأة المحسنين على إحسانهم، وهذا خُلُق حث عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: (من أتى إليكم معروفاً فكافئوه)(الطبراني)، فبعد انتهاء هذه المقاطعة، كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقدراً لأصحاب المواقف الإيجابية مع المسلمين، وكافأهم عليها.

فأما عمه أبو طالب فقد قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: ما أغنيتَ عن عمك، فو الله كان يحوطك ويغضب لك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) (البخاري). وذكر ابن هشام في سيرته: أن هشام بن عمرو أسلم فأعطاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم من غنائم معركة حنين دون المائة من الإبل.

وأما أبو البختري فقد كان في صف المشركين يوم بدر فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله وأما المطعم بن عدي فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر من المشركين: (لو كان المُطعِم بن عدي حياً، ثم كلَّمني في هؤلاء النَّتْن لتركتهم له) (البخاري)، ولفظ أبي داود (لأطلقتهم له).(البخاري، ١٤٢٣).

وسنستعرض نموذجًا آخر لإدارة الأزمات في عصر صدر الإسلام وهي أزمة غزوة الخندق.

تحليل الأزمة في غزوة الخندق (المباركفوري،٢٠٠١)، (السكارنه،٢٠١٥)، (اليازجي،٢٠١١)

الإنذار:

تحالفت قريش مع غطفان وبني سليم وبني أسد وفزارة وأشجع وبني مرة، فكانوا عشرة آلاف، وقائدهم جميعًا أبو سفيان بن حرب، وكان على كل قبيلة قائدها. تحالفت معهم بنو قريظة، وهم من قبائل اليهود التي تسكن المدينة، وقد نقضوا عهدهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي أقرّوا فيه ألا يخونوا ويتآمروا مع قريش ضده، وأن يدافعوا عن المدينة مع المسلمين.

الاستعداد:

كان أمام الرسول صلى الله عليه وسلم خياران لا ثالث لهما، إما قتالهم وجهًا لوجه، وإما مصالحتهم ولو على حساب ثلثي ثمار المدينة، وكان عليه السلام يهدف من وراء ذلك تفتيت الصف المعادي وهذه هي الثغرة التي استطاع عليه السلام أن يفك أكبر أزمة يتعرض لها المسلمون، مبينًا أنه لا حرج في إقامة بعض التحالفات مع بعض الأطراف لتحييدهم.

استشار الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين، فرفض الأنصار وأبوا إلا السيف، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف والعدو عشرة آلاف غير بني قريظة، والمسلمون ثلثهم أو يقلون. وبدأ المسلمون في الاستعداد للحرب.

الاحتواء:

- شاور الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في أسلوب الحرب.
- أشار سليمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة لمنع العدو من اختراقها والاستيلاء عليها، كما يفعل الفرس في حماية مدنهم.
- أدخلت النساء الحصون المنيعة، وكانوا مدربين على مداواة الجرحى لقيامهم بها من قبل.
- قسّم الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى عدة فرق، كل فريق منهم يتكون من عدة أفراد.
- حدد لكل فريق مهمته وهي حفر أربعين ذراعًا كل حسب قدرته.

- كل ما يخرج من الحفر يطرح تجاه المدينة حتى لا يستخدمه العدو لردم الخندق.
- بث رسول الله صلى الله عليه وسلم العيون على الأعداء حتى يأتوه بالمعلومات ويغموا عنه العدو كحذيفة بن اليمان.
- وعدهم بالنصر وأن النصر وأن الله سبحانه وتعالى قد أراه قصور الشام واليمن ومصر وفارس، ومعنى ذلك أن النصر سيكون حليفه ومن معه دائمًا وليس فقط في تلك المعركة.
- تخذيل العدو وتفرقتهم، وكانت تلك مهمة نعيم بن مسعود للتفريق بين القبائل وبين اليهود، وكان قد أسلم ولم يعلم المشركون أو اليهود بإسلامه.
- عسكر المسلمون وجبل (سلع) خلفهم لحماية ظهورهم، والخندق أمامهم، فلم يستطيع الأعداء الالتفاف حولهم كما فعلوا في غزوة أحد، ولم يستطيعوا مهاجمتهم أو اختراق الخندق بأنفسهم أو على خيولهم.
- حدثت بعض المعارك الفردية مع بعض الفرسان، وكان النصر لفرسان المسلمين كعلي بن أبي طالب.
- أنزل الله على المشركين الريح فقلعت خيامهم وألقت قدورهم وأطفأت نيرانهم وهلك الكراع (الخيل) والخف (الإبل)، فقرر أبو سفيان الرحيل فارتحلوا معه.
- ردهم الله بغيظهم لم ينالوا شيئًا، أي لم يحققوا هدفهم وكفى الله المؤمنين القتال.
- قرر الرسول صلى الله عليه وسلم معاقبة بني قريظة لنقضهم العهد.
- قرر الرسول صلى الله عليه وسلم انتقال المسلمين من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم.

استعادة النشاط

رجع المسلمون إلى المدينة وعادوا إلى نشاطهم من الزرع والرعي والإعداد للمعارك القادمة التي سينتقلون فيها إلى الهجوم وليس الدفاع فقط.

التعلم

- تعلم المسلمون أسلوبًا جديدًا في القتال.
- صبروا وثبتوا وصابروا حتى تحقق الهدف.
- على المسلم إعداد ما يمكنه والنصر من عند الله.
- ابتكروا بعد ذلك في الحروب حتى يفاجئوا العدو فيربكوه فينتصروا عليه.
- أعدوا الفرق ووزعوا عليها المهمات.
- العمل الجماعي يحقق الأهداف بفاعلية.

- حددوا الأهداف لكل عمل.
- وضعوا الخطط والسيناريوهات.
- تشاوروا في كل أمورهم ليعصم رأي الجماعة خطأ الفرد.
- كانوا دائمي الرجوع إلى قائد الأزمة كلما لزم الأمر.
- ضرورة تواجد قائد الأزمة دائمًا للاتصال المباشر.
- استخدموا الموارد المادية المتاحة الاستخدام الأمثل.
- وجهوا الموارد البشرية التوجيه الصحيح.
- تعلموا أهمية توصيل المعلومات الصحيحة لاتخاذ القرار السليم.

الدراسات السابقة

سيتم استعراض الدراسات السابقة من الأقدم إلى الأحدث، والدراسات التي ألفت في إدارة الأزمات في الإسلام متعددة، وسنورد هنا الدراسات الحديثة فقط والمرتبط بموضوع البحث.

١- دراسة الزيّان (2007) هدفت إلى التعرف على أساليب فك الحصار عن الأمة الإسلامية مسترشدًا بالهدي النبوي في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية بمكة عندما حاصرتها قوى الكفر في شعب أبي طالب، استخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي، توصل البحث إلى أن الأساليب النبوية لفك حصار الشعب تمثلت في الثبات على الحق، والاتحاد في مواجهة قريش واستثمار قوانين الكفر دون التنازل عن العقيدة، والاعتماد على المال الذاتي للمسلمين.

٢- دراسة العزام (2010) هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على منهج التربية الإسلامية في إدارة الأزمات، ببيان مفهوم إدارة الأزمة، وأسبابها، وخصائصها، وأنواعها، وأهدافها، ووظائفها، والمراحل التي تمر بها من منظور التربية الإسلامية، وقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي مستعينًا بالكتابات الإدارية الحديثة حول موضوع إدارة الأزمات، وقد توصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم والسنة النبوية لهما السبق في إدارة الأزمات وعلاجها، وأهمية استغلال الأزمات في تغيير سلوك المتعلمين وتوجيههم إلى الصواب وغرس المعاني النبيلة والأخلاق الفاضلة.

٣- دراسة اليازجي (2011) هدفت الدراسة إلى إيضاح الطريقة العملية لإدارة الأزمات من وحي القرآن والسنة. وبيان الدروس والعبر المستقاة من تلك الأزمات باستخدام المنهج التاريخي التحليلي في سرد وتحليل الأحداث المذكورة في القرآن الكريم،

وتوصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم وصف الأزمات بالابتلاءات، وبيّن أسبابها وكشف عن سبل العلاج وكيفية مواجهة هذه الأزمات.

٤- دراسة محمد (2011) هدف البحث إلى إبراز الإطار المفاهيمي للأزمة من وجهة نظر استراتيجية، كما هدف إلى التعرف على الأزمة الإعلامية التي ترافق الأزمة وتتعلق بالاتصالات والجانب المعلوماتي أثناء الأزمة، استخدمت الباحثة المنهج التحليلي. توصل البحث إلى تطوير استراتيجية لإدارة الأزمات وفق المنظور الإسلامي، كما توصل البحث إلى أن النموذج الإسلامي في إدارة الأزمة يختلف عن النماذج الوضعية بمنطلقاته الفكرية وجوانبه الروحية.

٥- دراسة الزعبي (2012) وهدفت الدراسة إلى إبراز المنهج النبوي في إدارة الأزمات من خلال نموذج من الأزمات التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم وهي حادثة الإفك، استخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي، توصل البحث إلى عدة نتائج من أهمها أن إدارة الأزمات وإن كان مصطلحًا جديدًا إلا أن أصوله موجودة في السنة النبوية، أن الإدارة النبوية تميزت بخصوصية تختلف عن إدارة الأزمات المعروفة لأنها تعتمد في بعض جوانبها على الوحي والوحي يتميز بالصدق والثبات، كما توصل البحث إلى أن المجتمع المسلم يتميز بكفاءة عالية في إدارة الأزمات وهذه الكفاءة مستمدة من إيمانه بالله وتمسكه بالعقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة.

٦- دراسة العبادلة والظاهر (2013) هدف البحث إلى إبراز منهج النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة الأزمة في غزوة بدر الكبرى، والمراحل التي انتهجها النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة هذه الأزمة، استخدم الباحثان المنهج التاريخي وتحليل الأحداث التاريخية لاستنباط منهج النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة الأزمات، وقدم الباحثان من خلال هذا البحث عدة استنتاجات للتعامل مع الأزمة في الوقت الحاضر، وكذلك عدة نتائج مستنبطة من النصوص الشرعية للتعامل مع الأزمات.

٧- دراسة حياتي ودفع الله (2015) هدف البحث إلى إلقاء الضوء على المنهج النبوي في إدارة الأزمات من خلال أزمة حصار الشعب وإبراز دور الرسول صلى الله عليه وسلم القيادي في إدارة هذه الأزمة وتقييم أوضاع المسلمين الغذائية في أثناء المقاطعة التي انتهت بنقض الصحيفة استخدم الباحث المنهج الاستنباطي الاستقرائي. توصل البحث إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم واجه أزمة المقاطعة بمنهج قائم على إدراك حقيقة الرسالة والثبات على المبدأ والصبر وبذل المال لتأمين الشعب، وبفضل إدارة الرسول صلى الله عليه وسلم استطاع الخروج من هذه الأزمة

منتصرًان وكان واثقًا من ذلك ومؤمنًا به إيمانًا راسخًا لا يشوبه ريب ولا يخالطه شك. كما أثبتت هذه الأزمة تكافل المسلمين واتحادهم في وجه عدوهم.

التعليق على الدراسات السابقة:

يتفق البحث الحالي مع الدراسات السابقة في التعرف على المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات، وفي استخدام المنهج التاريخي، واستقراء المنهج الإسلامي في إدارة الأزمة، ركزت معظم الدراسات السابقة على القاء الضوء على المنهج النبوي في إدارة الأزمة من خلال سرد إحدى الأزمات التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم، بينما هدف البحث الحالي إلى التعرف على المنهج الإسلامي في إدارة الأزمة بشكل عام من خلال تحليل بعض الأحداث المذكورة في القرآن والسنة للوصول إلى استنتاج للمنهج الإسلامي في إدارة الأزمة.

النتائج :

إجابة السؤال الأول: ما المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات؟

من خلال استعراض وتحليل الأزمات التي تمت إليها الإشارة في الإطار النظري للبحث يمكننا استنباط المنهج الإسلامي في إدارة الأزمات والذي يقوم على:

١- الرجوع إلى أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية في معالجة وإدارة الأزمة.

٢- اليقين بفرج الله وعدم الانهيار والاستسلام: إذ على المسلم أن يعلم أن "ما أصابك لم يكن ليخطئك"، فيجب تهيئة النفوس لتقبل الأزمة والتعامل معها بكل روية وصبر وثبات.

٣- التوبة والرجوع إلى الله والدعاء والتضرع إليه حتى تنكشف هذه الغمة: كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر إذ أخذ يدعو الله حتى سقط رداءه عن منكبه، كما يجب على المسلم التعلق بالله والإلحاح بالدعاء يقول صلى الله عليه وسلم: (ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه السوء مثلها ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم) رواه الترمذي.

٤- أخذ العظة والعبرة والاستفادة من التجارب الماضية: سواء التي مرت على المنظمة، أو تجارب الآخرين، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين).

٥- التروي والتأمل في إيجاد الحلول واتباع منهجية علمية في ذلك ويتم ذلك بقياس الأزمة الحالية على أزمات سابقة والاستفادة منها في تبني بعض أوجه الحل للأزمة

الحالية، وتشخيص الأزمة بشكل دقيق وسليم من قبل أشخاص ذوي كفاءة عالية وقدرة على تحليل الأمور بموضوعية واستشراف للمستقبل.

٦- سؤال أهل الخبرة والاختصاص، قال تعالى: **(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ)**، مثل ما أشار أعوان على ملك مصر بالاستعانة بيوسف عليه السلام في تفسير رؤياه وكذلك عندما عرض يوسف على ملك مصر بتوليته على خزائن الأرض بما لديه من علم وقدرة على التخطيط. وكذلك عندما أشار سلمان الفارسي على الرسول صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق.

٧- الشورى يقول الله عز وجل: **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ(159))** سورة آل عمران. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم المشورة لأصحابه وهو أعلم منهم.

٨- الثبات على المبدأ والتمسك بالقيم والمثل والأخلاق والسلوكيات الحسنة: فنجد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالرغم من اشتداد الأذى بهم صبروا وثبتوا على الحق حتى في أحلك الظروف.

٩- إدارة الأزمة تحتاج إلى قائد يمتلك مهارات عالية من الحكمة، وبعد النظر، والتحليل المنطقي للأحداث، وامتلاك روح المبادرة، والشجاعة، والقدرة على التأثير في الآخرين، وتكوين علاقات إيجابية مع الجميع دون استثناء، والحماس والرغبة الجادة في السيطرة على الأزمة.

فالمنهج الإسلامي في إدارة الأزمات منهج متوازن يجمع بين النظرية والتطبيق، ومصلحة الفرد والجماعة. وهو منهج متميز بمنطلقاته الفكرية، ومرتكزاته القيمية، وجوانبه الإنسانية، واهتمامه بالنواحي المادية والمعنوية أثناء التعرض للأزمات، وهذا ما أشارت إليه دراسة محمد (2011). ويركز المنهج الإسلامي في إدارة الأزمة على أهمية الثبات على المبدأ، وعدم التخلي عن العقيدة مهما اشتد الحال، والثقة بالنصر الله لعباده، كما يتجلى ذلك في أزمة حصار الشعب التي خرج منها المسلمون وهم أكثر ثباتًا وتحقق لهم ما يريدون من استمرار الدعوة وظهور الدين رغم ما بذله مشركو قريش من تعذيب مادي

ومعنوي للمسلمين، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة حياتي ودفع الله (2015).

إجابة السؤال الثاني: ما هي المواقف من القرآن والسنة والسيرة التي تدل على فن التعامل مع الأزمات وإدارتها؟

الأمثلة على فن إدارة الأزمات في القرآن والسنة المطهرة كثيرة وقد تمت الإشارة إلى ثلاثة أمثلة في الإطار النظري للبحث وتم تحليلها بحسب مراحل الأزمة زهي الأزمة الاقتصادية في عصر يوسف عليه السلام، وأزمة حصار الشعب في عصر صدر الإسلام، وأزمة غزوة الخندق.

فالتخطيط الاستراتيجي لإدارة الأزمات وجدت أصوله في القرآن والسنة، بينما يعتبر توجهًا حديثًا في الفكر الإداري المعاصر، مما يدل على تميز الإدارة الإسلامية على الإدارة المعاصرة. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة العزام (2010) ودراسة الزعبي (2012) ، ويتميز المجتمع المسلم بالكفاءة في إدارة الأزمات والتعامل معها بكل فعالية وتحويلها لصالح الدين الإسلامي وتحقيق غايته العظمى وهي عبادة الله وحده، وتؤكد على ذلك دراسة الزعبي (2012).

إجابة السؤال الثالث: ما أبرز التوصيات في إدارة الأزمات وفق المنهج الاسلامي؟

١- حسن التوكل على الله والصبر والثبات في مواجهة الأزمات.

٢- أن الأزمة قد تحمل في طياتها الخير الكثير وتعود بالنفع على الأفراد والمنظمات، يقول تعالى: **(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)**.

٣- التكافل الاجتماعي أثناء الأزمات يقلل من الأثار السلبية للأزمات.

٤- القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين هامين لاستنباط الأساليب والحلول الناجعة في مواجهة الأزمات بمختلف أنواعها ومستوياتها.

٥- تكوين فرق العمل لإدارة الأزمات يعتبر من أهم طرق علاجها بفعالية.

فالمنهج الإسلامي في إدارة الأزمات منهجًا فكريًا متراكمًا يعتبر بمثابة المرجع السليم لاستنباط الحلول الناجحة لما يعصف بالعالم الاسلامي من أزمات لأنه من وحي القرآن والسنة وتؤكد تلك النتيجة دراسة الزيّان (2007) ودراسة العبادلة والظاهر (2013). وتكافل المجتمع المسلم أثناء الأزمة يخفف من الضغوط التي يتعرض لها الأفراد وتتفق هذه النتيجة مع دراسة حياتي ودفع الله (2015).

التوصيات

من أهم توصيات البحث:

١- تنمية مهارات الأفراد في استشعار الأزمات قبل وقوعها عن طريق إعمال العقل بما لديهم من طاقات فكرية وعقلية.

٢- احياء مبدأ التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم وتعزيز دوره في مواجهة الأزمات.
٣- إدخال فقه الأزمات وفق المنهج الإسلامي ضمن المناهج الدراسية لإعداد النشء لمواجهة الأزمات بعقيدة راسخة وثابتة عمادها الإيمان بالله عز وجل.

المراجع:

ابن كثير، أبو الفداء حافظ بن كثير(٧٤٧ه) **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.

أحمد، إبراهيم أحمد (٢٠٠٢) **إدارة الأزمات: الأسباب والعلاج**، القاهرة، دار الفكر العربي.

أبو قحف، عبد السلام (١٩٩٩) **إدارة الأزمات**، مجموعة النيل العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (١٤٢٣) **صحيح البخاري**، ط دار ابن كثير، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

الجوزيه، ابن القيّم (١٤١٥) **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط٢٧، تحقيق شعيب الأرنؤط وعبد القادر الأرنؤط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية.

الحملاوي، محمد رشاد (١٩٩٥) **إدارة الأزمات، تجارب محلية وعالمية، ط٢**، مركز بحوث الأزمات، القاهرة، مصر.

حياتي، عمر أحمد المصطفى، ودفع الله، عبد القادر محمد أحمد (٢٠١٥) المنهج النبوي في إدارة الأزمات: صحيفة قريش لمقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب أنموذجًا **المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب (السعودية)** مج (٣١) ع (٦٢)، ص ص ٣-٣٩.

الحصار والمقاطعة دروس وعبر، تم استرداده بتاريخ٢٠١٧/٤/٤ متاح على الرابط articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=158363

الخضيري، محسن أحمد (٢٠٠٣) **إدارة الأزمات**، القاهرة: مجموعة النيل العربية.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي شمس الدين أبو عبد الله (٧٤٨ه) **السيرة النبوية**، تحقيق حسام المقدسي، بيروت: دار الكتب العلمية.

الزيّان، رمضان إسحاق (٢٠٠٧) **الأساليب النبوية والعصرية في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية**، مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، الجامعة الإسلامية، جامعة

الأقصى،٢-٣ أبريل، غزة.
الزعبي، محمد مصلح (٢٠١٤) إدارة الأزمات في ضوء السنة النبوية حادثة الإفك أنموذجًا، **بحث منشور، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**، مج (١٠) ع (٣) ١٤٣٥-٢٠١٤م.
السكارنه، بلال خلف (٢٠١٠) **دراسات إدارية معاصرة**، ط٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.
السكارنه، بلال خلف (٢٠١٥) **إدارة الأزمات**، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.
الشيخ، سوسن سالم (٢٠٠٣) **إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، ط١**، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
العبادلة، حسن عبد الجليل عبد الرحيم؛ والظاهر، نعيم إبراهيم صالح (٢٠١٣) **منهج النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة الأزمات غزوة بدر الكبرى أنموذجًا،** AlManhal Collections, www.almanhal.com,26/04?2017@ Digital Library Copyright. Saudi
عز الدين، أحمد جلال (١٩٩٠) **إدارة الأزمات في الحدث الإرهابي**، الرياض: أكاديمية نايف للعلوم الأمنية.
العزام، عمر نايل محمد (٢٠١٠) **منهج التربية الإسلامية في إدارة الأزمات**، رسالة دكتوراه في التربية الإسلامية غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
الكيلاني، عبد الله إبراهيم زيد (١٤٣٠) إدارة الأزمة مقاربة التراث والآخر، ط١، **مركز البحوث والدراسات -قطر،ع١٣١، جمادى الأولى ١٤٣٠هـ، السنة التاسعة والعشرون.**
هشام، سامي محمد (٢٠٠٧) **المهارة في إدارة الأزمة وحل المشكلات**، ط١، الجامعة الأردنية، دار البداية للنشر والتوزيع.
المباركفوري، صفي الدين (٢٠٠١-) **الرحيق المختوم**، المكتبة العصرية، ط٤، دار الوفاء للنشر والتوزيع.
محمد، إيثار عبد الهادي (٢٠١١) استراتيجية إدارة الأزمات تأطير مفاهيمي على وفق المنظور الإسلامي، بحث منشور في **مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية**، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، مج ١٧، ع٦٤، كانون الأول ٢٠١١: ٤٧-٦٣.
نوفل، أحمد (١٤٠٩) **سورة يوسف دراسة تحليلية**، دار الفرقان. الأردن.
الهلباوي، خميس (٢٠٠٦) **التعامل مع الأزمات في علوم الإدارة الحديثة**، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.

اليازجي، صبحي رشيد (٢٠١١) إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم- دراسة موضوعية **مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)**، مج١٩، ع٢، ص ص ٣٢١-٣٧٧.

المراجع الأجنبية

Carla Cardoso (2008) The most effective crisis management occurs When potential crisis are delected.

Shahidur, Rashid and Solmon, Lemma (2012) Strategic Grain Reserves In Ethiopia, Institutional Design and Operational Performance, in: Ben Lillistone and Andrew Ranallo, Grain Reserves and the Food Price Crisis: Selected Writings from 2008-2012, Institute for Agriculture and Trade Policy.

Lenda, Armond (2008) Crisis management media management damage Control crisis communications strategy, coporate. Available on link www.crisismanagementincorporated.com